جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

حركة الفتح الإسلامي في العراق وإدارته في صدر الإسلام 11هـ - 41 هـ/ 633-661م

إعداد الطالب

محمد حسين علي المحاسنه

إشراف

الأستاذ الدكتور زريف المعايطة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجـــة

الدكتوراه في التاريخ الإسلامي قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2009

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي للروحين الطاهرين ... اللذان غرسا في نفسي حب العلم ... ومن علماني كيف تذلل الصعاب، للوصول إلى ما أريد ... والدي و والدتي ... لهما الرحمة ولروحيهما البقاء.

إلى من شاركتني الدرب والحلم ... ومن ترتسم الفرحة على الوجه كلما أنجزت، أو سلكت طريقاً يؤدي إلى العلم ... زوجتي.

إلى الذين حملوا المشاعل وأناروا الطريق أمامي ... بناتي وأولادي جميعاً.

إلى أخواني وأخواتي ...

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل يكون ذكرى، وفاء، ورمز عطا إلى الأبد.

محمد حسين المحاسنة

الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى شكراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده على ما من به من التوفيق بإتمام هذا العمل في ظروف حرجة وقاسية.

وأتقدم بجزيل شكري وتقديري إلى أستاذي الكريم، الأستاذ الدكتور زريف المعايطة، على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولما أولاني إياه من جلّ عنايته واهتمامه. ولقراءته فصول هذا البحث مراراً وتكراراً وحرصه كل الحرص أن يخرج جهداً علمياً خالصاً. فله مني كل الشكر والوفاء والعرفان.

وأقدم فائق شكري وتقديري لجميع أساتذتي الأكارم في قسم التاريخ بجامعة مؤتة.

وأسجل شكري لجميع العاملين في مكتبة جامعة مؤتة لما أبدوه من استعداد لتوفير كافة السبل من أجل فائدة الطالب. ولا يسعني إلا أن أتقدم لكل من ساعدني بالشكر الجزيل مهما صغرت المساعدة ولو بكلمة تشجيع.

محمد حسين المحاسنة

الرموز والمختصرات

أشير للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:

1. إذا كان للمؤلف كتاب واحد يشار إليه بذكر اسم المؤلف مع الكلمة الأولى من اسم الكتاب.
2. في حالة تشابه مداخل أسماء كتب المؤلفين يذكر اسم المؤلف مع كلمتين أو أكثر من اسم الكتاب.

ج / جزء

ص / صفحة

ع / عدد

م / ميلادي

هـ / هجري

مج / مجلد

ق.هـ / قبل الهجرة

ط / طبعة

ت / تاريخ وفاة

د. ت / دون تاريخ نشر

د. ط / دون طبعة

د. م / دون مطبعة

رقم الصفحة / P

رقم الجزء / Vol

فهرس المحتويات

الملخص

حركة الفتح الإسلامي في العراق وإدارته

في صدر الإسلام (11-41هـ/633 ـ 661م

محمد حسين المحاسنة

جامعة مؤتة، 2009

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بحركة فتح لعراق وإدارته وتنظيمه في صدر الإسلام (11-41هـ/ 633 ـ 661م). وقسمت الدراسة إلى ستة فصول:

خصص الفصل الأول لدراسة جغرافية العراق التاريخية حيث تناول معنى كلمة العراق، وحدوده، والمناطق الزراعية وسكانه قبل الفتح العربي، أما الفصل الثاني فقد درس بواعث القتال وتنظيمات الجيش من خلال دراسة بواعث القتال، وحركة المد الاسلامي والبيئات التي انتشر فيها الإسلام وذلك بدراسة علاقات شبه الجزيرة العربية بأقاليم الجوار، وطرق انتشار الإسلام، وتموين الجيش وعناصره وإعداد المقاتلين، وخصص الفصل الثالث لفتوحات العراق في عهد الخليفة أبو بكر الصديق حيث تناول دوافع حروب التحرير وصلة الردة بالفتوح، وفكرة فتح العراق والمعارك الأولى لفتح العراق التي خاضها الجيش الإسلامي، أما الفصل الرابع فقد بحث فتوحات العراق والمشرق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث تناول إدارة الخليفة عمر لحركة الفتح واختياره للقادة وتوجيهه لهم، والمبادئ العامة التي طلبها الخليفة من القادة، والمعارك التي خاضها الجيش لاستكمال فتح العراق. وناقش الفصل الخامس العراق بعد الفتح الإسلامي حيث تناول موقف السكان من الفتح، والقبائل المشاركة بالفتح، واختيار مواطن الاستقرار، وإجراءات الدولة بعد الفتح، وموقف الدولة من الأرض المفتوحة. أما الفصل السادس والأخير فقد خصص لدراسة التنظيمات الإدارية في الأمصار، حيث تناول تمصير الأمصار وعلى رأسها وتمصير البصرة، تمصير الكوفة، ولاية العراق في صدر الإسلام، وأنهيت الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج النهائية، وقائمة بأسماء مصادر البحث ومراجعه .

Abstract

The Islamic Conquest Movement in Iraq and its Organization at the Forefront of Islam (11–42 A.H/ 632– 65 A.D).

Mohammad H. Mahasneh

Mu'tah University, 2009

The present study seeks to gain insight Knowledge into the movement of Iraq conquest and its organization at the forefront of Islam.

The first chapter focused on the historical geography of Iraq. In this chapter, the researcher explains the meaning of the word 'Iraq', its borders, its agricultural regions and its population. The second chapter presented the expansion movement of Islam and the environments that Islam was spreading there .Furthermore ,it presented the relationship of Arabia with the nearby territories ,the Islamic role in the formation of a nation ,the ways of spreading Islam and the importance of Iraq before and after its conquest.

The third chapter stated the reasons of fight and the arrangements of the Islamic Army through studying the concept of 'fight'. It also presented the purveyance of the army and its members and preparing them for fight. The fourth chapter dealt with conquest in the era of the successor 'Abu Baker Al – Sdeeq' as well as provided detailed information about the reasons of the 'liberation wars' , the relationship of the 'apostasy movements' with the Islamic conquests , the idea of Iraq conquest and the previous battles that the Islamic Army took part in.

The fifth chapter reported the conquests of Iraqi and other eastern regions in the era of the successor 'Omar Ibn Al- Khattab ' .It also presented the Omar's organization of the 'Liberation Army ' as well as his selection of the general principles of the army leaders. Furthermore, this chapter offered the rest of battles for conquering Iraq completely.

The sixth chapter presented Iraq after its conquest and the interested tribes there besides the state's attitudes at the conquered lands .This chapter also presented the state's procedures after the conquest such as choosing areas of stability. Finally, the seventh chapter stated the administrative regulations in addition to the procedures of urbanizing such cities as Basra and Kofa by the successor -Omar-.

The researcher concludes his dissertation with the results he gained and with a list of related references.

المقدمة

وحد الإسلام العرب، وجعلهم أمة متجانسة متكاتفة تجمعها رابطة جديدة غير الرابطة القبلية، ألا وهي رابطة العقيدة الإسلامية. فبعد أن كان العرب مجموعة من القبائل المتحاربة، أصبح العرب بالإسلام أمةً موحدة قوية ضمت دولتها الجزيرة العربية بأسرها ثم امتدت خارج الجزيرة لتضم أقطاراً واسعة من المحيط الأطلسي إلى أواسط آسيا.

بدأ المد الإسلامي منذ ظهور الإسلام، فبدأ أولاً بمكة حتى إذا وقفت قريش في وجه الرسول عليه السلام، هاجر الرسول وأصحابه إلى يثرب (المدينة المنورة) حيث انطلق المد الإسلامي من هناك ليحرر الحجاز من الأوثان. وقد انتهت هذه المرحلة بعد فتح مكة حيث تحول الحِجاز إلى بلد إسلامي، ثم انتقل المد الإسلامي بعد ذلك إلى بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية، ولم ينتقل الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى إلاّ وكانت معظم شبه الجزيرة العربية قد خضعت لدولة الإسلام.

ثم أعقب ذلك مرحلة توسع المد الإسلامي إلى خارج شبه جزيرة العرب زمن الخلفاء الراشدين والأمويين.

تنبع طبيعة المد الإسلامي من طبيعة الدعوة الإسلامية. فقد رأينا كيف أن الدعوة الإسلامية جاءت عامة لجميع الناس وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون . لذلك كان المد الإسلامي عاماً لا يعرف حدوداً ولا يقف عند أرض، ولا يتوقف المد الإسلامي إلا إذا عم الإسلام جميع بقاع الأرض.

وقد اختص العرب (عرب الجزيرة العربية) أولاً للقيام بمهمة المد الإسلامي، وقد قام العرب بعد أن أعدهم الرسول عليه السلام لتحمل المسؤولية، بهذه المهمة خير قيام، حتى إذا ما استقر الإسلام في شبه جزيرة العرب، كان واجباً دينياً على العرب المسلمين، وتكليفاً شرعياً من الله دعوة الناس للإسلام خارج جزيرتهم.

أما أهداف المد الإسلامي فتنحصر في نشر الإسلام بين جميع الأمم والشعوب وتحريرهم ومرت حركة المد الإسلامي في كل بلد وصلت إليه بمراحل، وهي:

1- مرحلة المد الإسلامي وقادة الشعوب إلى الأخذ بمبادئ الإسلام وتحرير شعوبهم من الجاهلية : بدأ الرسول عليه السلام هذه السياسة عندما أرسل رسله إلى ملوك وأمراء الدول يعرض عليهم الإسلام وأن يسمح هؤلاء للدعاة الإسلاميين بحرية القول والنشر.

وقد سار الخلفاء فيما بعد على هذه السنة، ففي كل بلد استهدفوا نشر الإسلام فيه، كانوا يرسلون الرسائل والوفود إلى الحكام والقادة يعرضون عليهم مبادئ الإسلام وشروطهم الثلاثة المعروفة وهي : الإسلام أو الجزية أو القتال.

2- مرحلة الجهاد العسكري لإزالة الحواجز التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية، وهي مرحلة تتلو المرحلة الأولى، فإذا ما وقف الحكام وقادة الشعوب من الدعوة للإسلام موقف العداء، كان لا بد للمسلمين من أن يعملوا على إزالة الحواجز بالقوة العسكرية ليهيئوا الجو المناسب لنشر الدعوة الإسلامية التي كلفهم الله بها. وقد خرجت جيوش الفتح الإسلامي للقيام بمهمة تحطيم العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية، وقد حققت جيوش الجهاد الإسلامي انتصارات كبيرة في فترة قليلة.

بدأت هذه المرحلة بعد قيام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتأتي هذه المرحلة بعد مرحلة الدعوة السلمية أي دعوة الحكام وقادة الشعوب إلى الأخذ بمبادئ الإسلام.

ويمكن تقسيم موجات الجهاد العسكري إلى عدد من الموجات أبرزها:

أولاً: موجة الجهاد العسكري زمن الرسول عليه السلام أو موجة التحرير الأولى وقد رأينا كيف استطاع الرسول تصفية شبه جزيرة العرب من الشرك، وأصبحت الجزيرة نقطة انطلاق للمد الإسلامي في المناطق المجاورة.

ثانياً: موجة الجهاد العسكري زمن الخلفاء الراشدين أو موجة التحرير الثانية، وقد بدأت هذه الموجة بعد تولي الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الحكم عام 11هـ/633م وامتدت حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين عام 40هـ/661م ، وقد

عملت هذه الموجة على نشر الإسلام في كل من بلاد الشام والعراق وبلاد فارس ومصر .

ثالثاً: موجة الجهاد العسكري زمن الخلفاء الأمويين.

جاء قرار دولة الراشدين في عهد عمر بن الخطاب بفتح العراق منسجماً مع ما كلفت به هذه الدولة من نشر للإسلام، كما انه مثل ضرورة لأمنها أمام مطامع الدولة الفارسية. وقد تزامن مع الفتح خطوات إدارية اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب ثم كل من الخليفتين عثمان وعلي، كان الهدف منها تأمين حركة الجيوش المشاركة في الفتح من جهة، وإرساء دعائم حياة مدنية في المجتمع العراقي الذي كان العرب يشكلون غالبية فيه، كما يتلاءم مع القيم الإسلامية.

ومع أن هناك دراسات كثيرة تحدثت عن الفتح إلا أنها لم تتحدث عنه في إطار ما رافقه من تكوين إداري واقتصادي، وفي هذه الأطروحة محاولة لسد جانب من هذه الثغرة.

وقد قسمت الرسالة إلى **ستة فصول**، هي:

الفصل الأول: جغرافية العراق التاريخية- يبحث في معنى كلمة العراق وحدود العراق، والحياة والمناطق الزراعية والسكان قبل الفتح العربي. وكانوا يتألفون من النبط، وهم عامة السكان، ومن العرب والفرس.

الفصل الثاني : بواعث القتال وتنظيمات الجيش ، والمد الاسلامي والبيئات التي انتشر فيها الاسلام ، وتناول علاقات شبة الجزيرة العربية بأقاليم الجوار ، وطرق انتشار الاسلام ، واستعانة الخليفة عمر بن الخطاب بالمرتدين، وتنظيم بقاء القوات المقاتلة في جهات القتال، وتموين الجيوش، وتنظيماتها في حروب التحرير، وعناصر الجيش وإعداد المقاتلين.

الفصل الثالث : فتوحات العراق في عهد الخليفة أبو بكر الصديق – وتناول دوافع حروب التحرير، وصلة الردة بالفتوح، وفكرة فتح العراق، والمرحلة الأولى من فتوحات العراق والمعارك التي خاضها الجيش الإسلامي.

الفصل الرابع : فتوحات العراق والمشرق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – وتناول إدارة الخليفة عمر لحروب التحرير، واختياره للقادة وتوجيهه لهم، والمبادئ العامة التي كان الخليفة يطلب منهم مراعاتها في الحروب. وتناول القسم الثاني من الفصل المرحلة الثانية من فتوحات العراق والمعارك التي خاضها الجيش الإسلامي.

الفصل الخامس : العراق بعد الفتح الإسلامي – وتناول موقف سكان العراق، والقبائل العربية من الفتح، والقبائل المشاركة بالفتح، واختيار مواطن الاستقرار، وإجراءات الدولة بعد الفتح ، وموقف الدولة من الأرض المحررة، وأنواع الأراضي وكيفية إدارتها.

الفصل السادس : التنظيمات الإدارية في الأمصار – وتناول تمصير الأمصار، تمصير البصرة، تمصير الكوفة، ولاية العراق في صدر الإسلام، ديوان الجند.

وفي **الخاتمة** بينت النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ومن ثم قائمة بأسماء **المصادر والمراجع**.

وقد بذلت لتحقيق ذلك ما استطعت من جهد فإن تحققت الغاية فذلك الذي أردت، وإلا حسبي انني حاولت جاداً، والله وحده الكامل وهو الهادي سواء السبيل.

الفصل الأول
جغرافية العراق التاريخية

1.1 معنى كلمة العراق:

أطلق العرب على القسم الجنوبي من عراق اليوم إسم العراق وقد يجمع هذا الإسم ليطلق على المصرين الكوفة والبصرة فيقال العراقان. أطلق هذا الإسم كذلك على اقليم بابل ولكن إسم بابل نسيه الناس ولم يعودوا يعرفون هذا الاقليم إلا بإسم العراق[1].

أما مدلول هذه الكلمة فقد أرجعه الجغرافيون والرواة العرب إلى أصلين أصل عربي وأصل فارسي. قالوا : أن العرب أطلقت هذا الإسم على المنطقة الجنوبية من أراضي وادي الرافدين. وقال آخرون : أن لفظة العراق فارسية معربة. واختلف هؤلاء الجغرافيون والرواة في تعليل إطلاق هذا الإسم منهم من قال أن العرب أطلقت هذا الإسم على هذه الأرض لأنها تقع قريباً من البحر وأهل الحجاز كما يقول ياقوت يسمون ما كان قريباً من البحر عراقاً[2]، ويضيف ابن الفقيه فيقول: سموا العراق عراقاً لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر. ويقول مضيفاً إلى تعليله هذا قول الأصمعي ما دون الرمل عراق[3] وذكر ياقوت تعليلاً آخر لهذه التسمية ذلك أن العراق يمتد على طول

---

(1) المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ألّف الكتاب سنة 375هـ، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن 1906م، أوفست مكتبة الخياط، بيروت. ص113.

(2) ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي (توفي سنة 626هـ) معجم البلدان، منشورات مكتبة الأسدي، 6ج، طهران 1965م. ج6، ص628.

(3)ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني (توفي سنة 290هـ) مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن 1302هـ، أوفست مكتبة المثنى، بغداد. ص161.

دجلة والفرات امتداداً حتى يتصل بالبحر[1] ويكمل الفيروزابادي هذا التعليل إذ يقـول: لأن العراق بين الريف والبر، أو لأنه على عراق دجلة والفرات أي شاطئيهما[2].

والعراق معناه الاستواء كما قال الماوردي (أطلق العرب كلمة عـراق لاسـتواء أرضه حين خلت من جبال تعلو وأودية تنخفض) [3].

أما الجغرافيون الذين قالوا أن لفظة العراق فارسية (معربة) منهم المسعودي وابن خرداذبه وابن رسته. قال ابن خرداذبه : كانت ملوك الفرس تسمى السواد ايرانشهر أي قلب العراق وقد عرب العرب هذه الكلمة إلى عراق[4]، وقال ابن منظور فـي لـسان العرب في تعليل التسمية قوله (أن الفرس أطلقـوا عليـه ايرانـشهر لكثـرة الـشجر والنخيل)[5].

وذكر ياقوت ان الساحل بالفارسية إسمه ايراه ولذلك سموا كورة اردشير خره من أرض فارس ايراهستان لقربها من البحر. فعربت الغرب لفظ ايراه بالحلق إلى القـاف فقالوا ايراق[6] وكذلك أطلق الفرس كلمة ايراف بالفاء ومعناها مفيض الماء وحـدورها ذلك ان دجلة والفرات تنصب من نواحي ارمينية إلى أرض العراق وبها يقر قرارهـا

---

(1) ياقوت، البلدان، ج6، ص629.

(2) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (توفي سنة 817هـ) القاموس المحـيط، المؤسـسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.، ج3، ص264.

(3) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (توفي سـنة 450هـ ـ) الأحكـام الـسلطانية والولايات الدينية، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعـة الثالثـة، القـاهرة 1973م. ص166.

(4)ابن خردإذبة، عبيد الله بن عبد الله (توفي سنة 272هـ) المسالك والممالك، تحقيـق دي غويـه، مطبعة بريل، ليدن 1889م، أوفست مكتبة المثنى، بغداد. ص5.

(5)ابن منظور، محمد بن مكرم (توفي سنة 630هـ) لسان العـرب، دار صـادر ودار بيـروت، بيروت 1956م. ج10، ص247.

(6) ياقوت، البلدان، ج6، ص629.

وتسقى بقاعها[1].

اما قدامة بن جعفر فقد ذكر في كتابه الخراج وصناعة الكتاب تعليلاً لهذه التسمية إذ قال سمي بهذا الإسم نسبة إلى القوم الذين اسكنهم اير بن افريدون أحد ملوك الفرس فسموا هذه المنطقة ايران[2]، وذهب المسعودي مذهب قدامه واضاف إلى ذلـك قولـه (ومنهم من يذهب إلى معنى ايرانشهر بلد الخير لأن اير بالفارسية الأولى جامع الخيـر والفضل ومن ذلك قولهم لرئيس بيت النار ايربذ أي رئيس الخيار الفاضلين[3].

ويساير لسترانج آراء القدماء إذ يقول سمى العرب بين النهرين الشمالي الجزيـرة والجنوبي العراق بمعنى العراق الساحل. أما كيف جرى استعمال هذا الإسم في العهود السابقة فأمر يعتريه الشك فلعله يمثل إسما قديماً ضاع الآن أو أنه أريد به في الأصـل غير هذا المعنى وكان العرب يسمونه الـسهل الرسـوبي أرض الـسواد أي الأرض السوداء واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هي والعراق لفظتين متـرادفتين فـي الغالب واصبح يراد بهما إقليم بابل جميعه[4]، كما كان العرب قد أطلقـوا علـى هـذه المنطقة إسم السواد كوصف لما امتازت به من كثرة الشجر والنخيل والزرع لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع ولا شجر فإذا ما خرجوا من أرضهم إليه ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار لأن العرب تجمع بـين الخـضرة والـسواد فـي المعنـى والتسمية[5].

ولو ناقشنا هذه الآراء التي أدلى بها الجغرافيون واللغويون حول إسم العراق لظهر

---

(1)ياقوت، البلدان، ج6، ص629.

(2) قدامه بن جعفر، (توفي سنة 337هـ) الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد 1981م. ص159.

(3)المسعودي، علي بن الحسن (توفي سنة 345هـ)التنبيـه والإشـراف، دار التـراث، بيـروت 1968م. ، ص37.

(4)ليسترانج، كي بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد 1954م. ص41.

(5) الماوردي، الأحكام، ص166.

واضحا أن الكلمة عربية وأن العرب أطلقوها على هذا الإقليم وليست مأخوذة من اللغة الفارسية لأن العرب أطلقوها على هذه المنطقة ولم يطلقوها على ألاقسام التي ذكرها حمزة الأصفهاني والتي قال عنها انها لقربها من البحر سميت إيراه فعربته العرب إلى إيراق فما داموا عربوا هذه الكلمة كان من الممكن إطلاقها الاسم على كل الإقليم الذي سميت بهذا الإسم الفارسي كما أنه ليس هو البلد الوحيد القريب من البحر بل هنالك ضمن هذا الإسم أقاليم أخرى احتفظت بإسمائها القديمة التي أطلقها الفرس عليها كما أن العرب لم يعربوا أو يغيروا اسماء كثيرة من المدن العراقية التي ظلت محتفظة باسمائها الفارسية مدة طويلة إلا في النادر بل أبقوها ولم يحأولوا تعريبها أو تغييرها. كذلك كان العرب إذا خرجوا من بلاد الحجاز ونجد واليمن واتجهوا نحو العراق يقولون اعرق[1] ومعنى ذلك الاتجاه نحو العراق. كما أن هذه الكلمه لها اشتقاقات عديدة ولها معان أخرى لذا فإن هذه الكلمة عربية ولم تعرب عن الفارسية.

ونضيف إلى ذلك أن إسم العراق أطلق مفرداً وجمعاً على مصرين استحدثا في عهد الاسلام الأول؛ فكان العرب يقولون : العراقان دلالة على المصرين الكوفة والبصرة. والعراق إذا أرادوا أحد المصرين باضافة إسم الكوفة أو البصرة ثم حذف بتوالي الزمن إسم المصرين فكان يقال عراق دلالة على أرض السواد كلها وبذلك يمكننا أن نرد قول قدامه بن جعفر الذي قال بأن التسمية جاءت من سكنى قوم من الفرس في العهود القديمة.

وأرى أن انسب الأقوال وأقربها إلى الواقع في هذه التسمية هو أن كثرة الخضرة والماء والقرب من نجد ومن البحر قد أعطته هذا الإسم وهو عراق لأن أهل البادية إذا ما انحدروا صيفا وراء الخضرة والماء لإبلهم ومواشيهم فكأنهم قد أعرقوا للبحث عن غذائهم فسموا تلك المنطقة التي أعرقوا اليها ((عراقا)).

---

(1)الطبري، محمد بن جرير (توفي سنة 310هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة 1966-1970م. ج8، ص258.

2.1 حدود العراق:

لا بد من تناول لفظ السواد لتوضيح حدود العراق وذلك؛ لأن كلمة الـسواد تـأتي مرادفة لكلمة العراق عند الحديث عن الحدود أو النهايات فى جبهة معينة. فقـد ذكـر اليعقوبي طساسيج العراق(1)، بينما أطلق عليها ابن خرداذبة وطساسيج السواد(2)، ويتفق ابن خرداذبة وابن رسته على أن السواد يبدأ من العاث وحربي على نهر دجلة(3)، بينما يذكر الماوردي وياقوت أنهما بداية حدود العراق(4). واستعمل قدامه بن جعفر اللفظـين ليعطيا المدلول نفسه، وذلك حين ذكر طساسيج العراق ومقادير ارتفاع خراجهـا فقـال "ولنبتدىء بذكر ارتفاع السواد بحسب ما هو عليه فى هذا الوقت وعلـى عبـره سـنة 204... ونسق ذلك، وحد العراق من جهة الغرب على هـذا التفـصيل"(5). ثـم بـدأ بطسوجي الأنبار ومسكن. ثم قال بعد أن ذكر أن طساسيج شرقي دجلة "فهـذه اعمـال السواد فى الجانب الغربي من دجلة وأما الجانـب الـشرقى"(6)، ثـم ذكـر طـساسيج بزرجسابور و الراذانين. وانتبه المسعودي إلى ذلك فقال "وقد حد كثير من الناس السواد وهو العراق"(7)، ويبن أنه يبدأ من قريتي العاث وحربي.

بعد هذا يظهر ان لفظ السواد هو ما كان سائدا بعد الفتح، فقد أطلقه العرب علـى العراق لأن جل أراضيه كانت مستغلة زراعيا(8).

---

(1)اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (توفي سنة 284هـ) تاريخ، ج1، ص176.

(2) ابن خرداذبه، المسالك، ص5-6؛ ابن رسته، أحمد بن عمر (توفي سنة 290هـ) الأعـلاق النفـسية، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن 1891م. ص107.

(3) ابن خرداذبه، المسالك، ص14؛ ابن رسته، الأعلاق ص105.

(4) الماوردي، الاحكام، ص173؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص174.

(5) قدامه بن جعفر، الخراج، ص162.

(6) المصدر نفسه، ص163.

(7) المسعودي، التنبيه، ص35؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص630.

(8) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (توفي سنة 279هـ ـ) فتـوح، ص366؛ المـاوردي، الاحكـام، ص173-174.

كانت حدود العراق فى صدر الاسلام تمتد فى الجهة الشمالية مع نهـر العظـيم ابتداء من دخوله جبل بارما (حمرين) إلى مصبه فى نهر دجلة، ولعل هذا النهر هـو نهر حولايا الذي ذكره أبو مخنف، وقال فى صفته أنه كان فاصلا بين أرض الموصـل وأرض الكوفة، ويقع على جانبيه طسوجا الراذانين، وتقع إلى غربه قرية البـت مـن أرض الموصل[1].

وقد ذكر ابن خرداذبه وقدامه بن جعفر أن أول طساسيج السواد شـرقي دجلـة: الراذان الأعلى، والراذان الأسفل، وبزرجسابور[2]. وأورد أبو مخنف عند تتبعه لـسير جيش المختار إلى عبيد الله بن زياد فى الجزيرة الفراتيه، أنه مر من المـدائن فـأرض جوخي، ثم الرذانات فأرض الموصل[3]. ويبين ابن رسـته والمـسعودي ويـاقوت، أن طسوج بزرجسابور هو آخر طساسيج السواد من الشمال إلى الشرق من دجلة[4]. وهكذا يتضح أن طساسيج الراذان الأعلى والراذان الأسفل وبزرجسابور الواقعة على جـانبي نهر العظيم هي آخر أرض العراق إلى الشمال ما بين جبل بارما (حمرين) ونهر دجلة.

وقال أبو عبيد أن حد السواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخـوم الموصـل ماراً مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان[5]، ويضيف ابن رستة على القـول قـائلا "وحدث غيره ان عمر امر بمساحة السواد كله وطوله من العلث إلى عبادان"[6]، ويذكر ابن خرداذبه وابن رستة والمسعودي أن طول السواد من علث وحربي إلى عبـادان[7]،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص351-352، ج8، ص53.

(2) ابن خرداذبه، المسالك، ص8؛ قدامه بن جعفر، الخراج، ص163.

(3) الطبري، تاريخ، ج، ص40.

(4) ابن رسته، الأعلاق، ص105؛ المسعودي، التنبية، ص35؛ ياقوت، البلدان ، ج1، ص608.

(5) أبو عبيد، القاسم بن سلام (توفي سنة 224هـ) الأموال، تحقيق محمد خليل الهـراس، مكتبـة الكليات الأزهرية، القاهرة 1968م. ص103.

(6) ابن رسته، الأعلاق، ص105.

(7) ابن خرداذبه، المسالك، ص12؛ ابن رسته، الأعلاق ، ص105؛ المسعودي، التنبيه، ص35.

وتقع قرية العلث هذه في آخر طسوج بزرجسابور إلى الشمال قليلا من مـصب نهـر العظيم[1].

ويقابل قرية العلث غربي دجلة قرية حربى، وهي في آخر طسوج مـسكن مـن الشمال[2]، وطسوج مسكن آخر طساسيج السواد غربي دجلة، ويفصله عن بزرجسابور عرض دجلة[3]، وتقع حربى جنوبي بلد الحالية بنحو22 كم شمال بغداد بنحو 90 كـم. وهي على خط عرض°34 شمالا وقد كان نهر الدجيل يمر بها[4]. وتعد العلث وحربى من أرض الموصل لا من السواد فقد ذكر المدائني أن حد السواد من الشمال يبدأ مـن (العلث وحربى وهما من أرض الموصل) [5].

وفى نهاية أرض طسوج مسكن من الجنوب الغربي يقع دير الجاثليق، وهو مـن العراق[6]. ويشكل دير الجاثليق رأس الحد بـين الـسواد وأرض تكريـت[7]. ويـذكر الجغرافيون العرب أن أرض تكريت، وهي إلى الشمال مـن طـسوجي بزرجـسابور ومسكن، من أرض الموصل لا من العراق[8].

---

(1) ابن رسته، الأعلاق، ص105؛ المسعودي، التنبيه، ص35.

(2) ابن رسته، الأعلاق، ص105؛ المسعودي، التنبيه، ص35.

(3) ابن خرداذبه، المسالك، ص8.

(4) ياقوت، البلدان، ج2، ص235.

(5) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (توفي سنة 365هـ)الأوائـل، تحقيـق محمـد الـسيد الوكيل، نشر أسعد طرابزوني، المدينة المنورة 1966م. ص135.

(6)سوسه، احمد، ري سامراء، ج2، ص497؛ شترك، ديـر الجـاثليق، دائـره المعـارف، ج9، ص359.

(7)البكري، عبد الله بن عبد العزيز (توفي سنة 487هـ) معجم ما اسـتعجم مـن إسـماء الـبلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1954م. ج2، ص572؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص650.

(8) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص226؛ ابن رسته، الأعلاق، ص106؛ الاصطخري، ابـراهيم بـن محمد الفارسي (عاش في القرن الرابع الهجري) مسالك، ص78.

وإلى الجنوب الغربي من طسوج مسكن يقع طسوج الأنبار الذي يرويه نهر عيسى الخارج من الفرات جنوبي مدينة الأنبار، وهو أول طساسيج السواد على الفرات[1]. وقد كانت مدينة هيت تعتبر ضمن حدود العراق[2] أحيانا، وخارجة عن هذه الحدود أحيانـا اخرى[3]. ويوضح اليعقوبي هذا التبدل بعد ذكره حدود العراق "إلا أن يتعـاور القـوم فيدخل الفرس بلاد الروم على المغالبة، وربما دخل الروم بلاد الفرس"[4]، ولعل فى هذا توضيحا لاختلاف الحدود من الناحية السياسية بين فترة واخرى.

ويبدو أن هيت ظلت تابعة إداريا للعراق حتى بداية الدولة الأموية، فقد ورد أن بها لأهل الكوفة عمالا زمن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب[5]. ولما ولي معاوية بن ابي سفيان الحكم فصل هيت عن الأنبار وجعلها تابعة للجزيرة الفراتية، وفي ذلك يقول ياقوت "لم تزل هيت وعانات مضمومة إلى عمل الأنبار إلى أن ملك معاوية بـن أبـي سفيان فأفردها من الأنبار وجعلها من أعمال الجزيرة"[6]. وأصبحت هيت منـذ ذلـك الوقت من اعمال الجزيرة الفراتية[7].

ويضع البكري مدينة بقة حدا لأرض العراق فيذكر "بقة مدينة على شاطئ الفرات، وهي حد العراق"[8]. وتقع بقة هذه بين هيت والأنبار[9]. وكانت منطقة الأنبـار آخـر

(1) ابن خرداذبه، المسالك، ص7.

(2) ابن رسته، الأعلاق، ص107؛ البكري، معجم، ج3، ص914.

(3) أبوعبيده، النقائض، ج1، ص267.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص177.

(5) البلاذري، فتوح، ص212.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص929.

(7) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص133.

(8) البكري، معجم، ج1، ص464.

(9) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص208؛ المسعودي، مروج، ج2، ص69.

أجزاء العراق من جهة الجزيرة الفراتية[1].

يتبن مما سبق أن حدود العراق تبدأ فى الشمال الشرقي عند مدخل نهر العظيم فى جبل بارما وتساير مجرى النهر على ضفتيه حتى مصبه فى دجلة قرب العلـث، ثـم تسيرغربا إلى قرية حربى، ثم إلى دير الجاثليق فمدينة بقة على نهر الفرات بين هيـت والأنبار.

وفى القرن الثالث الهجري حصل تعديل فى حدود العراق الشمالية على نهر دجلة وذلك بعد بناء سامراء، فقد ذكر البكري أن المعتصم اختزل كـورة تكريـت وكـورة الطيرهان لاتصالهما بسامراء مـن أرض الموصـل واضـافهما لأرض العـراق[2]، وصارت حدود العراق تنتهي إلى مدينة العقر، وهى نقطة حدود لنزول القوافـل بـين أرض العراق وأرض الموصل[3]. وتقع هذه المدينة شرقي دجلة شمال مصب الـزاب الأسفل. وكانت مدينة السن التى تقع على هذا المصب آخر مدن العراق[4].

إن هذا التوسع فى حدود العراق هو الذي أوجد الارتباك بين المؤلفين فـى بيـان حدود كل من السواد والعراق من الشمال، فقد ذكر المسعودي أن العراق يبدأ من مدينة السن[5]، وهى حد العراق فى أيامه، ثم ذكر مرة اخرى أن السواد هو نفس العراق ويبدأ من العلث وحربي إلى عبادان[6]. ويذكر الماوردي وياقوت أن أرض العراق تبدأ مـن العلث وحربي أي يعطيان تحديد العراق الأول من الناحية الجغرافية الطبيعية، فالمناطق

---

(1) ابن خردانبه، المسالك، ص237؛ الاصطخري، المسالك، ص272؛ ابن حوقل، محمد بن علـي (توفي سنة 356هـ) صورة الأرض، ألّف الكتاب حوالي 356هـ، دار مكتبة الحياة، بيـروت. ص185.

(2) البكري، معجم، ج4، ص1278.

(3) ياقوت، البلدان، ج2، ص796.

(4) المقدسي، أحسن، ص123-145؛ المسعودي، التنبية، ص33؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص169.

(5) المسعودي، التنبية، ص33.

(6) المصدر نفسه، ص35.

التى اضيفت للعراق (كورتا تكريت والطبرهان) ليست اصلا منه بل هما مـن أرض الموصل. ويقولان أن السواد يبدأ من حديثة الموصل قرب مصب الزاب الأعلـى فـى دجلة وذلك اعتمادا على أن لفظ السواد لفظ يراد بـه الأرض الزراعيـة، إذ يعـرف الماوردي السواد بأنه القسم الذي تغطيه الزروع والأشجار[1].

ليس ثمة مشكلة فى حدود العراق على نهر الفرات وذلك لاستقرار هـذه الحـدود وثباتها فضلا عن أن السواد بمدلول المناطق الزراعية المتصلة ينتهـي بنهايـة أرض الأنبار جنوب هيت. وليس هناك اختلاف أيضا فى حدود العراق من الشرق والغرب.

إن حدود العراق من الجهة الشمالية الشرقية قبل بناء سامراء كانت تبدأ من بداية السهل الرسوبي عند مدينة بلد[2]على دجلة، وهي تقع شمال حربي، ولعل فيمـا ذكـره الخطيب البغدادي من أن العراق يمتد من بلد عبادان[3] اشارة إلى ذات المفهـوم. أمـا بداية السهل الرسوبي على نهر الفرات فيقع شمال الرمادي بعشرين كيلو متراً[4].

ويحد العراق من الغرب البادية، ويظهر هذا فى تحديد الاصطخري للعراق فـي خارطته إذ راعى تأخر البادية وتقدمها نحو أرض العراق، كما ذكر ذلك عند الحـديث عن حدود الجزيرة العربية وبادية الشام مع أرض العراق[5].

وفى أطراف البادية القريبة من العراق عيون مياه يقال لها عيون الطف مثل عين أباغ والقطقطانة وعين الرهمية ولعلع وذي قار والمنجشانية[6]. ولم تكن هذه العيون من أرض العراق بل كانت فى الأراضي المحاذية له، فيذكر الأصمعى وأبو سعيد أن كلمة

(1) الماوردي، الأحكام، ص172-173؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص174-175.

(2) خلف، جاسم محمد، جغرافية العراق، ص41، 183، 184؛ سوسه، تطور الري، ص5.

(3) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (توفي سنة 463هـ) تـاريخ بغـداد، ج1، ص24.

(4)الهاشمي، طه، جغرافية العراق، ص50، 185.

(5) الاصطخري، مسالك، ص6، 79.

(6) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص187؛ البلاذري، فتوح، ص365.

(طف) تعني مادنا من ريف العراق[1] ويذكر ابو عبيد ان ذي قـار متاخمـة لـسواد العراق[2]. ويذكر الساجي (ت282هـ) فى كتابة البصرة: المنجشانية حـد كـان بـين العرب والعجم بظاهر البصرة، وهو عين الماء[3]. ويقول ابن الأعرابي: عـين ابـاغ بطرف أرض العراق مما يلي الشام، وهي فيما وراء الأنبار[4]. ويروي سيف أن عمر بن الخطاب اخبر المثنى بن حارثة أن ينزل العيون التي تقع بين حدود أرض العـرب وأرض العجم فنزل من معه ذي قار وتوزعوا فى عيون الطف الاخرى[5].

كانت هذه العيون تعد من ديار العرب، وكان سابور ذو الأكتـاف (310-379م) قد بنى سورا يمر على هذه العيون من هيت إلى كاظمة على الخليج العربي، وجدد هذا السور كسرى انوشروان (531-579م)[6]، ومهما كانت صحة بناء هذا السور فإنه يدل على الاجراءات التى اتخذت لمنع القبائل العربية الدخول لأرض العراق. وقـد اقطـع انوشروان بعض هذه العيون لرؤساء المسالح الفارسية فى المنطقة ثم استعادتها القبائل بعد معركة ذي قار. وقد صارت هذه العيون بعد الفتح العربي عشرية وبقيـت تابعـة إداريا للمدينة المنورة حتى أيام المتوكل حين ضمت إلى العراق، وهذا يؤكد أنها ليست من أرض العراق بل من أرض الجزيرة العربية[7].

كانت أرض العراق فى منطقة الحيرة تنتهي إلى العذيب، فقد مـسح عمـر بـن الخطاب السواد من العذيب إلى حلوان[8]. وتشكل العذيب أول البادية بعد الخروج مـن

(1) ياقوت، البلدان، ج3، ص539.

(2) البكري، معجم، ص1042.

(3) ياقوت، البلدان، ج4، ص658.

(4) البكري، معجم، ج1، ص95.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص478، 482.

(6) البلاذري، فتوح، ص365.

(7) البلاذري، فتوح، ص365.

(8) أبوعبيد، الأموال، ص103؛ ابن خردانبه، المسالك، ص14.

السواد[1].كما انها تشكل الحد بين الجزيرة العربية والعراق[2].

وتبدأ حدود العراق فى الجنوب بعبادان على الخليج العربي وهي من العـراق[3]. وكان دجلة العوراء (شط العرب) بين عبادان ومدينة بيان الحد بـين أرض الاهـواز وأرض البصرة. وكانت كورة جبى التي تقع إلى الشرق من دجلة العـوراء مـا بـين عبادان وبيان من الاهواز[4]. وتتجه الحدود من بيان شمالا إلى مدينة الطيب مارة غرب أرض السوس[5]. وتقع مدينة الطيب ما بين العراق والاهواز[6]، في بداية الجبـال [7]، وهى إلى الشرق من واسط. فيذكر الاصطخري أن عرض العراق عنـد واسـط مـن واسط إلى الطيب[8].

ومن الطيب تسير الحدود باتجاه شمالي غرب محاذيـة للجبـال مـارة بـأرض الصميرة وأرض السيروان[9]، وهما من الجبال[10]، ويذكر الاصطخري المراحل بـين بغداد وطرف العراق الشرقي فيقول أنهما من بغداد إلى الصميرة ومـن بغـداد إلـى السيروان[11]. وإلى الشمال من السيروان تقع مدينة حلوان وهى آخر مدن العراق شرقا

(1) ابن رسته، الأعلاق، ص175؛ المسعودي، مروج، ج2، ص312؛ الادريسي، محمد بن عبد الله (توفى سنة 560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر ايطاليا، ج4، روما 1974م. ص383.

(2) ابن الفقيه، مختصر، ص128.

(3) أبوعبيد، الأموال، ص103؛ ابن رسته، الأعلاق، ص104.

(4) الاصطخري، المسالك، ص80، 95؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص208؛ المقدسي، أحـسن، ص412، 419.

(5) الاصطخري، المسالك، ص79؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص208.

(6) الاصطخري، المسالك ، ص95؛ الادريسي، نزهة، ج4، ص392.

(7) ياقوت، البلدان، ج3، ص566.

(8) الاصطخري، المسالك، ص79، 95؛ الاصطخري، اقاليم، ص45؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص208.

(9) المقدسي، البدء، ج4، ص78؛ ابن حوقل، صورة للارض، ص212.

(10) ابن الفقية، مختصر كتاب، ص209.

(11) الاصطخري، المسالك، ص79؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص212.

بمحاذاة الجبال[1]. وتقع حلوان على نهر الورد، أحد روافد نهر ديـالي، حيـث تـسير الحدود معه باتجاه شمالي غربي إلى قصر شيرين[2] ثم إلى خانقين، ثم يصب الوند في نهر ديالي غرب خانقين. ويذكر البلاذري بعد فتح خانقين أنه لم يبق من سـواد دجلـة ناحية إلا غلب عليها المسلمون وصارت فى أيديهم [3]، وكانت خانقين حد العراق فـى هذه الناحية[4].

ثم تسير الحدود مع نهر ديالي الذي يشكل حدود شهرزور من الجنوب مـع أرض العراق[5]. ثم يسير نهر ديإلى إلى مدينة جلولاء [6]، ثم يخترق جبـل بارمـا، وتتجـه الحدود مع الجبل وجهة شمالية غربية إلى نهر العظيم.

3.1 المياه في العراق :

يجري فى العراق نهري دجلة والفرات، ولكل نهر وضعه الجغرافى الخاص بـه مما أثر فى توزيع قنوات الري والأنهار الفرعية إلى السهول. فهما لا يصلحان للـري المباشر إلا بعد دخولهما العراق لأنهما يجريان فى أودية عميقة مما يمنع الإفـادة مـن مياههما إلا بآلات رافعة [7]. وقد أشار الهيثم بن عدي إلى هذه الظاهرة حين ذكر أنه لا يستفاد من مياه النهرين بشكل جيد إلا بعد دخولهما أرض العراق[8]. ويوضح ذلك يزيد بن عمر الفاسي قائلا: يشتغلان عن جميع الأراضي التى يمران بهما، ولا ينتفع بمائهما

---

(1) أبوعبيد، الأموال، ص103؛ ابن خرداذبة، المسالك، ص14.

(2) ليسترانج، بلدان الخلافة، ص88.

(3) البلاذري، فتوح، ص324، 334.

(4) أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (توفي سنة 732هـ) تقويم البلدان، تحقيق رينود ومـاك كوكين ديسلأن، دار الطباعة السلطانية، باريس 1850م. ص307.

(5) شهرسبز، شهرزور، دائرة المعارف الاسلاميه، ج13، ص418.

(6) سترانج، بلدان، ص87.

(7) الهاشمي، جغرافية، العراق، ص42، 185.

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص57.

فى غير السواد إلا بالدوالي والدواليب بمشقة وعناء[1].

وتبدأ الافادة من نهر دجلة للري المباشر حين دخوله السهل الرسوبي عند مدينـة بلد[2] شمالي حربي، كما يبدأ الأخذ من الفرات حين دخوله الرمادي[3] عند بداية السهل الرسوبي، ولهذا تبدأ كمية المياه بالنقصان بشكل ملحوظ فى نهر الفرات بعد خروجـه من الرمادي[4] بسب توزع مياهه فى القنوات الخارجة منه.

وتنحدر أرض العراق تدريجيا من الشمال إلى الجنوب، ويكـاد هـذا الانحـدار يتلاشى فى الجنوب[5]، مما ساعد على ارتفاع مستوى مجاري الأنهارلكثرة الترسبات وجعل المنطقة الجنوبية معرضة لأخطار الفيضانات أكثر من غيرها، وأدى بالتالى إلى تكون البطائح فيها.

إن ضفاف نهر الفرات بين الرمادي والديوانية اعلى من ضفاف نهر دجلـة بـين بغداد والكويت[6]، حيث يبلغ ارتفاع مستوى الفرات 59م فوق سـطح البحـر جنـوب الرمادي عند الفلوجة، و 25.5م في الديوانية، بينما يبلغ ارتفاع مستوى دجلة عند بغداد 31.5م فوق سطح البحر، وعند الكوت (ماذرايا) 24م[7]. ولكن الوضع ينعكس بعد ذلك إذ أن مستوى دجلة والكوت والقرنة اعلـى مـن مـستوى الفـرات بـين الديوانيـة والناصرية[8]. إن هذه الطبيعة الجغرافية لمجرى النهرين تحكمت فى توزيـع قنـوات الري فى أرض العراق.

---

(1) ياقوت، البلدان، ج3، ص176.

(2) الهاشمي، جغرافية العراق، ص41-42؛ الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق، ص22.

(3) سوسه، تطور الري، ص2؛ الدوري، تاريخ العراق، ص22.

(4) سوسه، تطور الري، ص2.

(5) الهاشمي، جغرافية العراق، ص18؛ المعاني، خطاب، جغرافية العراق، ص17.

(6)الهاشمي، جغرافية العراق، 51-58.

(7)الخاف، جغرافية، ص83-189؛ الهاشمي، جغرافية العراق، ص58.

(8) الهاشمي، جغرافية العراق، ص58؛ الخاف، جغرافية، ص179، 183.

يخرج من الفرات عدة أنهار وقنوات فرعية تسقي المنطقة الواقعة بين النهـرين، فهناك أربعة أنهار تأخذ من الفرات إلى دجلة وهي من الشمال إلى الجنوب:

1- نهر عيسى: يأخذ من الفرات جنوب الأنبار عند قرية يقال لهـا دممـا، وعلـى مخرجة قنطرة كبيرة سميت قنطرة دمما(1). ويتجه هذا النهر باتجاه بغـداد حيـث يصب فى دجلة أسفل منها، فيمر أولا فى طسوج الأنبار وتتفرع منه على الجـانبين عدة قنوات تسقي بساتين وقرى طسوج الأنبار(2). وفى نهاية هذا الطـسوج وعنـد قنطرة المحور يتفرع إلى عدة قنوات كبيرة منها الصراة(3)، وكرخايا(4)، وتقع على هذه القنوات عدة قناطر يتفرع من كل منها قنوات صغيرة إلـى جميـع الأراضـي بادوريا(5). وكان نهر عيسى من أكبر الأنهار التي شقت مـن نهـر الفـرات إلـى دجلة(6).

2- نهر صرصر(7): ومخرجه من الفرات جنوب دمما بثلاث فراسـخ(8). ويـسير باتجاه جنوبي شرقي ويصب في دجلة بين بغداد والمدائن(9) على بعد ثلاثة فراسـخ من بغداد(10). ويسقي أراضي طسوجي الفلوجة العليا وبهر سير. ويختلف عن أنهار الفرات بصعوبة الري منه فيذكر سهراب موضحا ذلـك "وهـو ذوب يـسقى منـه

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، البلدان، ص51؛ سهراب، عجائب، ص23.

(2) سهراب، عجائب، ص123؛ الاصطخري، المسالك، ص84-85.

(3) سهراب، عجائب، ص123؛ الاصطخري، المسالك، ص85.

(4) سهراب، عجائب، ص123.

(5) المصدر نفسه، ص123.

(6) الاصطخري، المسالك، ص85؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص217.

(7) سهراب، عجائب، ص124، الاصطخري، المسالك، ص85؛ الطبري، تاريخ، ج8، ص217.

(8) سهراب، عجائب، ص124.

(9) المصدر نفسه، ص217؛ ابو الفداء، تقويم،ص52.

(10) الاصطخري، المسالك، ص85؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص217.

بالدواليب والشواديف"[1].

3- نهر الملك[2]: ومخرجه جنوب مخرج نهر صرصر بخمسة فراسخ، ويصب في دجلة جنوب المدائن بثلاثة فراسخ[3]، ويتفرع منه عدة قنوات[4]. ويذكر سهراب والاصطخري وياقوت ان منطقته اعظم سواد العراق واعمره[5]. ويسقي أراضي طسوجي نهر الملك والرومقان.

4- وآخر نهر يخرج من الفرات نهر كوثي[6]، ومخرجه أسفل مخرج نهر الملك بثلاثة فراسخ[7]، ويصب أسفل المدائن بعشرة فراسخ، وتتفرع منه عدة قنوات[8]. ويسقي طساسيج كوثي ونهر درقيط ونهر جوبر.

ويسير نهر الفرات نحو الجنوب مسافة ستة فراسخ بعد مخرج نهر كوثى[9]، حيث ينقسم إلى قسمين الغربي ويمر بطرف الكوفة، وكان يقال له العلقم، والشرقي وكان يقال له سورا[10]، وهو أكبر من العلقم ثم يلتقي سورا والعلقم إلى الشرق من الولجة ويدخل نهر الفرات بعدها بقليل منطقة البطائح. وتتفرع من نهر سورا عدة قنوات[11] مثل نهر أبي رحا قرب قصر ابن هبيرة، ثم سورا الأسفل، والنرس، والصراة الكبرى التي تتجه

(1) سهراب، عجائب، ص124.
(2) سهراب، عجائب، ص124؛ الاصطخري، أقاليم، ص48؛ البلاذري، فتوح، ص312.
(3) سهراب، عجائب، ص144؛ ابو الفداء، تقويم، ص53.
(4) سهراب، عجائب، ص124.
(5) سهراب، عجائب، ص124؛ الاصطخري، المسالك، ص85.
(6) سهراب، عجائب، ص124؛ ابن الفقية، مختصر، ص75؛ ابن رسته، الأعلاق، ص183.
(7) سهراب، عجائب، ص124.
(8) المصدر نفسه، ص124.
(9) سهراب، عجائب، ص124.
(10) المصدر نفسه، ص124.
(11) المصدر نفسه، ص124.

نحو دجلة إلى مدينة النيل[1].

ويتفرع من العلقم عدة انهار إلى منطقة الحيرة[2]، ويـذكر يـاقوت أن المنطقـة الواقعة بين الخورنق والحيرة والنجف كانت تكثر فيها الأنهار[3]. ويـذكر المـسعودي وكان الأكثر من ماء الفرات يصب وينتهى إلى بلاد الحيرة[4]. وكانت على نهر العلقـم قنطرة (سد) كبيرة عند اليس سميت مجمع الأنهار تخرج منها القنوات إلى غرب النهر، ويرد ذكر هذه القنطرة أثناء الفتوح وأيام مصعب بن الزبير [5]. كما ويرد ذكر قنـاطر فى الحيرة والقادسية والسيلحين[6]. وكان يروي منطقة كربلاء نهران شقا إليهـا مـن الفرات سميا بنهري كربلاء[7].

إن أكثر مياه الفرات كانت تتوزع فى القنوات والأنهار الخارجـة منـه، ولعـل الجاحظ أراد ذلك حين قال "إنما الفرات دمما إلى ما اتصل به من بلاد الرقـة وفـوق ذلك"[8]. مشيرا إلى تناقص منسوب المياه فى الفرات بعد ابتداء شبكة القنوات الخارجة منه.

أما نهر دجلة فيخرج منه نهران الدجيل والنهروان بالقرب من سـامراء. يأخـذ الدجيل من الضفة اليمنى لدجلة الى الجنوب من سامراء ويتجه جنوبا إلى الغرب مـن دجلة فيمر بحربى، ويخترق أراضي طسوج قطربل، وينتهي شمالي غـرب بغـداد[9].

---

(1) المصدر نفسه، ص124، 125.

(2) البلاذري، انساب، ج5، ص258؛ الطبري، تـاريخ، ج3، ص358، 474، 492، 502، ج6، 99، ج7، ص187.

(3) ياقوت، البلدان، ج1، ص491.

(4) المسعودي، مروج الذهب ، ج1، ص121 .

(5) البلاذري، فتوح، ص297؛ ياقوت، البلدان، ج1، ص363.

(6) ابن سعد، محمد، الطبقات، ج6، ص145؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص502، 508.

(7) الطبري، تاريخ، ج7، ص187.

(8) الجاحظ، البلدان، ص502.

(9) سهراب، عجائب، ص139؛ الاصطخري، مسالك، ص77.

ويقول الاصطخري "واسفل من تكريت نهر الدجيل الذي يأخذ من دجلة فيعمـر عليـه قطعة كبيرة من سواد بغداد حتى يقارنها"[1].

ومن أهم الأنهار التي شقت من دجلة نهر النهروان الذي كـان يـسقي أراضـي واسعة شرق دجلة فضلا عن تغذيته نهر ديالي (تامرا) فى المنطقة الجنوبيـة منـه[2]، وكان يأخذ النهروان من شمالي موضع سامراء وجنوبها ثم يـدخل العـراق مخترقـا أراضي طسوج بزرجسابور، ويتجه جنوبا إلى أن يمر بالقرب من بعقوبا، ثـم يـسير جنوبا موازيا لديالي ثم يقطعه جنوب باجسترا، وكان يقال لهذا القسم القاطول الكسروي، ثم يتجه جنوبا إلى مدينة النهروان ثم يتجه إلى الشرق الجنوبي مارا بأراضي طـسوج النهروان الأعلى إلى عبرتا، ومنها يمر بأراضي طسوج النهروان الأوسط إلى اسكاف، ثم يسير إلى دجلة حيث يصب فيه قرب جريجرايا بعد ان يختـرق أراضـي طـسوج النهروان الاسفل، وكان يطلق على القسم الواقع بين باجسرا وجرجرايـا النهـروان[3]. وكان يتفرع من هذا النهر عدة قنوات على جانبيه خاصة فى المنطقـة الواقعـة بـين النهروان وجرجرايا ويتفرع منه ما بين باجسرا ومدينة النهروان نهرا بوق وبين. وكانا يرويان أراضي طسوجي نهر بوق وكلواذى ونهر بين[4].

وقد اقيم على مدخل نهر العظيم، وهو أحد روافد دجلة، فى جبل بارما سد كانـت تتفرع منه قنوات إلى الأراضي المجاورة لمجرى النهر. وكان نهـر العظـيم يـروي أراضي طسوجي الرذانين وقسم من أراضي طسوج بزرجسابور الا ان عمق مجـراه جعل من المتعذر شق قنوات من ضفافه[5].

---

(1) الاصطخري، مسالك، ص77؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص205، .

(2) الاصطخري، مسالك، ص84، 86؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص218.

(3) سهراب، عجائب، 127-128؛ الاصطخري، مسالك، ص86؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص120.

(4) سهراب، عجائب، ص129؛ ابن رسته، الأعلاق، ص163.

(5) الهاشمي، جغرافية العراق، ص45.

وكان يتفرع من نهر ديالي عند دخوله جبل بارما عدة قنوات[1] أهمها قناة بـراز الروز، وتتجه إلى الجنوب الشرقي وتمر من مدينة براز الروز، وتنتهي إلى الشمال من اسكاف، وكانت تسقي أراضي طسوج براز الروز، كما أنها تمر عند خروجها من جبل بارما بأراضي طسوج الدسكرة والرستاقين ويأخذ من ديالي قناة مهروذ إلى الشرق من مجرى ديالي، ثم قناة سلسل بين مهروذ ونهر ديالي، وهاتان القناتـان كانتـا تـسقيان أراضي طسوج سلسل ومهروذ وطسوج الدسكرة والرستاقين. وإلى الغرب من مجرى ديالي كانت هناك قناة الخالص، وتمتد من جبل بارما حتى عكبرا فتلتقي بدجلة هنـاك، وكانت تمر بأراضي طسوج الذيبين وأسفل أراضي طسوج بزرجسابور[2]. وكان قـد شق عند خانقين، وهي على أحد روافد ديالي، عدة قنوات تخرج إلى أراضـيها التـي تشكل طسوج روستقباذ الذي كان بين خانقين وجلولاء[3]، ويذكر أبودلف أنه يقع علـى نهر تامرا عند خانقين قنطرة عظيمة الشأن تكون أربعة وعشرين طاقا كل طاق يكـون عشرين ذراعا[4]. وكان يسقي أراضي جلولاء شمالي بارما عدة قنوات تخرج من نهر ديالي أعظمها قناة تخرج جنوب جلولاء وتسير إلى الشرق موازية لجبـل بارمـا[5] ، وكانت هذه القنوات تسقي أراضي طسوج جلولاء وجللتا فيما بين جلولاء وجبل بارما.

اما منطقة البطائح بين واسط والبصرة فكانت تسقى بأنهار تأخذ من نهـر دجلـة ومن البطائح، وكان دجلة يسير في مجراه الحالي من الكوت شرقا، ثـم يتجـه نحـو الجنوب فيمر من عبدسي والمذر ثم يلتقي بمياه الفرات قرب القرنة[6]، فلما كانت ايـام

---

(1) ابن رسته، الأعلاق، ص64.

(2) سهراب، عجائب، ص128؛ ياقوت، البلدان، ج1، ص813، ج4، ص846؛ سوسه، فيـضانات بغداد، ج1، ص112.

(3) الطبري، تاريخ، ج7، ص412.

(4) ابن رسته، الأعلاق، ص164.

(5) ياقوت، البلدان، ج2، ص108.

(6) ابن رسته، الأعلاق، ص95؛ المقدسي، بدء، ج1، ص74-75.

قباذ بن فيروز(488-531م) غلبت الرواسب على قاع النهر فغير مجراه[1] من الكوت إلى مكان واسط ثم إلى منطقة البطائح أي إلى مجرى نهر الدجيل الحالي[2].

وشقت في منطقة البصرة شبكة من القنوات، وكان لها نظام خاص، وذلك لحصول المد والجزر يوميا في الخليج العربي مما يؤثر على مياه دجلة (شط العرب) [3]. ففي أوقات المد كانت المياه تتوزع في الأنهار والقنوات الفرعية، وفي أوقات الجزر تتراجع المياه بذاتها من غير عناء، لذلك لم تستعمل أدوات الري في المنطقة[4] ، ويوضح ذلك المقدسي بقوله "وليس بالعراق ماء جار إلا بالدواليب والسواقي غير أرض البصرة فإن المد يسقيها"[5].

4.1 المناطق الزراعية :

تنتشر المناطق الزراعية في العراق وفق توزع الأنهار والقنوات، ويمكن تقسيم الأراضي الزراعيه إلى المناطق الاتية: سقي نهري العظيم والنهروان، وسقي تامرا، وحلوان، والبندنيجين (مندلي) وبادرايا وباكسايا، وكلها تقع إلى الشرق من دجلة، ومنطقة ما بين النهرين، والبطائح، وكور دجلة.

تبدأ منطقة العظيم والنهروان بأراضي طسوجي الرذانين، ما بين جبل بارما وطسوج بزرجسابور، وأراضي طسوج الواقعة على جانبي النهروان من العلث حتى نهر ديالي، وتشمل أيضا أراضي طسوج نهر بوق وطسوج كلواذى ونهر بين شمال شرق بغداد، ثم أراضي طسوج جازر والمدينة العتيقة حول المدائن، أراضي طساسيج

---

(1) البلاذري، فتوح، ص358؛ سوسه، ري سامراء، ج2، ص427.

(2) المسعودي، التنبيه، ص36-37؛ شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت 727هـ)، نخبة، ص96.

(3) ابن الفقيه، مختصر، ص187.

(4) المقدسي، أحسن، ص124-125؛ الجاحظ، البلدان، ص504

(5) المقدسي، بدء، ج4، ص74؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص212

النهروان الأعلى والأوسط والأسفل على جانبي النهروان من مدينـة النهـروان حتـى التقائه بدجلة قرب جرجرايا[1]. وتمتد أراضي طسوجي النهروان الأوسـط والاسـفل غربا حتى نهر دجلة، وكانت دير العاقول مركز الطسوج الأوسط وجرجرايـا مركـز الطسوج الاسفل[2].

ويبدو أن هذه المنطقة كانت تشكل شريطا من السهول الزراعية، خاصة الأراضي الواقعة بين بغداد والنهروان التي كانت أخصب أراضي هذه المنطقة، ويوضح ذلك ابن رستة فى تتبعه لمسافات العراق قائلا : "ومن بغداد إلى النهروان الطريق فيـه نخيـل ومزارع متصلة"[3]. ويبين ذلك الاصطخري بقوله : "فإذا جزت النهروان إلى الدسكرة حفت المياه والنخيل"[4]. ويذكر الجغرافيون العرب كثرة البساتين فى كل من: عكبـرا والنهروان وبغداد والمدائن[5]. ويشير الاصطخري إلى عمارة هذه المنطقة عندما ذكـر كل من مدن عكبرا والبردان والنعمانية ودير العاقول وجرجرايا وجبل كورة ثم يضيف "وهي مشتبكة العمارة"[6].

ويمكن الاستفادة من قائمة الواردات التي ذكرها ابن خرداذبة وقدامة بـن جعفـر لارتفاع خراج طساسيج العراق[7]. فى توضيح كلام الجغرافيين العرب عـن عمـارة بعض المناطق إلى حد ما فى سعة الأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة خاصة، وذلك أن خراج الأشجار كان يؤخذ على حساب الجريب. وتؤكد قائمة الواردات هذه عمـاره

---

(1) ابن خرداذبه، مسالك، ص6؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص159-161.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص221.

(3) ابن رسته، الأعلاق، ص163.

(4) الاصطخري، أقاليم، ص50؛ ابن حوقل، صورة الأرض2، ص218-219.

(5) ابن رسته، الأعلاق، ص163؛ المقدسي، أحسن، ص119-12؛ ابن حوقل، صـورة الأرض، ص218.

(6) الاصطخري، اقاليم، ص49.

(7) ابن خرداذبه، مسالك، ص6؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص163-165.

منطقه سقي العظيم والنهروان وكثرة المزارع والبساتين فيها.

ويلاحظ من مقادير ارتفاع الورق سعة الأراضي المزروعة بالأشجار في طساسيج بزرجسابور ونهر بوق وكلواذي ونهر بين جازر والمدينة العتيقة والنهروان الأعلـى، ويلاحظ تقاص الأراضي المزروعة بالحبوب نظرا لتوسيع البساتين، كما يلاحظ سـعة المساحات المزروعة بالحبوب فى الرذانين وبزرجسابور من ارتفاع خراجهما من القمح والشعير، ويوافق ذلك كثرة البيادر.

أما منطقة تامرا فتمتد من النهروان إلى خانقين[1] على ضفاف تـامرا والقنـوات الخارجة منه. وتعد هذه المنطقة من اخصب الأراضي في العراق، فقد ذكر ابن وحشية ان الجريب منها كان يريع من 36 إلى 40 قفيزا فى السنة[2]. وتكثر في هذه المنطقـة زراعة الارز[3]، والزيتون، والنخيل [4]. ويبدو من قائمـة الـواردات أن الأراضـي الواقعة على ضفاف مجرى تامرا كانت أكثر الأراضي زراعـة بالاشـجار ، وذلـك لارتفاع مقدار الخراج النقدي لطسوجي سلسل ومهروذ وروسـتقباذ، الـواقعين علـى ضفاف النهر.

وآخر منطقة زراعية شرق دجلة هي منطقة طسوجي بادرايا (بـدره) وباكـسايا، وهما إلى الشمال الشرقي من الكوت حتى الجبال. وتبدو سـعة الـسهول المزروعـة بالحبوب والأشجار المثمرة فى هذه المنطقة إذ تأتي فى المرتبة الثانية بـين طـساسيج شرقي دجلة [5].

---

(1) ابن خرداذبه، مسالك، ص6؛ قدامه بن جعفـر، الخـراج، ص163؛ يـاقوت، البلـدان، ج3، ص227.

(2) ابن وحشه، الفلاحه النبطية، رقم162، ص77.

(3) ابن خرداذبه، مسالك، ص6.

(4) ابن رسته، الأعلاق، ص163-165,187.

(5) ابن خرداذبه، مسالك، ص6؛ ابن الفقيه، مختـصر، ص210؛ المقدسـي، أحـسن، ص123؛ الاصطخري، مسالك. ص87؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص20.

أما الأراضي الواقعة بين النهرين، دجلة والفرات، التي ترويها أنهار الدجيل وعيسى وصرصر والملك وكوثى وسورا والعلقم، فهي من أخصب المناطق الزراعية فى العراق، وأكثفها زراعة بالأشجار المثمرة خاصة. وتظهر مدى عمارتها من وصف الجغرافيين العرب لها، فيذكر اليعقوبي "والمسافات من بغداد إلى الكوفة فى عمارات وقرى عظام متصلة عامرة"(1). ويقول الاصطخري "وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز، يخترق اليها انهار من الفرات"(2).

ويذكر البكري "وكان ما بين المدائن ونهر الملك مرج وأحد من البساتين لا حائط له"(3). وذكروا ان مدينة ابن هبيرة على نهر سورا أعمر ما فى السواد(4).

وتقع إلى الغرب من نهر الفرات أراضي كربلاء (طسوج النهرين) وعين التمر، والحيرة (طسوج السيلحين). وكانت أراضي الحيرة من الأراضي المعروفة بخصبها وعمارتها فى العراق، فقد ذكر ابن وحشية ان الجريب منها كان يريع ستين قفيز من القمح(5).

ويذكر البكرى ان كورة كسكر هي أرض القمح والشعير، وتقع بين واسط والبصرة وميسان ونهر الفرات (6). وهناك اختلاف فى ارتفاع مقاديرها بين فترة واخرى لتأثرها بالفيضانات وتوسع البطائح فيها (7).

وتدعى المنطقة الزراعية الجنوبية بكور دجلة، وتمتد من الأبلة جنوبا إلى ما فوق

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص309.

(2) الاصطخري، أقاليم، ص48.

(3) البكري، معجم، ج1، ص72.

(4) الاصطخري، اقاليم، ص48؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص218؛ المقدسي، أحسن، ص121.

(5) ابن وحشية، الفلاحه، ص77.

(6) البكري، معجم، ج4، ص1128؛ ياقوت، البلدان، ج4، ص275.

(7) ابن خرداذبة، مسالك، ص12؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص163.

المذار بقليل، وتنتهي شرقا إلى حدود الأهواز[1]، وهي تتألف مـن كـورة دسـتميان ومركزها الأبلة[2]، وكورة ميسان ومركزها المذار[3]، وكورة ايز قباذ شـرقي المـذار على حدود الأهواز[4]. وأخصب أراضي هذه المنطقة أراضي الأبلة[5]. وتكثر في هذه المنطقة زراعة الأرز والعنب والموز لموافقة مناخها مثل هذه المحاصيل[6].

5.1 العناصر المكونه لسكان العراق قبل الفتح:

أ- النبط ب- الفرس ج_العرب

أطلق العرب كلمة النبط على سكان العراق السابقين حين الفتح وبعـده. ويـذكر يحيى بن آدم وابن الفقيه أن سكان العراق حين تغلب الفـرس عليـه (226م) كـانوا نبطا[7]. وتبدو معلومات المؤلفين العرب عن أصول هؤلاء النبط مرتبكة، ويرجع ابـن الكلبي أصلهم إلى حام بن نوح ثم إلى بقايا ثمود[8]، ويذكر البعض أن نبط السواد هـم الكلدانيون (السريان، النماردة)[9].

---

(1) ابن خردانبة، مسالك، ص7؛ قدامه بن جعفـر، الخـراج، ص163؛ يـاقوت، البلـدان، ج1، ص770، ج3، ص227، ج4، 419.

(2) ابن خردانبة، مسالك، ص7؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص227.

(3) الثعالبي، عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت 429هـ)، تاريخ غرز السير، ص485.

(4) ياقوت، البلدان، ج1، ص90.

(5) الادريسي، نزهه، ج4، ص358.

(6) ابن وحشية، الفلاحه، ص367-374؛ الجاحظ، البخلاء، ج2، ص53؛ ابن سـعيد المغربـي، علي بن موسى (ت سنة 610هـ)، الجغرافيا، ص185.

(7) القرشي، يحيى بن آدم (توفي سنة 203هـ) الخراج، ص22؛ ابن الفقيه، مختصر، ص319.

(8) الطبري، تاريخ، ج1، ص611.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص215؛ المسعودي، التنبيه، ص33؛ البيروني، محمد بن أحمد (توفي سنة 440هـ)، الآثار الباقية، ص59؛ الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (توفي سنة 387هـ)، مفاتيح، ص71.

ويذكر البعض الاخر ان سكان العراق زمن ملوك الطوائـف (250ق.م-226م) كانو نبطا، وهم الارمانيون الذين كانوا فى شمال العراق[1]، والاردوانيون وكانوا فـى جنوب العراق بين نفر والخليج العربي والبادية[2]. ولعل ابن وحشية يجمل المعلومـات فى عصره حين يتوسع فى اصول النبط إذ يقول فى كتاب الفلاحـة : "واقتـديت فيـه ببعض من حكماء الكسدانيين والكنعانيين والنمريين والسورانيين الأولين، وغير هؤلاء من اجيال النبط "[3]. وهكذا يتبين أن كلمة النبط أطلقت على سكان العراق القدماء مـن الساميين عموما، بصرف النظر عن انتمائهم إلى أصول متعددة لم تتبين أسماؤها بدقـة للمؤلفين العرب[4].

وهناك ارتباط بين النبط والفلاحة، وفى ذلك يقول ابن منظور "والنبط انما سموا نبطا لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين "[5]. ويقول الخطيب البغدادي : "أن النبط هـم الذين استنبطوا الأرض وعمروا السواد، وحفـروا الأنهـار العظـام فيـه "[6]. أي أن الفلاحين هم النبط، ويفهم من كتاب الفلاحة النبطية ان النبط جمهرة الفلاحين والزراع.

كان النبط يشكلون عامة فلاحي السواد ويسكنون القرى[7]، وتحدد المصادر صفة النبطي بقولها "واما النبطي فكل من لم يكن راعيا أو جنديا عند العـرب مـن سـاكني الأرضين فهو نبطي"[8]. فهم ينتسبون إلى القرى لا إلى القبائل أو المدن.

---

(1) الطبري تاريخ، ج1، ص207,610، ج2، ص42؛ المسعودي، مروج، ص257.

(2) الطبري، تاريخ، ص207، 611؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج1، ص57؛ ابن خلدون، عبـد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 818هـ)، تاريخ، ج2، ص170 .

(3) ابن وحشية، الفلاحه، ص360.

(4) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص31.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص411-412.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج1، ص57.

(7) الطبري، تاريخ، ج4، ص5؛ المسعودي، التنبيه، ص34.

(8) ياقوت، البلدان، ج3، ص634؛ الجاحظ؛ بيان، ج2، ص148.

وكان لعرب الجزيرة العربية صلات بالعراق قبل الفتح، إذ كانوا يغيرون علـى اطرافه أو يفدون إليه للتجارة أو للاقامة. وكان بعضهم مستقرا فى البلاد كما هو شـأن عرب الحيرة وعين التمر والأنبار، وكان بعضهم الآخر يتنقل فى البوادي المطلة على العراق مثل بادية البصرة وبادية الكوفة. وكان من السهل حفر العيـون والآبـار فـى البوادي المطلة على العراق لاستخراج المياه منها[1]، ولقد ورد ذكر مـا يقـرب مـن أربعين عينا تقع فى البادية ما بين البصرة والأنبار[2]. وتنخفض هـذه البـوادي كلمـا اقتربت من نهر الفرات، وتوجد فيها عدة وديان تنتهي إلى الفرات وتجري فى فـصل الشتاء[3]. وكانت المراعي تنتشر فى البوادي بعد نزول الأمطار. ويظهر أن البادية التي تحد العراق من الجهة الشمالية الغربية ما بين الكوفة والأنبار كانت جيـدة المراعـي، ولهذا فقد حماها النعمان بن المنذر لأبله، كما حماها الوليد بن عقبة حين ولايته علـى الكوفة (25-30هـ/645-650م) لاخواله من بني تغلب[4].

إن وجود المياه والمراعي في البادية، ومجاورتها لأرض السواد جعلها مـسرحا لتحركات القبائل، فكانت تقصدها من الجزيرة العربية خاصة فـي سـنوات القحـط ، وكانت القبائل تتنازع أحيانا من اجل السيطرة عليها[5]. هذا بالإضافة إلى أنها المـدخل إلى السهول حين تكون الظروف ملائمة.

هناك عوامل تؤثرفى ضغط القبائل واندفاعها نحو العراق، وفى طليعتها التكـاثر المستمر فى الجزيرة وقلة مواردها المعاشية والوضع السياسي فى العراق، هذا إضافة إلى حدوث سنوات قحط وجفاف داخل الجزيرة العربية وفى البادية التي تقـرب مـن السواد.

---

(1) البكري، معجم، ج3، ص1043؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص539

(2) البلاذري، فتوح، ص365؛ ابن قدامه، الخراج، ص360؛ ابن الفقيه، مختصر، ص187.

(3) الهاشمي، جغرافية العراق، ص20؛ سوسه، فيضانات، ج1، ص141.

(4) الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص137-138، ج12، ص123، .

(5) أبوعبيدة، النقائض، ج2، ص1030.

وترد اشارات إلى حصول هجرات لبعض القبائل العربية زمن ملـوك الطوائـف (250ق.م-226م) نحو أرض العراق مستغلة التخلخل السياسي، فقد ذكـر الطبـري "وكان من الأحداث ايام ملوك الطوائف إلى قيام اردشير بن بابك بالملك فيما ذكر هشام بن محمد: دنو من دنا من قبائل العرب من ريف العراق، ونزول من نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك"[1]، ويربط الاصفهاني التحرك القبلي بضعف الدولة فيقـول : "إن تحرك العرب وملكهم في المنطقة يعتمد على قوة الفرس"[2]، فهـو يـرى أن الازد وقضاعة "خرجت للعراق أيام ملوك الطوائف فنظروا للعراق وعليها طائفة من الملوك وهي شاغرة"[3]، ويوضح المسعودي نتيجة ذلك بقولة : "وتغلب كل رئيس على ناحية، فمنهم فرس ونبط وعرب"[4].

وفي مطلع القرن الرابع الميلادي حدث تخلخل أثر وفاة هرمز الثـاني، إذ كـان سابور (310-379م) طفلا فقامت القبائل العربية بغارات من أرض البحرين والجزيرة على ريف العراق وفارس، مما دفع سابور حين تولى السلطة إلى أن يقوم بحملة علـى مواطن القبائل العربية في البوادي المطلة على العراق وعلى البحرين واليمامة، وقـام بهدم العيون والابار التي تتركز حولها القبائل، وحفر خندقا بين السواد والباديـة يمـر بعيون الطف من هيت إلى كاظمة على الخليج العربي لحمايـة الـسواد مـن هجـوم القبائل[5].

وفي أيام قباذ بن فيروز (488-496/498-531 م) شغلت الدولـة الـساسانية بالحرب مع الهياطلة وبالثورة المزدكية مما جعل بعض القبائل العربية خاصة بكر بـن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص609؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص377.

(2) الأصفهاني، حمزة بن حسن (ت 360هـ)، تاريخ، ص91-92.

(3) الأصفهاني، تاريخ، ص83؛ الخضري، محمد، محاضرات في تاريخ، ج1، ص75.

(4) المسعودي، مروج، ج1، ص275.

(5) الطبري، تاريخ، ج2، ص55؛ ابن قتيبة، المعارف، ص656-657؛ اليعقـوبي، تـاريخ، ج1، ص162، المقدسي، بدء، ج3، ص160.

وائل تقوم بالاغارة وبشكل ملحوظ على ريف العراق مستغلة انشغال الدولة بـالحروب والفتن الداخلية. وتنازل قباذ نتيجة لعدم مقدرته على صد القبائل حينـذاك عـن سـتة طساسيج فى أسفل الفرات للحارث الكندي مقابل تعهده بحماية أرض العراق من هجوم القبائل العربية [1]، حتى أن ابن الكلبي يذكر أن عرباً جاءوا من اليمن إلى الحيرة فـي هذه الفترة واستولوا على أرض بجانب الحيرة وأحيوها[2].

إن الخلاف بين الساسانيين وبين أمراء الحيرة والتنكيل بالنعمـان بـن منـذر[3]، أضعف الحاجز بين السواد والبادية فكان له اثر في دخول القبائل خاصة بكر بن وائـل وتميم إلى ريف العراق[4]. ويشعر انتصار بكر بن وائل فى ذي قار في هذه الفترة بقوة القبائل العربية في المنطقة.

وكان لقلة امكانات الجزيرة العربية المعاشية والتكاثر المستمر لأهلها وقربها مـن ريف العراق ما جعل هذا الريف مطمع القبائل بصورة مستمرة خاصة في سني القحط. ويذكر البكري ان الازد وقضاعة هاجرت إلى العراق زمن ملوك الطوائـف "يطلبـون الريف والمتسع والمعاش"[5]. وفي بداية القرن السابع الميلادى دخلت تميم ريف العراق ايام امارة اياس بن قبيصة الطائي (613-618 م) على الحيرة اثر حدوث سـنوات قحط في باديتهم فيذكر البلاذري "فتوالى القحط عليهم سبعة سنين حتى هلكوا" وطلبـو الإذن لهم بدخول الريف فسمح لهم الفرس بشرط الا يعتدوا على الـزراع[6]. وازدادت ربيعة خاصة بكر بن وائل قرب الفرات في هذه الفترة من قحط اصاب مواطنهم فـإذن

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص95؛ الأصفهاني، تاريخ، ص91-93.

(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص65، 69؛ المقدسي، بدء، ج3، ص202.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص212-215؛ البلاذري، أنساب، ق2، ص1038.

(4) أبوعبيدة، النقائض، ج1، ص462-463؛ البلاذري، أنساب، ق2، ص853؛ البكري، معجـم، ج3، ص1042.

(5) البكري، معجم، ج1، ص52.

(6) البلاذري، أنساب، ق2، ص853.

لهم كسرى بدخول الريف على أن يحسنوا الجوار[1]. وفي القول المنسوب لرستم في حواره مع المغيرة بن شعبة قبيل القادسية ما يوضح ضغط القبائل المستمر في فترات القحط "وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا، فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت انه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم"[2].

ومن المتوقع أن يزداد هذا الضغط القبلي بدرجة ملحوظة على أرض العراق إذا صادف حصول فراغ سياسي في السلطة في العراق وحدوث سنوات قحط في مواطن القبائل العربية، وهذا ما حصل فعلا فى بداية القرن السابع وقبيل الفتح العربي، ويزيد من قوة هذا الرأي كثرة القبائل العربية حول الأبلة والحيرة وعين التمر والأنبار في هذه الفترة، ويؤيد ذلك مجيء مسيلمة الكذاب إلى هذه المناطق ليطلب يد العون من القبائل للوقوف معه في حركته[3].

وقد تقوم علاقات سليمة بين البدو والحضر، كما يتمثل فى قيام بعض الأسواق[4]، وكانت هناك أسواق تجارية على أطراف البادية والسواد منها بقة[5]، والخنافس[6] والحصيد[7]، والأنبار[8]، والحيرة[9]، والأبلة[10]. وقد تقوم بعض القبائل بحماية السوق

(1) ابن اعثم، أحمد ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج1، ص88-89.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص523.

(3) الجاحظ، الحيوان، ج4، ص369.

(4) الجاحظ، الحيوان، ج4، ص369؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص558.

(5) الجاحظ، الحيوان، ج4، 369.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص379-380؛ ابن الاثير، علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني (ت 630هـ)، الكامل، ج2، ص554.

(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص382.

(8) الجاحظ، الحيوان، ج4، ص369.

(9) المصدر نفسه، ج4، ص369.

(10) المصدر نفسه، ج4، ص369.

مقابل أجر مادي، فكانت قضاعة وربيعة مثلا تقوم بخفارة سوق الخنـافس فيمـا وراء الأنبار لصالح تجار الفرس[1]. ولعل فى القول المنسوب لرستم قبيل القادسـية بـشأن العرب دلالة على أهمية هذه الاسواق للقبائل "كنا نميرهم ولا نمنعهم من التجـارة فـى شيء من أرضنا، وقد كان لهم فى ذلك معاش"[2].

فقد هاجرت قبيلة إياد فى بداية القرن الثالث الميلادي نحو العراق، ويستدل علـى هذا من هجوم جذيمة الابرش الأزدي عليها غربي الفرات[3]. واتسعت هجرتها تجـاه أرض العراق فى بداية القرن الرابع الميلادي، فيذكر الثعالبي "سار جمع عظيم من بلاد إياد إلى العراق"[4]. ويبدو أن اياد استقرت فى الريف بمنطقة الحيرة غرب الفرات إثر هذه الهجرة حيث اتخذت سنداد، ودير الاعور، ودير قرة، ودير الجماجم، والخورنـق، والدير، وبارق منازل لها[5].ويقول ياقوت مشيرا إلى ذلك "واياد كانت تنزل الريف هذا معروف عند أهل الشأن"[6]. وتقع هذه المنازل مابين كربلاء وبادية البصرة.

وتبع دخول اياد الريف قيام سابور ذو الاكتـاف (310-375م) بغـارات علـى مواطن هذه القبيلة ونفاهم عنها إلى البادية والجزيرة الفراتية فهاجر قـسم مـنهم إلـى الشام[7]. ولا ترد إشارات عن اياد بعد ذلك حتى القرن السادس الميلادي، ويظهر انهـا

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص472؛ ابن الاثير، الكامل، ج2، ص44

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص571-574.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج1؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص260.

(4) الثعالبي، تاريخ، ص514.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص255؛ ابن الفقية، مختصر، ص135؛ الـبلاذري، فتـوح، ص347؛ المسعودي، التنبيه، ص175.

(6) ياقوت، البلدان، ج2،ص653.

(7) ابن دريد، محمد بن حسن (ت 321هـ)، الاشتقاق، ص169؛ المسعودي، مروج الـذهب، ج1، ص279؛ المقدسي، بدء، ج2، ص160-161.

قامت بالتجمع من جديد ما بين عين التمر والأنبار وذلك فى أيام قباذ بن فيـروز، فقـد ذكر عمر بن شبة "وكثر من بعين اباغ منهم حتى صاروا كالليل كثرة"[1]. وقامت ايـاد بغارات على الريف شرقي الفرات مما اضطر كسرى انو شروان (531-579م) إلى توجيه عدة حملات اليهم، وقام بنفي كثير منهم إلى الجزيرة الفراتية[2]. وبقيت قبيلة اياد حول ريف العراق، وورد ذكرها أثناء الفتوح حول عين التمر[3]، وفى الجزيرة الفراتية نواحي تكريت[4]، ويشير المسعودي إلى ذلك بقوله : "وكانت ايـاد تنتقـل فيمـا بـين الجزيرة الفراتية والسواد"[5].

وأما بكر بن وائل فكانت منازلها فى كاظمة[6]، والنباح[7]، وذي قار[8]، وكان بنو عجل وتيم اللات وضبيعة وهم نصارى ينزلون جنوب شـرقي الحيـرة حتـى باديـة البصرة[9]. ويذكر الهمداني ان ديار بكر بن وائل كانت "من اليمامة إلى البحرين لسيف كاظمة إلى البحر فأطراف السواد فالابلة إلى هيت"[10]، وكان لها صنم بسنداد ما بـين الحيرة والابلة يدعى ذو الكعبات وكانت تعبده اياد قبلهم[11]. وكانت بكر تنتشر ما بـين

---

(1) البكري، معجم، ج1، ص69.

(2) البكري ، معجم ، ج1، ص70.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص376؛ ابن الاثير، الكامل، ج2، ص294.

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص35؛ ابن الاثير، الكامل، ج2، ص523.

(5) المسعودي، مروج، ج1، ص279.

(6) ابن سعد، محمد (توفي سنة 220هـ)، الطبقات، ج6، ص70.

(7) البكري، معجم، ج1، ص351.

(8) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص215؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص206-207؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ)، الأغاني، ج2، ص125.

(9) الطبري، تاريخ، ج3؛ ابن الاثير، الكامل، ج2، ص387.

(10) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (توفي سنة 234هـ)، صفة جزيـرة العـرب، ص169.

(11) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (توفي سـنة 204هـ)، الاصـنام، ص45؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص255؛ الهمداني، صفه، ص171.

الحيرة والأنبار، وقد ورد ذكرها ابان الفتح في هذه المنطقة[1].

ويرد ذكر بكر بن وائل في العراق لأول مرة في القرن الرابع الميلادي إذ كـانوا يقومون بغارات على السواد مع تميم وعبد القـيس، فقـام سـابور بالإغـارة علـى مواطنهم[2]. وفي نهاية القرن الخامس الميلادي ازدادت بكر بن وائل في بادية الكوفـة عددا وقوى نفوذها في المنطقة، وان في تنازل قباذ عن أرض مـن الحيـرة للحـارث الكندي مقابل مهاجمة بكر بن وائل ورد خطرها ما يوضح قوة بكر في المنطقة في هذه الفترة[3].

واستمرت بكر بن وائل في المنطقة في تزايد، وظهر هذا في نهاية القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع حين تحدت السلطة الـساسانية فـى معركـة ذي قـار وانتصرت فيها[4] (ما بين 604- 610م) فكانت هذه المعركة نقطة انطـلاق للقبائـل العربية في الهجوم على السهول، وظلت غاراتها مستمرة حتى فتح العراق.

وكانت قبيلة تميم في بادية البصرة[5]، ويذكر الاصطخري أن بادية البصرة كانت أكثر بوادي العرب أحياء وقبائل وأكثرهم تميم[6]. وكان بنو يربوع من تميم في باديـة الكوفة بوادي العذيب [7].

وتظهر صلة تميم بالعراق في القرن السادس الميلادي ، إذ كانت تقـوم بغـارات على السواد في هذه الفترة ، مما اضطر المنذر الثالث المتوفي 544م إلى إعطائهم حق

---

(1) ابو عبيدة، النقائض، ج1، ص462-463؛ الـبلاذري، فتـوح، ص202؛ الثعـالبي، تـاريخ، ص518.

(2) الثعالبي، تاريخ، ص514؛ ج. شليفر- بكر بن وائل، دائرة المعارف الاسلامية، ج4، ص43.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص69-95؛ المقدسي، بدء، ج3، ص202.

(4) انظر اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص212، 215؛ البلاذري، انساب، ق2، ص1038،المقدسي، بدء، ج3، ص205-206؛ البكري، معجم، ج4، ص1042-1043.

(5) أبوعبيدة، النقائض، ج2، ص1030؛ ابن سعد، الطبقات، ج7، قسم1، ص24 .

(6) الاصطخري، مسالك، ص22؛ ابن حوقل، صـورة الأرض، ص41؛ البكـري، معجـم، ج1، ص88.

(7) ابن دريد، الاشتقاق، ص224؛ البكري، معجم، ج3، ص927؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص626.

الردافة مقابل كف غاراتهم عن الريف[1]. ونلاحظ في بداية القرن السابع الميلادي كثرة تميم في بادية البصرة ، ووقوع نزاع بينها وبين بكر بن وائل على الوديـان وامـاكن الرعي[2]. وطلبت تميم في هذه الفترة من الفرس بواسطة اياس بن قبيصة السماح لهـم بدخول الريف فتم لهم ذلك ، مقابل تعهدهم بعدم الاعتداء على السكان [3].

وكانت النمر بن قاسط وتغلب وهما من ربيعة ما بين الأنبـار وعـين التمـر[4]، وكانت منازلهم أيضا في الجزيرة الفراتية حول هيت وتكريت، حيث ورد ذكرهم فـي هذه المنطقة اثناء الفتوح[5].

واما كلب وقضاعة فقد هاجرت جماعات منهمـا نحـو العـراق زمـن ملـوك الطوائف[6] (250ق. م- 226 م) ، ويرد ذكرهما في بداية الدولة الساسانية مـا بـين تكريت والأنبار وذلك ان أردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية اغار عليهما في هذه المنطقة [7]. كما ورد ذكرهما اثناء الفتوح في نواحي هيـت وشـمال الأنبـار[8]. وكانت بنو أسد في بادية الكوفة[9]. ويفهم من الاصطخري أنها كانت في بادية الكوفـة

---

(1) أبوعبيدة، النقائض، ج1، ص299؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (توفي سـنة 276هـ ـ)، المعارف، ص651؛ البلاذري، فتوح، ص298، دلافيدا-تميم، دائرة المعارف، الاسلامية، ج5، ص576.

(2) أبوعبيدة، النقائض، ج2، ص1030.

(3) أبوعبيدة، النقائض، ج1، ص462-463؛ البلاذري، انساب، ق2، ص852؛ الـدوري، تـاريخ العراق، ص26.

(4) ابن مزاحم نصر، (ت 212هـ)، وقعـه صـفين، ص146؛ الـبلاذري، فتـوح، ص204؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص376.

(5) البلاذري، فتوح، ص304، -305؛ ابن مزاحم، صـفين، ص146؛ الطبـري، تـاريخ، ج4، ص35.

(6) الطبري، تاريخ، ج2، ص47؛ الأصفهاني، تاريخ، ص83.

(7) الطبري، تاريخ، ج2، ص47-51.

(8) البلاذري، فتوح، ص302؛ الاصطخري، مسالك، ص22.

(9) الهمداني، صفة، ص131.

وبادية الشام[1]. ويبدو أن أعداد كلب وقضاعة وبني أسد كانت أعدادا محدودة حيث لـم يرد ذكر علاقات عدائية بينها وبين الدولة الساسانية كبكر بن وائل وتميم واياد ، ولعل وجود كلب وقضاعة في نواحي الجزيرة الفراتية وخصب هذه المنطقة هو السبب فـي عدم إعتدائها على السواد.

إن ما رافق فترة الطوائف من هجرة واسعة للقبائل العربية قبيـل قيـام الدولـة الساسانية (226م) جعل اردشير بن بابك أول ملوكها يفكر بتكـوين مملكـة حـاجزة للوقوف أمام ضغط القبائل، ولعل كلام النعمان بن المنذر لوفود القبائل العربيـة بعـد حوالي أربعة قرون يعبر عن نفس الفكرة حين قال : "إنما أنا رجل منكم وأنـا ملكـت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم"[2]. وذكر المسعودي سبب تكـوين الفـرس لمملكة الحيرة فقال : "ليكفوا بهم من يليهم من بوادي العرب"[3].

نظمت مملكة الحيرة العلاقة مع القبائل العربية ضمن شروط تبادل فيها الاطراف المنفعة، مثل التزام القبائل بعدم الإعتداء على السواد مقابل منح شيوخ القبائـل المـنح المادية، والسماح للقبائل بتبادل بضائعها مع أهل الحضر، والرعي على اطراف السواد. ويبدو أن هذه العلاقة تبقى علاقة سليمة إذا لم تأت سنوات قحط أو يحصل اضـطراب في الدولة الساسانية حين تحاول القبائل استغلال الظروف لفائدتها وتجـاوز العلاقـات السليمة[4].

وفي النصف الثاني من القرن السادس الميلادي لم تعد الحيرة قادرة على رد خطر القبائل العربية بالقوة وذلك لزيادة قوة القبائل في المنطقة[5]. فاستطاع بنو يربوع وهـم من تميم أخذ منصب الردافة لدى ملوك الحيرة مقابل الكف عن الغارة على الـسواد[6]،

---

(1) الاصطخري، مسالك، ص22، الاصطخري، اقاليم، ص12.

(2) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت 327هـ)، العقد الفريد، ج2، ص10.

(3) المسعودي، التنبيه، 158.

(4) ابو البقاء، هبة الله، المناقب المزيدية، ج1، ص66.

(5) دلافيدا، تميم، ج5، 473-478.

(6) ابو البقاء، المناقب، ص100.

وهو منصب تصحبه مزايا سياسية واقتصادية ويبدو ذلك من تعريف البلاذري للردافـة بقوله : "وكانت الردافة أن يجلس الملك فيجلس الردف عن يمينه، فإذا شـرب شـرب الردف قبل الناس، وإذا غزا جلس في مجلسه وخلفه على الناس حتى ينـصرف مـن غزاته، وإذا أغارت كتيبة الملك اخذ المرباع. وكانت للردف اتأوة يأخذها مـن جميـع مملكة الملك"[1]. ولعل هذا يفسر العلاقات السليمة مع تميم في الحيرة التي علا شأنها في المنطقة[2].

وحاول ملوك الحيرة في ذات الفترة التفاهم مع بكر بن وائل، فكانت منهم كتيبـة تسمى الصنائع تحت تصرف ملك الحيرة[3]، قال الأصفهاني مبينا ذلك "وكانت بكر قبيلة تقيم أود ملوك الحيرة وتعضدهم"[4]. واضطر الفرس في ايام كسرى ابرويـز (590-628م) إلى استرضاء بكر بن وائل مباشرة دون تدخل ملوك الحيرة فـأوكلوا رئاسـة مسالح عيون الطف إلى قيس بن مسعود الشيباني رئيس بني شيبان ليمنع خطر القبائـل عن السواد[5]، واطعموه الابلة وقراها[6]. ويتحدث ابو عبيدة عن هذه العلاقـة قـائلا : "وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس.. فكانوا يقوونهم ويجيزونهم"[7]، ولعل هذه العلاقة قد زادت من قوة بكر بن وائل في المنطقة مما أدى إلى انهيار العلاقة في بداية القـرن السابع الميلادي.

ولقد اتخذ ملوك الحيرة والفرس إجراءات اخرى لمواجهة القبائل كما يتبـين مـن

---

(1) البلاذري، أنساب، ق2، ص917-918.

(2) ابن ابي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت 656هـ ـ)، شرح، ج15، ص127-128.

(3) الأصفهاني، تاريخ، ص88.

(4) المصدر نفسه، ص90.

(5) أبوعبيدة، النقائض، ج2، ص640؛ البلاذري، فتوح، ص458.

(6) الطبري، تاريخ، ج2، ص205.

(7) أبوعبيدة، النقائض، ج2، ص581.

الكتائب التي كانت لديهم، فقد كانت كتيبة الرهائن تتكون من أفراد ينتمون إلـى عـدة قبائل يظل أفرادها لدى ملك الحيرة ليكون ذلك مانعا لقبائلهم من الإغارة على الـسواد. وكانت هناك كتيبة يقال لها دوسر وهم من فرسان القبائل التي تنقض الاتفاقات وتعتدي على الريف[1].

وأما مدينة الحيرة فكان غالبية سكانها من الجماعات الاتيـة: جعفـى، وطـيء، وكلب، وتميم، والازد، ولخم، وغسان، وكندة، ومذحج، وحمير، وبنو الحارث بن كعب وسليم وتنوخ [2].

وتطلق المصادر على هذه القبائل المستقرة داخل مدينة الحيرة لفـظ (العبـاد)[3]، ويوضح أبو البقاء ذلك بقوله : وأهل الحيرة بأسرهم يعرفون بالعباد، وغلب هذا الإسـم عليهم حتى صار كالنسب اليهم وامتنعوا عن الأنتساب إلى عـشائرهم، وعـرف بـه اعقابهم من بعدهم فى الاسلام"[4].

ويلاحظ أن سكان مدينة الحيرة ينتمي جلهم إلى القبائل اليمانية مـا عـدا تمـيم. وكانت هناك مجموعات قبيلة تقيم خارج مدينة الحيرة إلى الغرب من الفرات ما بـين الأنبار والحيرة فى المظال وبيوت الشعر يسمون تنوخ[5]، ومن الممكن أن تكون هـذه الجماعات شبه مستقرة تلازم المنطقة ولا تغادرها[6].

---

(1) الأصفهاني، تاريخ، ص88.

(2) البلاذري، فتوح، ص17، 351؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص212-215-257؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص611، ج2، ص196؛ المسعودي، التنبية، ص158؛ المقدسـي، بـدء، ج3، ص196؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص387.

(3) الطبري، تاريخ،ج2، ص43؛ الأصفهاني، تاريخ، ص86؛ يـاقوت، البلـدان، ج3، ص379؛ الخوارزمي، مفاتيح، ص77؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص170.

(4) ابو البقاء، المناقب المزيدية، ج1 ص110.

(5) الطبري، تاريخ، ج2،ص43؛ الأصفهاني، تاريخ، ص86؛ ابن خلدون، تـاريخ، ج2، ص17؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج3، ص116-169.

(6)علي، المفصل، ج3، ص166.

والتحق بسكان الحيرة أفراد أو جماعات من الجزيـرة العربيـة أطلـق علـيهم الاحلاف[1]، ويوضح الطبري وضعهم قائلا : "وكان ناس من العرب يحدثون فى قومهم الأحداث، أو تضيق بهم المعيشة، فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرة"[2]. ولعل بدايات نزول تميم الحيرة فى القرن الرابع الميلادي كانت لهذا السبب إذ أن ايوب بـن محروف التميمي أول تميمي نزل المدينة هربا من قومه لأحداثه القتل واستجارته بأوس بن قلام[3].

امتلك سكان الحيرة العرب الأراضي والضياع، ويذكر ابو البقاء أن أول من امتلك ذلك بنو لخم وهم البيت الحاكم، وذلك باقطاعات من الفرس لتكون لهـم معونـة فـي حكمهم، ولاستمالة بعض العرب اليهم. وكان أول ملك عربي اقطعه الفرس امرؤ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر وذلك أيام سابور بن اردشير (241-272م)، وكـان بنـو لخم بدورهم يقطعون مساعديهم من الحيرة[4].

وترد إشارات إلى الملاكين فى الحيرة من لخم كبني مرينا وهـم مـن أشـراف الحيرة[5]، ويذكر ابن الكلبي "وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة، فلم يك في الـدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا"[6]. وكان لبني الذميل من لخم أراض وبيع في الحيرة[7]. وكان النعمان بن المنذر واخوه المنذر من كبار الملاكين[8]، ومن ضياع النعمان قرية الصنين[9]، والسيلحين والنشاستج[10]. وكانت لهند بنت عمرو بن المنـذر

(1) الطبري، تاريخ، ج2، 43؛ الأصفهاني، تاريخ، ص86؛ علي، المفصل، ج3، ص171.
(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص42.
(3) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص98.
(4) ابو البقاء، المناقب المزيدية، ج1، ص107.
(5) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص106.
(6) الطبري، تاريخ، ج2، ص196؛ الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص109.
(7) ابن الفقية، مختصر، ص183؛ البلاذري، فتوح، ص348.
(8) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص106، 116، 120؛ ياقوت، البلدان، ج4، ص795.
(9) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص116، 120؛ ياقوت، البلدان، ص795.
(10) ابو البقاء، المناقب المزيدية، ج2، ص507.

ضيعة بالحيرة(1).

ومن ملاكي الحيرة بنوعدي بن زيد بن حماد التميمي، فقد كانت قريـة الـسوادية لسواد بن زيد بن عدي بن زيد(2)، أقطعه اياه النعمان بن المنذر واقطع غيره من العرب اراض اخرى(3). وكانت صلة بني عدي في الحيرة ابتـداء بالـدهاقين، وهـم الـذين أوصلوهم إلى الأكاسرة(4)، ولعل اتصال آل عدي بالساسانيين واشـتغالهم معهـم فـي الدواوين يفسر ظهور الملكيات لديهم، ويوضح هشام الكلبي ذلك بقوله : "وكانوا أهـل بيت يكونون مع الاكاسرة ، لهم معهم اكـل وناحيـة يقطعـونهم القطـائع ويجزلـون صلاتهم"(5). ويقول صاحب الاغاني : أن الأكاسرة كانوا يقطعون آل عدي بـن زيـد الاقطاعات"(6).

وكانت للأزد ملكيات في الحيرة أيضا، فقد اقطع كسرى ابرويـز (590-628م) عمرو بن قيس الازدي موضع كويفة عمرو وذلك لمساعدته له ضد بهرام جـور(7). وكانت لبني عمرو ابن مازن وهم الأزد بيعة كبيرة في الحيرة(8). ويبـدو أن كـسرى ابرويز توسع في منح الاقطاعات لعرب الحيرة ، فيذكر أبو البقاء انه اقطع أيضا اياس بن قبيصة الطائي عامله على الحيرة عين التمر وثمانين قرية من أطراف السواد منهـا الأقساس، فأقطعها اياس لرجل من قومه يدعى مالك فسميت اقساس مالك(9).

يبدو أن ملكيات الأراضي الواسعة اقتصرت إلى حد ما على: لخم، وتميم، والأزد،

---

(1) ياقوت، البلدان، ج2، ص707.

(2) البلاذري، فتوح، ص346؛ ابن الفقية، مختصر، ص138؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص180.

(3) ابو البقاء، المناقب المزيدية، ج2، ص507.

(4) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص100.

(5) الطبري، تاريخ، ج2، ص193.

(6) الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص105؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص266.

(7) البكري، معجم، ج4، ص1144؛ ابن منظور، لسان، ج9، ص312.

(8) البلاذري، فتوح، ص345.

(9) ابو البقاء، المناقب، ج2، 507.

وطيء ومن مصادر هذه الملكيات اقطاعات السلطة الساسانية وملوك الحيـرة. وكـان الأشراف ذوو الشأن هم أصحاب الملكيات الواسعه. وكانت هذه الملكيات حول الحيـرة إلى الغرب من الفرات وكان بعضها إلى الشرق من نهر الفرات[1].

وهناك ظاهرة تلفت النظر فى منطقة الحيرة، وهي توزع الكثير من الأديرة فـى المنطقة، ويذكر الشابستي وياقوت والعمري ما يقرب من خمسة وثلاثين ديـرا حـول الحيرة[2] ، وكانت هذه عبارة عن قصور وقباب تقع فى أخصب المناطق الزراعية[3]. ويظهر أنها كانت للقبائل التي امتلكت الأراضي بشكل واسع فى الحيرة (لخـم، الازد، تميم) ويبدو ذلك من اسمائها[4].

شارك العرب فى إدارة بعض المناطق، فقد ذكر أن هانيء بن قبيصة الطائي كان عاملا على اليس[5]. وكان سعد بن ضباب الايادي عاملا لكسرى على إحـدى كـسور العراق[6]. ويرد أن من العرب من كان دهقانا كجفينة العبادي ودهقان عين التمر[7].

حكم الساسانيون العراق من سنة 226م حتى سنة637م. وكان الفـرس يـشكلون الطبقة الحاكمة فى البلاد من إداريين وملاكين وجنود. واستقرت جماعات مـنهم فـى العراق منذ أيام اردشير بن بابك[8] (226-241م) حين قام ببنـاء مدينـة المـدائن، وأصبحت بعدها مقر الملوك الساسانيين واتباعهم[9].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص308.

(2) الشابشتي، علي بن محمد بن محمد، الديارات، ص236-238؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص640.

(3) الشابستي، الديارات، ص236؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص622.

(4)الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، ص20-31.

(5) ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت 182هـ)، الخراج، ص157؛ ابن سعد، الطبقات، ج7، قسم2، ص121.

(6) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص219.

(7) ابو يوسف، الخراج، ص157؛ البلاذري، فتوح، ص560.

(8) كريستيسن، آثر، ايران في عهد الساسانيين، ص438.

(9) الدينوري، أحمد بن دأود (ت 282هـ)، الاخبـار الطـوال، ص42-43؛ الاصـطخري، مسالك، ص86.

تركزت سكنى الفرس فى مناطق معينة من العراق، وكان أكثر استقرارهم شـرق دجلة خاصة بالقرب من المدائن، وعلى ضفاف نهر ديالي ايضا[1]. وفي القرن السادس الميلادي استقرت جماعات جديدة منهم على نهر دجلة وديالي[2]. وأن فى إعمار كسرى انوشروان مدينة ساوقية (الرومية) على نهر دجلة جنوب المدائن في نفـس القـرن[3] مايشعر بتزايد الفرس فى منطقة المدائن.

وكانت للفرس حاميات على حدود العراق على شكل مسالح كان اهمها فى عيـون الطف[4]، والأبلة والخريبة[5]، وبانقيا واليس والحيرة[6] والـسيلحين والخـرار قـرب الكوفة[7]، والعذيب[8]، والقادسية[9]، وعين التمر[10]، والأنبار[11].

ويلاحظ أن المنطقة بين دجلة والفرات تكاد تخلو من الوجود الفارسـي، وعامـة سكان هذه المنطقة من النبط، فيذكر الجاحظ "أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط"[12]. ويظهر هذا فى أخبار الفتح العربي، فبعد انتصار خالد على المسالح الفارسـية غـرب الفرات أخذت غارات قواده وغارات المثنى بن حارثة بعده تصل إلى نهر دجلـة دون

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص27؛ ابن الفقية، مختصر، ص229.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص369؛ ابن الفقية، مختصر، ص211-212.

(3) المقدسي، بدء، ج3، ص168.

(4) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص640؛ الـبلاذري، فتـوح، ص365؛ الطبـري، تـاريخ، ج3، ص478-503.

(5) البلاذري، فتوح، ص296؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص348-349.

(6) ابو يوسف، الخراج، ص153؛ البلاذري، فتوح، ص297-302.

(7) ابن الخياط، خليفة (ت 240هـ) تاريخ، ج1، ص223.

(8) المقدسي، بدء، ج3، ص90؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص626.

(9) البكري، معجم، ج1، ص223.

(10) ابو يوسف، الخراج، ص157.

(11) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص156.

(12) الجاحظ، البيان، ج1، ص19.

أية مقاومة فارسية تذكر. كما أن سعد بن ابي وقاص ، بعد الانتصار في القادسية وصل المدائن دون أن يلقى أية قوة فارسية تذكر.

وهكذا فإن الفرس لم يستقروا بدرجة تذكر فى العراق. فالملاحظ ان العراق هـي المنفذ الثاني بعد الشام للجزيرة العربية، لذا ومع قلة امكانيات الجزيرة وتزايد سـكانها وكثافتهم باستمرار، أمام خصب العراق كان سكان الجزيرة على صلة مـستمرة مـع العراق منذ أقدم العصور. ويذكر النبط وهم عامة سكان العراق جاءوا في هجرات من الجزيرة في الفرات التاريخية القديمة.

واستمرت هجرة القبائل العربية إلى العراق والى البوادي المحيطة به أثناء فتـرة ملوك الطوائف (250ق. م- 226م). ويبدو ان هذه الفترة جلبت الكثير من القبائل الى البوادي واستقر قسم منهم في أطراف الريف كالأنبار وبقة وعين التمر والحيرة، حتـى أن بعضا منهم كون مملكة كمالك بن فهم الازدي في منطقة الأنبار.

ورأت الدولة الساسانية منذ قيامها خطورة البادية، فقررت إنشاء كيان حاجز بينها وبين أرض السواد من العرب أنفسهم لمواجهة ضغط القبائل، وذلك لأول مرة في الدول التي حكمت العراق من قبل. وعلى الرغم من هذا فقد استمرت الـصلة بـين الباديـة والسواد على شكل غارات أحيانا، وتغلغل سلمي حيناً وتجارة حيناً آخر. ومن المتوقـع أن يرافق إنشاء مملكة الحيرة على مدى تاريخها تغلغل عربي للاستيطان فـي داخـل السواد بشكل سلمي وتكوين ملكيات لهم، وكانت الحيرة نقطة جذب لافراد وجماعـات للاستقرار بها كالأحلاف مثلاً، وهدفا يقصده شيوخ القبائل لإقامة العلاقات مـع ملـوك الحيرة والتي تعود بالتالي بالنفع عليهم من النواحي الاجتماعية والاقتصادية.

هكذا وفي نهاية القرن السادس الميلادي وبداية السابع وأمـام اضـطراب أمـور الدولة الساسانية وارتباك صلتها بالحيرة ما جرأ القبائل العربية من الـسواد، وجـاءت الحركة الاسلامية لتنظيم هذه القبائل المتواجدة إلى الغرب من الفـرات ضـمن وحـدة وروح معنوية جديدة واحدة.

الفصل الثاني
بواعث القتال وتنظيمات الجيش

1.2 بواعث القتال:

تعددت أسباب القتال عند العرب قبل الإسلام، فكان من تلك الأسباب: الغزو للحصول على الغنيمة[1]، حيث عدوا العدوان مفخرة من مفاخرهم، بل كانوا يعدون نقض العهد، وخفر الذمم إمارة القوة، والعزة عندهم[2].

كما كان الصراع على الماء والمرعى سبباً آخر في نشوب القتال بينهم[3] وكذلك كانت المنافسة، وحب السيادة، والطلب بالثأر، وانتهاك الحرمة أو الاعتداء على جار[4].

وجعل الإسلام للقتال هدفاً آخر تمثل في مدافعة المسلمين المشركين من أجل حماية العقيدة، والدفاع عن الدين؛ يتضح ذلك من قوله تعالى: الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز [5]. وقد عني بقوله تعالى: ولولا دفع الله الناس... الآية : أي لولا دفع الله المشركين بالمسلمين بقتالهم، وجهادهم[6].

ويتمثل باعث القتال من أجل نشر الدين بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"[7] وذكر ابن عباس (68هـ) أن النبي

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص275، 310.

(2) عبدالرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص34.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص63؛ ابن الأثير، الكامل، ج1، ص399.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص331، 334؛ ياقوت، البلدان، ج4، ص472-473.

(5) سورة الحج، آية 40؛ وانظر سورة البقرة آية 251.

(6) الطبري، تفسير، ج17، ص124-126.

(7) الشيباني، محمد بن الحسن (ت 189هـ) شرح، ج1، ص16.

(صلى الله عليه وسلم) كان يوصي أمراء الأجناد إذا وجههم بتقوى الله وبمن معهم من المسلمين خيراً، ويقول: "اغزوا بإسم الله، تقاتلون من كفر بالله"[1].

وكذلك كان يفعل الخلفاء من بعده، فلقد قال الصديق (رضي الله عنه)، عندما امتنع المرتدون عن دفع الزكاة[2]: "والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقـاتلن مـن فـرق بينهما"[3]. وقال كذلك : "لو منعوني عناقاً لقاتلتهم عليه"[4]. وذكر سليمان ابن بريدة قول عمر (رضي الله عنه) لسلمة بن قيس: "سر بإسم الله تقاتل فـي سـبيل الله مـن كفـر بالله"[5]. وذكر نصر بن مزاحم (212هـ) قول علي (رضي الله عنه): "فإنكم وزعه الله في الأرض، فكونوا له أعواناً، ولدينه أنصاراً، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها إن الله لا يحب المفسدين"[6].

ويبدو أنه كان هناك باعث آخر لدى المقاتلة وهو الباعث الاقتصادي، يتضح هـذا في قوله (صلى الله عليه وسلم) محرضاً أصحابه على الخروج إلى بدر: "هـذه عيـر قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها"[7]. وقد قال في ذلك حمزة بـن عبدالمطلب (3هـ):

وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها فساروا إلينا فالتقينا على قدر[8]

ويتضح هذا الباعث كذلك في قول الرسول (صلى الله عليه وسـلم) لعمـرو بـن العاص: "أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وارغب لك من المـال رغبـة

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص209.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص231

(3) ابن حنبل، المسند، ج1، ص181.

(4) الشافعي، الشافعي، محمد بن ادريس (ت 204هـ) الأم، ج3، ص215.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص210.

(6) ابن مزاحم، وقعة صفين، ج2، ص126.

(7) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت 218هـ)، سيرة النبي (ص)، ج2، ص244.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص368.

صالحة" ويجيبه عمرو على ذلك بقوله: "يا رسول الله ما أسلمت من أجل المـال بـل أسلمت رغبة في الإسلام" فيقول له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "نعم ما بالمـال الصالح المرء الصالح"[(1)]. وكان لهذا العامل أثره في استجابة بعـضهم ومـشاركتهم بالفتوح في عهد الصديق (رضي الله عنه) يشير إلى هذا البلاذري (279هـ) في حديثه عن استجابة الناس لدعوته للجهاد بعد الردة بقوله: "سارع الناس إليه من بين محتـسب وطامع وأتوا المدينة"[(2)]. وشجع خالد بن الوليد (21هـ) مقاتلتـه فـي الولجـة عـام (12هـ) بقوله لهم: "ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب وبالله لو لم يلزمنا الجهاد بـالله والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نصارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ونولي الجوع والاقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه"[(3)].

وبعد وفاة الصديق راح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يستنفر النـاس لقتـال الفرس ثلاثة أيام، وعمد إلى التذكير بجدوبة البلاد العربية، والاغراء بالفيء حيث قـال أن الحجاز ليست لكم بدار إلا على النجعة ولا يقوى عليه أهله بذلك"[(4)]. وحاول المثنى (14هـ) ترغيب الناس فوقف قائلاً: "أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا فإنا قد تبحبحنـا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأنا من قبلنا عليهم ولها إن شاء الله ما بعدها"[(5)].

وذكر الدينوري (282هـ) أن الناس سألوا أنس بن أحيحة – رسول عتبـة بـن غزوان (17هـ) إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) – عـن البـصرة فقـال: "إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هيلاً، فرغب الناس في الخروج"[(6)]، كما كان لهـذا

---

(1) ابن حجر، أحمد بن علي (ت 852هـ)، الاصابة، ص3.

(2) البلاذري، فتوح، ص115.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص9.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص61.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص61.

(6) الدينوري، الأخبار الطوال، ص117؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص151.

الدافع أثر في توجه المقاتلة لفتح مصر[1]. من هذا كله يتبين أن الدافع الاقتصادي لعب دوراً في دفع البعض للقتال في هذه الفترة، غير أنه لم يستهدف بشكل رئيسي، بل جاء مرافقاً للدافع الأساس وهو: الجهاد، ورفع لواء الإسلام.

وهناك سبب آخر للقتال وهو نقض العهد والاعتداء من طرف آخـر[2]، كمـا أن الدفاع عن المستضعفين كان سبباً آخر للقتال في هذه الفترة يتضح ذلك في قوله تعالى : وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجـال والنـساء والولـدان.... الآية [3] وفسر مقاتل (150هـ) كلمة المستضعفين في هذه الآية بأنهم المقهـورون[4]، ويقول ابن قتيبة (276هـ) بأنهم مستضعفوا مكة[5]، وقد دلل كـل مـن ابـن عبـاس (68هـ)، ومجاهد (104هـ)، وقتادة (118هـ)، والسدى (128هـ)، وابـن جـريح (150هـ) على هذا بقوله تعالى في الآية نفسها: الذين يقولون ربنا اخرجنا من هـذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً [6]. أن العرب تسمي كل مدينة: قرية، وهي مكة هنا[7] والمستضعفون فيها.

وكان هناك دافع آخر تمثل في وجود متطلبات استراتيجية لحماية مـا فـتح مـن الأرض، وهذا ينطبق على قول عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب بشأن فتح مـصر:

---

(1) ابن عبدالحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ)، فتوح مصر، ص56؛ اليعقـوبي، تاريخ، ج2، ص137.

(2) انظر: ابن هشام، سيرة النبـي (ص)، ج3، ص191؛ الواقـدي، محمـد بـن عمـر (ت 207هـ)، مغازي رسول الله (ص)، ج1، ص176-364؛ ابن سعد، الطبقات الكبـرى، ج2، ص29.

(3) سورة النساء، آية 75.

(4) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ج2، ص290-291.

(5) ابن قتيبة، تفسير، ص293؛ الطبري، تفسير، ج5، ص107.

(6) سورة النساء، آية 75.

(7) الطبري، تفسير، ج5، ص107.

"إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم"[1]، فكان عمرو بن العـاص يـرى أن سواحل سوريا لن تكون في مأمن قط ما دام الاسطول البيزنطي معتمداً على قواعده في مصر[2]. ويبدو أن هذا السبب دعا المسلمين لفتح الجزيرة الفراتية كذلك؛ فعندما أتـى المسلمون فتح بلاد الشام والسواد ظل في أيدي الرومان قطاع من الأرض يفصل بـين البلدين يتمثل في الجزيرة الفراتية وعاصمتها الرها، وكان هذا القطاع الذي يقع علـى طريق التجارة من الخليج العربي يضم خطوط المواصلات الطبيعية، وبذلك لـم يكـن منتظراً من المسلمين أن يقبلوا بسيطرة الرومان على هذه الرقعة من الأرض[3].

وكان أول أثر لحروب الردة، قبل توحيد الجزيرة، توحيد صفوف المدينـة، بعـد الخلافات والمنافسات التي خلفتها المعركة الأنتخابية الأولى، وتلا ذلك توحيد الجزيرة.

انتصر التيار الإسلامي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتدفق هذا التيار المنتصر وسار خطوة جديدة بالتوسع خارج الجزيرة. وهذا التوسع يعني نـشر سـيادة الإسلام وتوسيع أراضيه لا نشر العقيدة. حمل التيار الإسلامي هذه المرة العرب تحـت لوائه ورمى بهم إلى الخارج كقوة موحدة. وكان أهل المدن أبطال الإسلام في الـردة، وهم الآن منظموا الفتوحات وقادتها. وعلينا أن نتذكر الفرق بينهم وبـين القبائـل فـي الدوافع وفي درجة الوعي الإسلامي.

لقد تدفق التيار الإسلامي العربي واتجه إلى تكوين امبراطورية عربيـة إسـلامية وكانت ظروف العرب واتجاهات التيار الإسلامي مسؤولة عن ذلك.

إن الإسلام فرض الجهاد على المسلمين. ولما ألقى أبو بكر كلمته الافتتاحية جعل الجهاد من أسس تكوين الأمة الجديدة، قال: "لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل". وقد عدت حملة أسامة التي جهزها الرسول ليرسلها إلى جهة الشام أكبر دليل على رغبته في التوسع خارج الجزيرة. كما أن كتبه إلى ملوك

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص56؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص137.

(2)جلوب، جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، ص393.

(3)دينيت، دانيال، الجزية والإسلام، ص85.

البلدان المجاورة وأمرائها كانت دليلاً واضحاً على رغبته في نشر الإسلام خارج الجزيرة. فالإسلام وجه العرب، وجعل توسيع رقعة الإسلام من أسس الكيان الجديد[1].

وأثارت حروب الردة الروح العسكرية في الجزيرة، ولا ينتظر إهمالها ومن الضروري توجيه القوات المقاتلة إلى مجال جديد. وأورثت حروب الردة وإخضاع الجزيرة بالقوة بعض الأحقاد في المدينة، وبقي أثر العصبية القبلية، وكان لا بد من معالجته. ثم إن الغزو جانب أساسي من الحياة البدوية، وما دام الإسلام أوقفه في الجزيرة، فلا بد من توجيه جديد وذلك بتحويل الإمكانيات والرغبات القبلية وجهة التوسع في قضية مشتركة. وتبدو أهمية هذا التوجيه إذا تذكرنا أن موارد الجزيرة تقل عن حاجة سكانها، ويلزم إيجاد مورد عيش جديد وتحويل الغزو إلى جهاد خارج الجزيرة[2].

وللعامل الاقتصادي أهمية تذكر. فجدب الجزيرة وروح التوثب التي نظمها الإسلام، وغنى الهلال الخصيب كانت عوامل إغراء للمسلمين حتى في حياة الرسول.

يذكر الطبري أنه بعد معركة ذات السلاسل "قام خالد خطيباً في الناس يرغبهم في بلاد العجم ويزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثّاقل عما أنتم عليه"[3].

ويروى أنه جرى بين المغيرة بن شعبة، رسول سعد بن أبي وقاص، ورستم قائد الفرس، الحديث التالي: "سأل رستم: "أنبئوني ما جاء بكم من بلادكم فإنا لا نرى لكم عدداً ولا عدة". فقال المغيرة: "كنا قوماً في شقاء وضلالة فبعث الله فينا نبياً فهدانا الله به، ورزقنا على يديه. فكان فيما رزقنا حبة زعموا أنها تنبت في هذه الأرض. فلما

(1) الدوري، تاريخ صدر الإسلام، ص52.

(2) المصدر نفسه، ص53.

(3) الطبري، تاريخ، ص355؛ الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص53.

أكلنا منها وأطعمنا أهلينا قالوا لا صبر لنا حتى تنزلونا هذه البلاد فنأكل هذه الحبة." [1].

ولم يكد أبو بكر الصديق ينتهي من تصفية حركات الردة في السنة الأولى من حكمه حتى حشد كل طاقاته من أجل تحرير العراق والشام، فهل كان ثمة عوامل ظاهرة أو خفية تدفع أبا بكر الصديق من أجل إتباع هذه السياسة فضلاً عن حرصه على مواصلة السياسة التي بدأها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا المجال؟ وهل كان محيطاً بمدى قوة الامبراطوريتين التي سيتصدى لمحاربتهما تنفيذاً لهذه السياسة؟.

1. لقد أشير إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت شحيحة في مواردها الاقتصادية بسبب مناخها الصحرأوي مما كان يحمل أبناء القبائل العربية على الصراع من أجل الحصول على الكلأ والماء لرعي مواشيهم أو الهجرة شمالاً إلى العراق والشام حيث مصادر الرزق الوفير. فلما نجح أبو بكر الصديق في توحيد العرب تحت سلطة مركزية وأحدة، كان من الضروري أن يوجه طاقاتهم إلى الجبهة الخارجية من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض وتحسين أوضاعهم المعاشية[2]. يقول البلإذري: "لما فرغ أبو بكر (رضي الله عنه) من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام، فكتب إلى أهل مكة والطائف، واليمن، وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه، وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع[3].

وقد أورد الطبري خطاباً لخالد بن الوليد يحث الناس على الجهاد و "يرغبهم في بلاد العجم، ويزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل، ولم يكن إلاّ المعاش لكان الرأي أن نقارع هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والاقلال من تولاه فمن أثقل عما أنتم عليه"[4].

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص32، الدوري، تاريخ صدر الإسلام، ص53.

(2) الدوري، تاريخ صدر الإسلام، ص45-46؛ ماجد، عبدالمنعم، التاريخ السياسي، ج1، ص165.

(3) البلاذري، فتوح، ص115.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص354.

2. أورد الطبري حواراً بين خالد بن الوليد وبين زعماء الحيرة يشير إلى أن دوافع التحرير القومي كانت تتداخل وتتكامل في فكره مع دوافع نشر رسالة الإسلام القائمة على العدل والأنصاف. قال خالد: "ويحكم! ما أنتم! عرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الأنصاف والعدل! فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى مستعربة فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلاّ بالعربية، فقال: صدقت. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا أن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة، فقال: بل نعطيك الجزية، فقال خالد: تباً لكم، ويحكم ان الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها، فلقيه دليلان: أحدهما عربي فتركه، وإستدل الأعجمي[1].

3. لقد كان الهدف المركزي من حروب التحرير كما يفهم من الحوار الأنف الذكر هو نشر عقيدة الإسلام بين الناس، غير أن هذه الحروب لم تسع إلى إكراه أحد على اعتناق الإسلام وإنما كانت تستهدف توفير الظروف الموضوعية التي تساعد الناس على الاختيار الحر بين إعتناق الإسلام وبين أداء الجزية والعيش في ظل عدالة الإسلام.

إن تحقيق الأهداف الأنفة الذكر كان يتطلب أن يحشد المسلمون من وسائل القوة المادية والمعنوية ما يكافئ قوة الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ويتفوق عليها، فهل استطاع المسلمون أن يحشدوا مثل هذه القوة قبل الشروع في حروب التحرير؟

إن النصوص التي بين أيدينا تشير إلى تطور الأحداث لم يفسح المجال للتريث ريثما تتوافر مثل هذه القوة، وإنما شرع المسلمون في حربهم ضد الامبراطورية الساسانية، ومن بعدها الامبراطورية البيزنطية نتيجة ثقتهم العالية بأنفسهم التي نشأت عن وحدتهم الدينية والسياسية وشعورهم، ربما على نحو غامض بضعف خصومهم

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص361-362.

وتفككهم.

وقد كان أبو بكر الصديق حريصاً على أن تبدأ حروب التحرير على جبهة الـشام تنفيذاً للسياسية التي بدأها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حياتـه، غيـر أن سـير المعارك في حروب الردة، وبخاصة في البحرين قد أدى إلى الاحتكاك بالساسانيين في منطقة السواد في جنوب العراق وحفز المقاتلين المسلمين على إقناع الخليفة بفتح جبهة تحرير العراق[1].

كما كان هناك عدة دوافع وأهداف دفعت المسلمين للخروج من الجزيرة العربيـة في عدة اتجاهات لمحاربة أقوى امبراطوريتين في تلك الفتـرة وهمـا : امبراطوريـة الفرس وامبراطورية الروم، والتغلب على البلاد والأقاليم التي تسيطر عليهـا هـاتين الامبراطوريتين وفتحها ونشر الإسلام في ربوعها، ومن هذه الدوافع ما يلي :

1- ايمان المسلمين القوي بالعقيدة الإسلامية دفعهم إلى نشر الإسلام والجهـاد فـي سبيل الله. فقد دفعهم إيمانهم القوي بالعقيدة الإسلامية إلى نشر تعـاليم الإسـلام خارج الجزيرة العربية، وإزالة العقبات من طريق الدعوة الإسلامية، والإتصال بالناس لكي تبلغهم تعاليم الإسلام وتخالط قلوبهم ومشاعرهم فيعتنقوها عن قناعة ورضا. ومن أجل الجهاد في سبيل الله.
2- انتصار المسلمين في حروب الردة واكتسابهم قوة وخبرة عسكرية ومعنوية عالية دفعت أبا بكر لتوجيه المسلمين للجهاد خارج الجزيرة العربية بعد الأنتهاء مـن حروب الردة.
3- وعد الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بفتح بلاد الفرس والـشام والـيمن بحديثه عليه الصلاة والسلام مع سلمان الفارسي أثناء حفر الخندق حول المدينة المنورة[2].
4- ما كانت عليه أحوال الدولتين : الفارسية والرومانية من الاعتلال والاخـتلال.

---

(1)حسين، طه، الشيخان، ص87-88.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص122-123.

ذلك أن حال كل من الدولتين كان في انحطاط وتدهور، فقد فـسدت الأخـلاق، وانحطت الهيئة الاجتماعية، وبدأ التحاسد والتباغض، وخبثت النيات، وكثـرت الدسائس، واختلت الأحوال الدينية، واستمر النزاع بين هاتين الدولتين واشتعلت نار الحرب بينهما. فكان سكان البلاد التي تخضع لهاتين الدولتين فـي العـراق والشام ومصر وغيرها من المناطق تميل إلى الخلاص من ظلم واستبداد حكـام هاتين الدولتين.

2.2 المد الإسلامي والبيئات التي انتشر فيها الإسلام :

بزغت شمس الإسلام في "واد غير ذي زرع" يمتد خلال فترة زمنية قصيرة إلـى بقاع شبه الجزيرة العربية كلها، ثم انتشر ليشمل أقاليم الجوار والعديد من بقاع العـالم القاصية والدانية.

وقد شكلت ظاهرة انتشار الإسلام بهذه السرعة ظاهرة فريدة في التـاريخ حـار الباحثون في الشرق والغرب في تفسيرها، واختلفوا في ذلك فمنهم من أعطى ثقلاً إلـى الظروف التاريخية المناسبة للمد الإسلامي، ومنهم من أكد على الظـروف المناخيـة / الجغرافية والعوامل الاقتصادية. وأبرز آخرون طبيعة العرب "مادة الإسلام الأولى"، ولا زالت الأبحاث تثرى وهي تقدم معلومات جديـدة ووجهـات نظـر جـديرة بـالتمعن والمناقشة.

على أن العامل الجدير بالملاحظة والذي يمكن أن يكون العامل الأكثر فاعلية فـي النجاح الذي حققه الإسلام يكمن في طبيعة الدين الإسلامي من حيـث عقيدتـه التـي اتصفت بالاعتدال والوسطية ومن حيث سلوك دعاته الذين بشروا به بوسائل سعت إلى التفاعل مع حضارات ونظم الشعوب وتقبل ما لا يتعارض منها وتعاليم الإسلام حيـث نتج عن ذلك في نهاية المطاف إطاراً لما يسمى بالحضارة العربية الإسلامية".

ويشكل المجتمع الإسلامي اليوم أحد التجمعات الكبرى في المجتمـع الأنـساني، وتستوطن معظم الشعوب الإسلامية في الأقاليم الوسطى من الكرة الأرضية، "وجعلناكم

أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً"، تمتد من سـواحل المحيط الأطلسي الأفريقية غرباً إلى المحيط الهادي شرقاً ومن سهوب روسيا شمالاً إلى أرخبيل جنوبي شرقي آسيا، وتضم شعوباً متباينة عرقياً ولغوياً وحضارياً تشمل العرب والفرس والترك والبربر والأفارقة والهنود والأفغان والصينيين وشعوب الملايو وأقليات مثل الألبان حيث يعد الإسلام بما فيه من عوامل الوحدة والاستمرارية الرابطـة التـي تربطهم جميعاً والأمل الذي يتطلعون إليه في سعيهم من أجل مستقبل أفضل.

3.2 علاقات شبه الجزيرة بأقاليم الجوار :

في الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام لم تكن في شبه الجزيـرة دولـة مركزيـة واحدة، بل كانت هناك قبائل ذات نفوذ على مدن أو مناطق محددة مثل نفوذ قبيلة قريش في مكة وأطرافها، ونفوذ آل الجلبذى في عمان ونفوذ بني حنيفة في اليمامة. أمـا فـي اليمن فكان هناك الإذواء والأقيال الذين يتمتعون بنفوذ قوي في أقاليمهم وبين قبائلهم.

وكانت أقاليم الجوار لشبه الجزيرة، هي العراق وبلاد الشام ومصر، مرتبطة بشبه الجزيرة ارتباطاً جغرافياً طبيعياً وارتباطاً بشرياً. وكانت الهجرات مستمرة ومتتابعة إلى هذه الأقاليم منذ أزمنة قديمة، ومن هنا جاء رد الفعل الطبيعي للمقاتلة العرب المسلمين حيث أبلغوا في الزحف نحو بلاد الشام قولهم : "أرض أجدادنا" فعند ظهـور الإسـلام كانت بعض القبائل تسكن في هذه الأقاليم مما يسر عمليات الفتح والأنتشار الإسلامي.

كان الساسانيون الفرس يحكمون العراق، وهم غرباء عن الإقلـيم ثقافـةً وديناً فأصولهم آرية وديانتهم الرسمية زرادشتية. ولم تحأول الدولة الساسانية تضييق الـشقة بين سكان العراق وبين الفرس الحاكمين فلم تكن هناك خطط منظمة لنشر اللغة والثقافة والديانة الفارسية. لقد كون الفرس طبقة ثرية "آرستقراطية" تدين بالزرادشتية المتـشددة ولم تختلط بالسكان. ومن هنا يظهر ميل سكان العراق من النصارى أو المشركين نحو الفاتحين الجدد وعدم حماسهم في المقأومة أو الوقوف إلى جانب الساسانيين[1].

(1) كرستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ص378-380؛ سليمان، عامر، تاريخ العراق القديم، ص40.

وكان البيزنطيون (الروم) يحكمون بلاد الشام ومصر، وقـد رعـوا الحـضارة الرومانية وشجعوا الثقافة الإغريقية. وحين اعتنقوا المسيحية لم يعتنقوها على مـذهب أهل الشام (اليعاقبة) ولا مذهب أهل الجزيرة الفراتية (النساطرة) وأضطهدوا الـسكان لعدم اعتناقهم المذهب الرسمي للدولة وكان لشبه الجزيرة العربيـة خاصـة الحجـاز علاقات تجارية نشطة مع بلاد الشام واليمن وعمان والعراق ومصر والحبشة وقد جلبت هذه التجارة مردودات اقتصادية واضحة ولم تنقطع الصلات بين شبه الجزيرة وأقـاليم الجوار، كما استمر تدفق القبائل إلى هذه الأقاليم بحيث ظلت شبه الجزيـرة معينـاً لا ينضب من الموارد البشرية، رغم أن الدولتين الساسانية والبيزنطية حاولتا إقامة حواجز سياسية من خلال إمارتي المناذرة والغساسنة. ومن الطبيعي أن يؤثر الصراع الحربي بين الدولتين الكبيرتين في تلك الفترة : الساسانية والبيزنطية على شبه الجزيرة العربية وأقاليم الجوار. وكان هذا الصراع يعود لأسباب عديدة لعل في مقدمتها عوامل تجارية ودينية وسياسية، وقد سيطرت الدولة الساسانية على بلاد الشام واليمن كمـا وصـلت شمالاً إلى خلقدونية على بحر مرمرة سنة 615م، ثم فتحت مصر سنة 616م. ولكـن البيزنطيين ما لبثوا أن نظموا أنفسهم وأعادوا الكرة بقيادة هرقل حيث ألحقوا الهزيمـة بالفرس واستولوا على العاصمة المدائن. وعقد الطرفان صلحاً سـنة 628م. ومـا أن انتهت الحرب الساسانية-البيزنطية التي أنهكت الطرفين حتى فاجأهـا المـد العربـي الإسلامي القادم من شبه الجزيرة العربية.

4.2 طرق انتشار الإسلام والعوامل التي ساعدت على تقبله :

إن سرعة انتشار الإسلام في وقت قصير وتماسك المجتمع الذي تشكل تحت رايته أمران يثيران العديد من التساؤلات لدى الباحثين قديماً وحديثاً ولعلنا في هـذا الفـصل نحاول أن نستعرض العوامل التي ساعدت على ذلك :

تنوعت طرق انتشار الإسلام من مرحلة إلى أخرى واختلفت من بيئة إلى أخرى، وقد ساعدت على سرعة انتشاره وتقبله عوامل منها ذاتيـة تتعلـق بطبيعـة العقيـدة

الإسلامية ونوعية الدعاة الذين حملوا الدعوة إلى الأقاليم الجديدة، ومنها عوامل مساعدة ذات صلة بالجهاد، والهجرات السلمية للمسلمين.

أ- الدعوة :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الدعاة للإسلام وفي طليعتهم، وقد سن صلى الله عليه وسلم الصفات التي يجب أن يتصف بها الدعاة، أولها إيمانه بالدعوة الإسلامية وإخلاصه لها وفهمه للعقيدة الإسلامية وقد جاء في القرآن وصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالداعية في قوله تعالى[1] : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فكان بذلك القدوة التي يترسم خطاها كل الدعاة ابتداءً من السابقين الأولين وإلى يومنا هذا فكان كما وصفه القرآن الكريم الأسوة الحسنة، يقول تعالى[2] : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

وقد أوضح الإسلام الطرق التي يتبعها الدعاة فقال تعالى[3] : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . وان السير وفق هذه الأساليب سيجعل من الدعاة المسلمين القدوة الحسنة التي تتصف بحسن التعامل والخلق الرفيع باعتبارها وسيلة لإيصال العقيدة الإسلامية إلى الناس. وكانت جهود الدعاة فردية أو جماعية في حسن مخالطة القوم ومخاطبتهم على قدر مستواهم والصبر في شرح أصول الدين لهم، مما حقق نتائج ايجابية في نشر الإسلام بين هذه الجماعات لتأثيرها بسلوكهم وأخلاقهم ومن تقبل المبادئ الإسلامية التي يدينون بها.

وفي مصادرنا التاريخية مثال واضح في دعوة الإسلام السلمية سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حين بدأ بعد صلح الحديبية بإرسال الرسائل إلى الأمراء وحكام البلدان المجأورة للحجاز وتقول الروايات أنه فرق رجالاً من صحابته إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل وكانت تهدف إلى التعريف بالإسلام والإشعار بمكانته في

(1) سورة الأحزاب، آية 46.

(2) سورة الأحزاب، آية 21.

(3) سورة النمل، آية 125.

الحجاز ثم فتح باب الحوار مع هؤلاء الحكام. على أننا سنلاحظ وجود أمثلـة ونمـإذج أخرى للدعوى في كل البقاع التي امتد إليها الإسلام.

وقد لعب المسجد والجامع والكتاب والمدرسة والرابطة والتكية حيـث المتـصوفة والسوق حيث لعب التجار دوراً في الدعوة إلى الإسلام في مختلف البقاع التي انتـشر فيها الإسلام. إن تأسيس مثل هذه المراكز في المناطق التي استقر فيها المسلمون ساعد كثيراً على اختلاط السكان المحليين بالمسلمين تجاراً أو معلمين أو حرفيين أو فقهاء أو غير ذلك فمعظمهم كان له نصيب في الدعوة متمثلاً بقوله تعالى : ومن أحسن قـولاً ممن دعى إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الـذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .[1]

فقد كانت ظاهرة التجار / الدعاة والفقهاء / الدعاة والمعلمون / الدعاة والصوفية / ظاهرة بارزة في أرجاء الأقاليم التي انتشر فيها الإسلام في آسـيا وأفريقيـا وأوروبـا وكانوا يعلمون ما يقولون تمشياً مع قوله تعإلى : قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علـى بصيرة أنا ومن اتبعني [2]، ويدعون إليه بالرفق واللين كما وأنهم كـانوا يـدركون أن الدعوة إلى الإسلام ليست من اختصاص فئة معينة من الناس مثل العلماء أو الفقهاء فقط بل إن الدعوة واجبة على كل مسلم بالغ عاقل كل حسب طاقته، ومن هنـا فقـد أشـار الباحثون إلى أن المسلمين جميعاً مسؤولون عن تبليغ الدعوة الإسلامية لأنها دين الحق وقد أوجب الله ذلك على المسلمين. ومما سهل أمر الدعوة الصفات التي كان الداعيـة يتحلى بها مما جعلته مقبولاً لدى الناس. فقد كان بصيراً لما يدعو إليه مؤمناً به صادقاً مخلصاً في معالمته مع الآخرين سواء كان ذلك في عمله كتاجر أو عامل فـي مهنـة معينة أو كداعية إلى الإسلام[3].

---

(1) سورة فصلت، آية33 .

(2) سورة يوسف، آية 108.

(3) محمود، علي، عالمية الدعوة الإسلامية، ص551.

وكان الداعية ، وهو في بلد غير مسلم يدرك أن الخلق الحسن والتواضع من أول الصفات التي تجتذب الناس إليه عملاً بقوله تعالى لرسوله الكريم : ولو كنـت فظـاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك [1]، كما وأن الصبر والتحمل نصف الإيمان: فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل [2]. وكان الدعاة لا يتركون فئة مـن المجتمـع دون دعوة أخرى وينتهزون الفرصة الملائمة لدعوة كل الشرائح الاجتماعية سواء أكانت من أشراف القوم أو من الرعية وهم عامة الناس أو غيرهم فقد يشرح الله تعالى صدر زعيم من زعماء القوم فيؤمن ويتبعه قومه أو قد يستجيب فئات من عامة الناس للدعوة بسبب تعاملها المباشر مع الداعية. ذلك لأن هذا الأخير يدرك أن الناس أصناف مختلفة وصفها الله تعالى في كتابه: ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمـنهم ظـالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبيـر [3]. وإذا كان المدعوون مراتب فإن المنهاج أو الأسلوب الذي يختاره الداعلية مراتب أيضاً كمـا قال الرسول صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فـإن لـم يـستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[4].

ب- الفتح الإسلامي (الجهاد) :

ترتبط حركة الفتوح الإسلامية بفكرة الجهاد في سبيل الله تعالى التي تعنـي بـذل الجهد في مدافعة الشر واستجلاب الخير، وهي فكرة إنسانية. فالـدعوة إلـى العقيـدة الجديدة اتخذت مبدأ اليسر والتسامح وسيلة لها. فلم يجبر العرب أحداً على الإسلام بل كان الفرد من سكان البلاد المفتوحة يستطيع البقاء على دينه دافعاً ضريبة الجزية التي كان يدفعها سابقاً. كما وأن هدف الجهاد في حقيقته يخص المصلحة العامة لا مـصلحة فرد بعينه. وقد حققت عمليات الفتح الإسلامي أكبر ظاهرة دمج حضارية في التـاريخ

(1) سورة آل عمران، آيه 159.
(2) سورة الأحقاف، آيه 35.
(3) سورة فاطر، آيه 32.
(4) النسائي، سنن، ج3، ص111.

وأدت إلى التقاء شعوب ذات ثقافات وقيم متنوعة فكانت عمليات تمازج حضاري فريدة في نوعها. ولعل ما يدل على انكار الذات في سبيل العقيدة قول رسول معركة القادسية إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "واستشهد فلان وفلان وآخرون لا يعلمهم إلا الله"[1].

وكلمة الجهاد كلمة جامعة وردت في القرآن شاملة جميع أنواع الـسعي وجـاءت أكثر من خمسين مرة مرتبطة بعبارة (في سبيل الله) بمعنى أن الجهاد الحقيقي هو عمل خالص لله تعالى لا من أجل دوافع أخرى. قال الله تعالى: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين [2].

بعد أن نجح الرسول صلى الله عليه وسلم في كسب أهل المدينة للدعوة الإسلامية في بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب 12 للبعثة / سنة 622م)، أخذ في أواخـر الفتـرة المكية يهيئ المسلمين لاحتمالات الصدام المسلح مع المشركين. ذلك أن مقأومة العدوان بالرد عليه صفة مميزة للجماعة الإسلامية. وقد نزلت الآيات الأولى بعد الهجرة النبوية مباشرة أو في أثنائها تحل للمسلمين الجهاد لرد الظلم والحيف ، قـال تعـالى: اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير.... [3].

ومن هنا فقد كان من أهداف الجهاد الدفاع عن النفس والمال والدفاع عن الدعوة الإسلامية وضمان حرية انتشارها. ووعد الله تعالى المجاهدين بالنصر أو الشهادة حيث النعيم في الآخرة. قال تعالى[4] : فليقاتل في سبيل الله الذين يـشرون الحيـاة الـدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً .

والجهاد فرض في نص القرآن الكريم : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين

(1)فوزي، فاروق عمر، التاريخ والتوعية، ص167.
(2) سورة العنكبوت، آية 69.
(3) سورة الحج، آية 39-41.
(4) سوؤة النساء، آية 74.

لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين [(1)].

وقد يكون الجهاد فرض كفاية وفرض عين : فهو فرض كفاية ابتداء حيث كـان المسلمون الأولون في فترة نشر الدعوة الإسلامية وضمان سلامتها وتوسيع رقعـة دار الإسلام أيام الراشدين والأمويين والعباسيين الأوائل يبدأون بالجهاد وقتال العـدو فـي الفتوحات صيفاً (الصوافي) وشتاءً (الشواتي)، فإن لم تقم فئة من المسلمين بالجهاد أثـم الكل بتركه أما إذا قامت هذه الفئة بالجهاد فيسقط عن أهل البلدان الإسلامية الأخـرى. ويكون الجهاد فرض عين في حالة هجوم العدو على دار الإسلام فهو فرض عين عليهم حتى يقهر العدو وينسحب. ويعد الجهاد فرض عين إذا دعى الخليفة أو أمير المـسلمين إلى النفير العام وإذا لم يدعو فهو فرض كفاية.

إن مفهوم الجهاد باعتباره دعوة للحرب العادلة ينبثق من هدف الدعوة الإسـلامية كدعوة عالمية للناس جميعاً وإن أحد وسائل تحقيق هذا الهدف هو الجهـاد. فقـد منـع الإسلام كل أنواع الحروب باستثناء الجهاد. فهي الحرب الوحيدة التي يجيزها القـانون الدولي في الإسلام على أن الجهاد الذي أشرنا إليه لا يعني الحرب أو القتال فقط بـل كان ما يتعلق بإنجاز الواجب في سبيل الله من أجل تحقيق الحق والعدالة ومدافعة الظلم كما قررته الشريعة الإسلامية. وبهذا المعنى الشمولي للإصطلاح فهو واجب ديني على كل مسلم القيام به لدفع الشر ونشر الاسلام ، وهو واجب جماعي على كل المـسلمين القيام به شرط قدرتهم على القيام به. إن المشاركة في الجهاد في نظر الإسلام متميـز وفرض وثوابه كبير والثواب هو الفوز بأحدى الحسنيين واما النصر أو الشهادة والجنة.

ونلاحظ اختلاف تفاسير الفقهاء في مفهوم الجهـاد بعـد أن اسـتقرت الدولـة الإسلامية وبلغت أوج ازدهارها ، ففريق أشار إلى أن إعلان الجهاد يكون في حالـة وأحدة هي عندما يشن الأعداء القتال ضد المسلمين ويقاتلوهم، ولم ينصح خلفاء الأمة بشن الحرب ضد غير المسلمين بسبب رفضهم أعتناق الإسلام أو بسبب عقيدتهم غير الإسلامية، ووضحوا أن الإسلام يتسامح ويتعـايش مـع أهـل الـديانات الـسماوية

(1) سورة البقرة، آيه 193.

السابقة[1].

وفريق آخر دعا إلى الجهاد ضد غير المسلمين بسبب عدم اعتناقهم الإسلام وليس فقط بسبب اعتدائهم على دار الإسلام.

ولكن حينما دخلت الدولة الإسلامية مرحلة الضعف غدا مفهوم الجهـاد محـدوداً ومشروطاً عندما تكون قوة المسلمين واضحة. وحين تعرضت دار الإسـلام لمـشاكل داخلية وباتت مهددة بأخطار خارجية فرنجية ومغولية أدرك بعض الفقهاء عـدم قـدرة الأمة على التقيد بمفهوم الجهاد الأول والالتزام به ففسروا الجهاد بأنه حرب دفاعية ضد العدو غير المسلم حينما يهدد دار الإسلام ويشن الحرب ضدها فهنا يكون الجهاد فرضا وواجبا على كل مسلم.

أما غير المسلمين الذين لا يحاولون النيل من دار الإسـلام فـلا يتعـرض لهـم المسلمون ولا يحاولون فرض العقيدة عليهم بالقوة لأن ذلك يناقض روح الدين الإسلامي "لا إكراه في الدين". فالجهاد ملزم للمسلم في حالة الدفاع عـن دار الإسـلام. وهكـذا فالجهاد مستمر إلى يوم الدين ما دام هناك عقيدة إسلامية وبلاد إسلامية [2].

لقد استغرقت الفتوحات الإسلامية فترة قصيرة من الزمن حيـث وصـفها أحـد الباحثين الأوروبيين بقوله "أسرع فتح بأقل الرجال" [3] ووصف باحث أوروبـي آخـر المسلمين "بأعدل الفاتحين الذين عرفهم التاريخ" [4] وسـنتطرق بتفـصيل أكثـر إلـى صفحات الجهاد حين نبحث في الأقاليم التي انتشر فيها الإسلام في فصول قادمة حيث لكل بيئة خصوصيتها وظروفها.

إلا أننا نود أن نتطرق هنا إلى الفتوحات الإسلامية باعتبارها عاملاً مساعداً علـى نشر الإسلام ذلك أنها أدت إلى استقرار القبائل العربية المسلمة اما كمقاتلة في حاميات

---

(1) العاقور، صلاح، تاريخ الخلافة الأموية الجهادي، ص15.

(2) Khadduri, War and Peace in Islam, p. 11.

(3) لومبارد، موريس، الجغرافية التاريخية، ص41.

(4) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص32.

المدن والأمصار ودور الهجرة الجديدة في الأقاليم المفتوحة، أو بعد فترة مـن الـزمن كمستقرين يعملون في التجارة والمهن والحرف والزراعة أو مجالات العلوم والمعرفة، فقد لاحظ المؤرخون والبلدانيون اختلاط سكان المدينة الواحدة ببعـضهم حيـث تـرد روايات تصف عدداً من المدن بأن فيها "أخلاط من العرب والعجم" (1) مما يـدل علـى التمازج بين السكان، وتلقب العرب والمسلمون بألقاب فارسية أو بربرية أو تركيـة أو غيرها حسب الأقاليم التي سكنوا فيها ونسبوا أنفسهم إلى تلك المـدن والأقـاليم مثـل المقدسي والأنطاكي والمروزي والرازي والسجستاني والخراساني والكرماني وغيرهم وظهر من هؤلاء العرب المسلمين علماء وفقهاء ومفكرين سـاهموا فـي تقـدم تلـك الأصقاع وتتلمذ على أيديهم العديد من سكانها في حقول المعرفة، فكان هؤلاء العـرب المسلمون الرواد الأوائل في نقل الإسلام واللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية إلـى تلك البلدان.

إن اختلاط العرب المسلمين بغيرهم من المسلمين من غير العرب (الموالي) ساعد وبمرور الزمن على تكون الأمة الإسلامية الواحدة في الدولة الإسلامية الواحدة التـي شملت في ذروة الفتوحات في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي أقاليم عديدة امتدت من حدود الصين شرقاً وحتى جنوبي فرنسا غرباً ومن الأناضول وجنوبي ايطاليا شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً، ولم يعد العنصر أو الدم هو المعيار الذي يقاس بـه الفـرد المسلم في المجتمع الجديد بل غدت العقيدة والفكر والثقافة العربيـة الإسـلامية هـي المعيار(2) وقد تبلور هذا المعيار ووضحت معالمه في مطلع العصر العباسي (القـرنين الثاني والثالث الهجريين) اللذين شهدا (العصر الذهبي) في الحضارة الإسلامية ثم القرن الرابع الهجري الذي يسمى عصر (النهضة الإسلامية) الذي برع فيه علماء من كافـة الأجناس التي انتشر بينها الإسلام ولكنها كانت تفكر بالإسلام وتكتب باللغة العربية لغة الدين والثقافة والفكر في العالم الإسلامي تماماً كما كانت اللغة اللاتينية في أوروبا فـي

---

(1) العلي، صالح، امتداد العرب في صدر الإسلام، ص38.

(2) فوزي، دور الموالي في المجتمع الإسلامي، ص25.

العصور الوسطى.

جـ - الهجرات السلمية :

المعروف إن عملية انتشار المسلمين ومعهم عقيدتهم الإسلامية تمت وفق نمطين : الأول : الفتوحات الإسلامية ، أما الثاني وهو ما سنتطرق إليه هنا فهـو الهجـرات السلمية ذات الطبيعة الجماعية التي بدأت تدريجية ولكنها متواصلة. فقد كانت هجـرات العرب الأوائل قبل الإسلام إلى بلاد الشام والعراق وأقاليم الخليج العربيـة والـساحل الشرقي للخليج بادرة وقاعدة لأنطلاق هجرات أخرى بعد مجيء الإسـلام ثـم أنهـا ساعدت من ناحية أخرى جيوش الفتح الإسلامي. فالفاتحون العرب اندفعوا دون تردد من جبهة الشام لأنهم كانوا أعرف بها من غيرها من خلال علاقات القربى بالقبائل التي كانت مستقرة هناك قبل الإسلام، ولأنها على حد قولهم "أرض أجدادهم"، كما وأن قبيلة تغاب إنحازت إلى العرب في معركة الجسر ولسان حالها يقول "نقاتل مـع قومنـا"[1] وتشير روايات تاريخية أخرى[2] الى أن العرب كانوا يتهيبون الجبهة الشرقية المتمثلـة بـ (ايران) لعدم معرفتهم بها ولعدم تواجد قبائل عربية انذاك في الهضبة الايرانية ذلك أن العرب القدماء الذين هاجروا هجرات سلمية واستقروا في أقاليم الجوار أو أطرافهـا كانوا يساعدون المهاجرين الجدد في عملية الاستقرار سواء كان ذلك قبل الإسـلام أو بعده. وقد عملت الدولة الاسلامية في أوقات عديدة على تشجيع الهجرة وساعدت علـى استقرار العرب المسلمين وانتشارهم في الأمصار ودور الهجرة وقرى أو مدن عديـدة في أقاليم متنوعة في المشرق والمغرب الإسلاميين.

انتشر العرب في هجرات سلمية إلى بلاد الشام قبل الإسلام وبعـده ولـيس مـن السهل تتبع التشكيلات القبلية في بلاد الشام قبل الإسلام فقد حدث في خارطتهـا تبـدل بسبـب هجـرة قبائل جديدة أثناء الفتوح وبعدها [3]. ومهمـا يكـن مـن أمـر فـإن

---

(1) فوزي، التاريخ والتوعية، ص169.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص463، ج4، ص72.

(3)العلي، امتداد العرب، ص5.

اليعقوبي[1] يذكر أن قضاعة كانت أول من قدم بلاد الشام وخاصة قبيلة تنوخ وكان ذلك في بدايات القرن الثالث الميلادي ثم هاجرت غسان ومن بعدهم الضجاعمة، وقد فضلت غالبية قبائل بلاد الشام السكني في أطراف المدن في مواضع قريبة من البادية. وفي رواية للطبري [2] أن أرض فلسطين تسمى أرض قضاعة لكثرة القبائل القضاعية فيها وكان العرب يسكنون الأغوار كغور بيسان وغور غزة ومن هذه القبائل لخم وجذام.

إن قبائل بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي، كانت متنوعة وكثير منها دان بالنصرانية، وشكلت نسبة سكانية واضحة قبل الفتح أعتمد الروم على بعضها بينما انحاز بعضا الآخر إلى المسلمين أثناء الفتح، ثم جاء العرب المسلمون مع الفتح فشكلوا نواة المجتمع الجديد في بلاد الشام.

والمعروف كذلك أن للعرب صلات قديمة بالعراق قبل الإسلام، فقد كانوا مستقرين في أطراف منه كالحيرة وعين التمر والأنبار، كما كانت قبائل عربية أخرى تنتقل في بواديه مثل بادية الكوفة وبادية البصرة. وكان العرب يسمون سكان العراق المستقلين في قرى السواد والمشتغلين بالزراعة (النبط) لأنهم، على حد قول الخطيب البغدادي، هم الذين "استنبطوا الأرض وعمروا السواد وحفروا الأنهار العظام فيه[3]. كما وأن ابن وحشية يستعمل اصطلاح النبط للدلالة على سكان العراق القدماء من الساميين عموماً بصرف النظر عن انتمائهم إلى أصول متعددة [4].

لقد كان التواصل بين عرب الجزيرة العربية وعرب العراق يشتد حيناً ويضعف حيناً آخر لأسباب سياسية تتعلق بالوضع في العراق ولأسباب اقتصادية أو قبلية أو غيرها. وقد وردت إشارات إلى هجرات قبلية عربية من شبه الجزيرة العربية إلى العراق في حوالي 520 ق.م بسبب التخلخل السياسي فيه فخرجت الازد وقضاعة إلى

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص201.

(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص42.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص57.

(4) جودة، جمال، العرب والأرض، ص59.

العراق واستطاعوا أن يتغلبوا على بعض النواحي في الأطراف الغربية والجنوبية.

وكان في أطراف السواد اياد وبكر بن وائل وتميم وتغلب والنمر وكلب وأسد.

أما اياد فقد نزلت العراق في بداية القرن الثالث الميلادي واستقرت في الريف بمنطقة الحيرة غربي الفرات (بادية العراق) وقد تعرضت هذه القبيلة لهجمات من قبل الساسانيين لاجلائهم عن المنطقة. أما بكر بن وائل فنزلت كاظمة وذي قار وانتشرت ما بين الحيرة والأنبار ويرد ذكر بكر بن وائل لأول مرة في القرن الرابع الميلادي إذ كانوا يقومون بغارات على السواد مع تميم وعبد القيس.

وحققت بكر انتصارها على الفرس الساسانيين في معركة (ذي قار) حوالي سنة 610م[1]، أما قبيلة تميم فانتشرت في بادية البصرة ولها بطون في بادية الكوفة وتعود صلتها بالعراق إلى القرن السادس الميلادي، وقد زاد عددها في بداية القرن السابع، وجاء ذكر بني أسد في بادية الكوفة.

يبدو من ذلك ان انتشار القبائل العربية في العراق اشتد في فترة الضعف السياسي وقبيل قيام الدولة الساسانية سنة 226م. ولهذا فقد جعلت هذه الدولة من أهم أهدافها صد المد العربي نحو العراق بإقامة إمارة حاجزة هي (مملكة الحيرة) للوقوف امام ضغط القبائل العربية. وقد قامت مملكة الحيرة بهذا الدور إلى حين حيث أنها في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي لم تعد قادرة على إيقاف المد العربي باتجاه السواد.

وكانت الحيرة مدينة عربية بالعراق غالبية سكانها من قبائل جعفي وطي وكلب وتميم والازد ولخم وغسان وكندة وبنو الحارث وغيرهم. ويلاحظ أن جلهم من اليمن ما عدا تميم، وكانت تنوخ تسكن خارج الحيرة بينها وبين الأنبار [2].

وحين غزا الفرس الساسانيون العراق ضموه إلى امبراطوريتهم، وقد استمرت السيطرة الساسانية على العراق أكثر من أربع قرون كان الفرس يشكلون الطبقة الحاكمة فيه واتخذوا المدائن شرقي دجلة عاصمة لهم وكان لديهم مسالح على حدود السواد

---

(1) البلاذري، أنساب، ق2، ص1038؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص212.

(2) جودة، العرب والأرض، ص62.

الغربية في عيون الطف والابلة والحيرة والعذيب والقادسية وعين التمر والأنبار وغيرها. ولا بد من الإشارة إلى أن المنطقة الجنوبية ما بين دجلة والفرات (السواد) تكاد تخلو من الوجود الفارسي الساساني. إن الفرس كانوا يدركون أن العراق غريب عليهم فلم يعتبروه منطقة استقرار لهم [1] كما وإن الساسانيين أدركوا خطورة التواصل بين عرب الجزيرة وعرب العراق فقرروا منذ قيامهم انشاء حواجز بين أرض السواد العراقية وبين أرض الجزيرة العربية [2].

وكان العرب الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم من البحرين ينتمون إلى عبد القيس. وكان العرب يسمون الشاطئ الممتد من البصرة إلى عمان خط عبد القيس.

وسكن البحرين عدا العرب وهم الغالبية العظمى من السكان، عناصر أخرى غريبة عن المنطقة منهم الزط، وتتفق غالبية المصادر على أنهم من السند من سلالة هندية استعملها الفرس في الجيش الساساني. وقد انضموا إلى المرتدين بالبحرين ثم عادوا فانخرطوا في جيش المسلمين أثناء الفتوحات. ومن العناصر الأخرى السيابجة ويشتركون مع الزط في أصلهم، كما وأن الفرس استخدموهم في الحرب وفي الأسطول الساساني ثم استخدمهم المسلمون في أسطولهم في الخليج العربي وفي الموانئ للقيام بالخدمات .

5.2 الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والاستعانة بالمرتدين :

إن اتساع نطاق الحملات العسكرية في بلاد الشام والعراق المحرج موقف المثنى في العراق والذي آثر الأنسحاب إلى حدود الصحراء بانتظار الامدادات التي طلبها من المدينة استوجب اعداداً كبيرة من المقاتلة، لذلك كان أول عمل قام به الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد وفاة أبي بكر هو السماح للمرتدين بالإشتراك في حروب

(1) جودة، العرب والأرض، ص62-63؛ فيصل، شكري، حركة الفتح، ص62-63.

(2) فوزي، تاريخ الخليج العربي في القرون الإسلامية الأولى، ص73.

التحرير، إن قرار عمر (رضي الله عنه) هذا جاء نابعاً من إيمانه بجعل العـرب أمـة موحدة مقاتلة تكون تحت السلاح دائماً "فلم يشأ أن يبقي هذه القوة معطلة"[(1)]، لذلك كتب إلى من ظهرت توبته من المرتدين يدعوهم للجهاد وهم في ضيق ليس كمثلـه ضـيق بحرمانهم من المشاركة بحروب التحرير، فجاءوا من كل أوب، حيث توالت قبائل اليمن ونجد والحجاز من بجيلة وضبة والأزد وكنانة والرباب وجشم وجثعم وبني حنظلة وعبد القيس للأنضمام إلى جيوش المسلمين في الشام والعراق[(2)].

وإذا كانت حروب الردة قد انتهت بتأكيد وحدة الجماعة الإسلامية الأولى ورسختها فإن حروب التحرير أكدت وحدة القبائل العربية عامة تحت راية الجهاد وجعلت الأمـة بكاملها هي الجيش[(3)]، وقد عد أحد المؤرخين المحدثين قرار عمر هذا قراراً خطيـراً استتبع تغييرات عميقة في شبه الجزيرة العربية، إذ كان خطوة لها أكبر الأثر في توحيد العرب، فأي فرد لن يستثنى بعد الأن من الاشتراك بنشاطات الأمة الإسـلامية عامـة سواء من أفراد هذه الأمة من أهل القرى أو من أهل الوبر، من الحضر أو من البـدو الرحل فإن لهم جميعاً مصلحة مشتركة وحصصاً متعادلة في بناء الدولة[(4)].

إن ما فعلة الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان تطوراً طبيعياً فرضته جبهة القتـال الواسعة، ولم يكن حداً فاصلاً بين سياسة الخليفة أبي بكر (رضي الله عنـه) وسياسـته والذي يبدو أيضاً أن لجوء الخليفة عمر (رضي الله عنـه) إلـى اسـتنفار المرتـدين والاستعانة بهم لم يكن كافياً لتغطية جبهات القتال. كما ويبدو أن سياسة الترغيب التـي اتبعها عمر للأنتداب إلى الجهاد كما فعل مع بجيلة عندما وعدهم بربع السواد[(5)]، لم تعد تحقق الهدف أيضاً، فضلاً عن أن الأخبار جاءت إلى الخليفة عمر (رضـي الله عنـه)

---

(1) فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص41.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص460-464.

(3) الدوري، التكوين التاريخي، ص47.

(4) شعبان، محمد عبدالحي، صدر الإسلام، ص40.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص460.

باجتماع الفرس حول ملكهم الجديد يزدجرد كما أن المعركة القادمة مع الفرس يجب أن تكون فاصلة، لذلك أخذت كتب عمر إلى عماله لدعوة المقاتلين تأخذ صيغة الإلزام، فقد كتب إلى قوادة بالعراق قائلاً: "فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعو في ربيعـة أحـداً ولا مـضر ولا حلفائهم من أهل النجدات ولا فارساً إلا جلبتموه فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه"(1)، ولـم يكتف بذلك بل كتب إلى عماله على الأقاليم يقول: "لا تدعا أحداً له سلاح أو فـرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي والعجل العجل"(2)، وأرسل إلى سعد بن أبي وقاص قائلاً: "اعلم يا سعد أني لست أدعوا أحداً يطيق حمـل الـسلاح إلا وسـرحته إليك"(3)، "فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سلطة ولا خطيباً ولا شـاعراً إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم"(4).

وبذلك يظهر أن صيغة الأمر والإلزام التي تضمنتها كتب عمر (رضي الله عنـه) إلى القادة والعمال تظهر بوضوح أن التجنيد في عهده استند إلى قاعـدة الإلـزام إلـى جانب التطوع(5).

ومن أجل أن يأخذ التجنيد الذي أوجده الخليفة عمر (رضي الله عنه) صيغاً أكثـر الزامية ومن أجل ضمان إيجاد قوات ثابتة واجبها الأول القتال فقد أنشأ الديوان وأوجـد نظام العطاء الذي سنتكلم عنه فيما بعد.

وعند ذلك ومن أجل الحرص على ضرورة تفرغ العرب للجهاد بدأ عمـر ينهـى ويحذر العرب من مزأولة الزراعة في الأراضي المحررة، فيذكر عبدالله بن هبيـرة أن "عمر أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قائم وأن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص478.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص478-479.
(3) الواقدي، فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، ص12؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص512.
(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص487.
(5) الجنابي، كاظم، الجيش والسلاح، ج2، ص377.

رزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون[1].

وكان الذي يخالف توجيهات الخلافة في الزراعة والاستقرار في الريف يعـرض نفسه للعقاب. فقد روى شريك بن عبدالرحمن المرادى قائلاً: " بلغنا أن شريك بن سمي الغطيفي أتى إلى عمرو بن العاص فقال: إنكم لا تعطونا ما يحْسِبنا أفتإذن لي بـالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير إذن عمرو، لما بلغ ذلك عمـر كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمي الغطيفي حرث بـأرض مـصر، فكتب إليه عمر أن ابعث إلي به، فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو اقرأه شريكا، فقـال شريك لعمرو قتلتني. فقال عمرو: ما أنا قتلتك أنت صنعت هذا بنفسك"[2].

وكتب الماوردي أن من واجبات أمير الجيش : "أن لا يمكن أحداً مـن جيـشه أن يتشاغل بتجارة أو زراعة لصرفه الاهتمام بها من مصايرة العدو وصدق الجهاد"[3].

ويرى عدد كبير من المؤرخين المحدثين أن أحد أسباب عدم توزيع الأراضي في البلاد المحررة على العرب هو منعهم من الزراعة وتوجههم نحو الجهاد "فـإن تقـسيم الأرض تعني توزعهم عليها مما يؤثر في فكرة الجهاد"[4].

ولقد حاول بعض الباحثين تفسير نهي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنـه) المقاتلة من العرب المهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى الأمـصار الجديـدة عـن الزراعة وعن ملكية الأرض مستنتجين من ذلك عدم اهتمام العرب بالنشاط الفلاحـي، والحقيقة وكما ذكرنا أن السبب في عدم تشجيع العرب النازحين إلى الـبلاد المحـررة على الاهتمام بالزراعة يهدف بالدرجة الأولى إلى جعل العرب أمة للجهاد[5].

---

(1) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص162.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص162.

(3) الجاحظ، البيان، ج2، ص354.

(4) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص42.

(5) الدوري، التكوين التاريخي، ص48؛ معروف، ناجي، عروبة المدن، ص26.

6.2 تنظيم بقاء القوات المقاتلة في جبهات القتال:

بعد أن تبلورت فكرة الإلزام للجهاد بشكل واضح في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بدأ يعمل على تنظيم بقاء القوات المقاتلة في جبهات القتال، فقد ذكر ابن سعد أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان "يعقب بين الغزاة وينهى أن يحمل الذرية إلى الثغور"[1]، وقد حدد الخليفة عمر بقاء تلك القوات بحسب بعد المسافة "إذا كان بعيداً فسنة، وإذا كان دون ذلك فستة أشهر"[2]. ويذكر اليزيدي أن عمر (رضي الله عنه) جعل " عقب الناس في (حروبهم) في كل ستة أشهر"[3]، وقد أكد ذلك ابن الجوزي بقوله: أن عمر (رضي الله عنه) "كان (لا يقاتل) جيشاً له أكثر من ستة أشهر"[4]. وعلى هذا الأساس استحدث الخليفة عمر (رضي الله عنه) نظام الصوائف والشواتي في الثغور في بلاد الشام[5]، واتبع عمرو بن العاص نفس الأسلوب في تنظيم المرابطة في الاسكندرية، فقد كانت المقاتلة تقيم "في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر"[6].

ومن هذا يتضح لنا أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) على الرغم من رغبته الشديدة في صرف الناس إلى الجهاد فإنه كان يقدر مدى تجشم المقاتلة في ابتعادهم عن أهليهم وعيالهم، مما دفعه إلى إيجاد مثل هذا النظام، فضلاً عن أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان ينظر إلى ظروف المقاتل عند إرساله للقتال فقد "كان

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص306.

(2) المقريزي، أحمد بن عبد الله (ت 845هـ)، الخطط، ج2، ص93.

(3) اليزيدي، محمد بن العباس بن محمد (ت 310هـ)، الآمالي، ص99.

(4) ابن الجوزي، جمال الدين بن الفرج (ت 579هـ)، سيرة عمر بن الخطاب، ص59.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص64.

(6) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص130.

يغزي الأعزب عن ذي الحليلة ويغزي الفارس عن القاعد"(1).

ولعل وجود مثل هذا التنظيم هو الذي دفع بعض المؤرخين إلى القول أن عقوبة المتخلفين عن القتال قد ظهرت منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقد ذكر ابن الأثير أن "الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر... نزعت عمامته ويقام للناس ويشهر أمره"(2).

ولكن الذي يبدو أن هذا حدث في زمن متأخر عن عهد عمر (رضي الله عنه) فالرغبة بالجهاد كانت متوفرة عند الجميع، ولم يرد في المصادر التاريخية ما يفيد عن تأخر الناس زمن الخليفة عمر (رضي الله عنه) عن الجهاد بدليل حرص القبائل المرتدة على المشاركة في حروب التحرير.

7.2 تمويل الجيوش وتهيئة مستلزماتها:

عندما تم استخلاف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كانت الجيوش العربية الإسلامية مشتبكة مع الفرس في العراق ومع الروم في الشام، وأول إشارة ترد لنا عن كيفية تموين الجيوش بالطعام في زمن الخليفة عمر (رضي الله عنه كانت في العراق قبيل وقعة القادسية بأشهر حيث يذكر الواقدي قائلاً: "كان جمع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف فإذا احتاجوا إلى العلف والطعام أخرجوا خيولاً في البر فأغارت على أسفل الفرات وكان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم والجزر"(3)، ويذكر الشعبي أن المسلمين قبيل وقعة القادسية وخلال أحداث النخيلة " كانوا يعيشون بما ينالون من الغارات"(4). وعن سيف بن عمر أن الجيش بعد القادسية صار يجد التكريم وتقديم الطعام في العراق بعدما ذهبت رهبة الفرس من نفوسهم وأمنوا عقوبتهم وأن أهل

(1) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص306.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص379-380.

(3) البلاذري، فتوح، ص252.

(4) البلاذري، فتوح، ص251؛ الدينوري، الأخبار، ص120.

الأرض كانوا يعملون قرى* للمسلمين "وإنما كانوا قصروا أولاً تربصاً ومخافة عقوبـة أهل فارس"(1)، وفي مصر يذكر بن عبد الحكم أن عمرو بن العاص لما تقدم لتحريـر الاسكندرية كان رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة"(2).

ثم كان من شأن الغنائم الوفيرة التي كسبها المسلمون في ميادين القتـال الجديـدة فضلاً عما بدأ يرد إلى الدولة فيما بعد من واردات نتيجة لفـرض ضـريبتي الخـراج والجزية أن عمل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على فرض العطاء للمقاتلة، وبذلك صار على من ينالون العطاء أن يجهزوا أنفسهم بجهاز للحرب يتناسب مع المقدار الذي ينالونه، لذلك كان بعض القادة إذا قاتل أخذ جميع من كان معه بتمام الجهاز والـسلاح، فعن ابن عياش الهمذاني وغيره أن كثير بن شهاب وكان عامل عمر (رضي الله عنـه) على الري ود ستبي وقزوين "كان إذا (قاتل) أخذ كل امرئ ممن معـه بتـرس ودرع وبيضة ومسلة** وخمس ابر وخيوط كتان وبمخفف ومقراض ومخلاة وتليـسة***"(3)، ويذكر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يقول: "لئن كثر المال لأفرضن لكـل رجل أربعة آلاف درهم: ألف لسفره وألف لسلاحه وألف يخلفها لأهله وألـف لفرسـه وبغله"(4).

إن استمرار حروب التحرير وضرورات الحركة ضمن مسافات شاسعة فضلاً عن تعاظم وتطور أساليب عملياتها والحاجة في بعض الأحيان لتقديم الامدادات السريعة(5)، كل ذلك جعل الخليفة عمر (رضي الله عنه) يركز اهتمامـه علـى الخيـل واقتنائهـا

---

* وقرى الضيف بمعنى أضافه.

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص453؛ البطاينة، محمد ضيف الله، الجيش وتمويله، ص68.

(2) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص74.

** المسلة : ابرة كبيرة.

*** التليسة: وعاء من الخوص.

(3) البلاذري، فتوح، ص310.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص297.

(5) بدر، أحمد، التنظيم العسكري عند العرب المسلمين، ص131.

والعناية بها، لذلك استغل الخليفة الفائض من أموال المسلمين لشراء الخيـول لتزويـد الجيش فيها عن الحاجة. فيذكر الطبري أن عمر كان قد " اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون أن كان"[1]. وفي رواية لسيف أنـه كـان "لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون أن كان يشتيها في قبلة قصر الكوفـة وميـسرته... ويريعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة..." [2].

وقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يزود المقاتلين بهذه الخيـول بـدون مقابل، حيث يذكر أبو يوسف قائلاً: "كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنـه) أربعـة آلاف فرس موسومة في سبيل الله تعالى فإذا كان في عطاء الرجل خفة أو كان محتاجاً أعطاه الفرس وقال له إن أعييته أو ضيعته من علف أو شرب فأنت ضامن وإن قاتلت عليه فأصيب أو أصبت فليس عليك شيء"[3]. ويبدو أنه كان في كل مصر من الأمصار أعداد من الخيل مساوية لما هو موجود في الكوفة حيث يذكر سيف بن عمر بأنه كـان "في كل مصر من الأمصار الثمانية على قدرها فإن نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا إلى أن يستعد الناس"[4]، وبوسعنا من خلال هذا النص أن نقدر أن قوة الفرسان المـرابطين في الأمصار الثمانية بأثنين وثلاثين ألفاً، ويبدو أن هذا العدد يقل عما ذكره مالك من أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "كان يحمل كل عام على أربعين ألفاً من الظهر*"[5].

وكان من ضمن توجيهات الخليفة عمر (رضي الله عنه) عند بناء البصرة والكوفة والفسطاط أن يتركوا مساحة من الأرض لهذه الخيول، فيورد بن عبد الحكم عند حديثة

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص51.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص52.
(3) أبو يوسف، الخراج، ص47.
(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص52.
* الظهر: الابل والخيل.
(5) أبو عبيد، الأموال، ص299.

عن بناء الفسطاط قولاً " وقد كان المسلمون حين اختطوا قد تركوا بينهم وبـين البحـر والحصن فضاء لتعريق دوابهم وتأديبها"[1]، وقد أطلق على هذا الفضاء إسم المضمار، فقد أورد معأوية بن خديج قائلاً : "فلما نزل الناس واطمأنت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيؤدبون خيلهم في المضمار"[2]، وفي الكوفة خصص سعد بن أبي وقاص "الارى وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين"[3].

وقد خصص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حمى (مراعي) لهذه الخيول، فقد ذكر بن سعد أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان "يحمي النقيع لخيل المسلمين ويحمي الربذة والشرف لإبل الصدقة"[4]، وكان يردد دائماً "... والله لولا ما أحمل عليـه فـي سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً في شبر"[5]، وكان هذا يعني إقرار ظهور اتجـاه للدولة وحدها أن تحمي أراضي لاغراض الأمة لأبل الصدقة ولخيل الدولة"[6].

وقد اضطر نتيجة لذلك إلى أن يمنع أي خيل غير الخيل المعدة في سبيل الله مـن الرعي في هذه الحمى، فقد حدث ابراهيم بن محمد عن أبيه قال : "اتخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراساً بالمدينة فمنعه عمر بن الخطاب فكلموه أن يإذن له قال : لا إذن له إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة فارتبط أفراساً وكان يحمل إليهـا علفـاً مـن أرض لـه باليمن"[7].

وقد خصص عمر (رضي الله عنه) عمالاً لهذه الحمى فعن هشام بن سعد بن أسلم

(1) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص132.

(2) المصدر نفسه، ص143.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص310.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص305.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص299.

(6) الدوري، التنظيم الإقتصادي في صدر الإسلام، ص76.

(7) الطبري، تاريخ، ج4، ص214.

قال : "رأيت عمر بن الخطاب استعمل مولى له على الحمى"(1).

كما خصص الخليفة عمر (رضي الله عنه) مسؤولين عن هذه الخيول تأخذ علـى عاتقها العناية بها والمحافظة عليها ففي الكوفة "كان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويجريها في كل عام وبالبصرة. قيمة عليها جزء بن معاوية"(2)، وأخذا بتوجيهات الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان عمرو بن العـاص يؤكد على رجال القبائل بوجوب الاعتناء بخيولهم محذراً إياهم بأنه سيخصم من عطائهم عند مخالفة ذلك قائلاً : "إني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه مـن غير علة حططته من فريضته قدر ذلك"(3)، فضلاً عن أن عمر (رضي الله عنـه) لـم يقتصر على الخيل بل هيأ الجمال لحمل أثاث الجيش وأحماله، حيث يروى زيـد بـن شريك الفزاري قائلاً: "عقلت عمر بن الخطاب يحمل على ثلاثين ألف بعير كل حـول في سبيل الله"(4). ويذكر السائب بن يزيد قائلاً: رأيت عمر بن الخطاب... يـصلح أداة الإبل... برإذعها وأقتابها فإذا حمل الرجل على البعير جعل معه أداته"(5).

ولم يكن اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقتصر علـى تمـوين الجيش وتهيئة مستلزماته من خيل وسلاح وطعام وإنما كان اهتمامـه أكبـر بعوائـل المقاتلين يرعاهم ويوفر لهم ما يحتاجونه في حالة غياب معيلهم، فيحـدث الـشعبي أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان "يخاف الغزاة في أهليهم"(6). وكان يقول "وأكون أنا للعيال حتى يقدموا"(7). ويفصل ذلك سعيد بن المسيب وأبو سـلمة بـالقول

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص105.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص52.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح، ص141.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص305.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص306.

(6) ابن الجوزي، سيرة عمر، ص47.

(7) الطبري، تاريخ، ج4، ص227.

وربما كان في قوله شيء من المبالغة، "كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أبا العيال يسلم على أبوابهن ويقول: الكن حاجة وأيكن تريد أن تشتري شيئاً فيرسلن معه بحوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده، وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب أزواجهن، ويقول: أزواجكن في سبيل الله وأنتن في بلاد رسول الله، إن كان عندكن من يقرأ وإلا فأقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن، ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فأكتبن حتى نبعث بكتبكن، ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس، فأدنين من الأبواب حتى أكتب لكن، ويمر إلى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن"[1].

وقد كان فداء الأسرى الذين يقعون في الأسر وفك أسراهم يتم عن طريق بيت المال، فقد ذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال: "كل أسير كان في أيدي المشركين من المسلمين ففكاكه من بيت مال المسلمين"[2].

8.2 تنظيمات الجيش في حروب التحرير:

1- التنظيم القبلي:

كانت نواة الجيش العربي الإسلامي في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتلة شديدة التماسك إذ يربط بينهما الإيمان والنسب القبلي[3]. وقد أقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) خلال حياته فكرة الاحتفاظ بالقبيلة وحدة تنظيمية في ذلك الجيش. ففي فتح مكة كونت كل قبيلة وحدة خاصة ومتميزة تحت راياتها باستثناء المهاجرين والأنصار الذين كانوا تحت قيادة الرسول. وقد اتضح ذلك من الحديث الذي جرى بين العباس عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأبي سفيان زعيم مكة عند رؤيتهم الجيش المتوجه إلى مكة. فقد روى ابن هشام قائلاً: "ومرت القبائل على رايتها، كلما مرت قبيلة قال: يا

---

(1) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت 520هـ)، سراج الملوك، ص250.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص196.

(3) بدر، التنظيم العسكري، ص128.

عباس من هذه فأقول مزنية..." [1].

وعندما توفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتولى أبو بكر الخلافة بقيت القبيلة وحدة تنظيمية، وازدادت تمايزاً عند تكوين الجيوش في حروب الردة، إذ أصبح لكل وحدة قائد، ويظهر ذلك واضحاً في جيش خالد المتوجه إلى مسيلمة حيث كان "على الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلأن وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى القبائل على كل قبيلة رجل..." [2].

ويظهر أن هناك عدة دوافع كان لها دورها في هذا التقسيم والتمايز منها ضرورة تمكين قائد الجيش من إدارة دفة التوجيه لهذه الأعداد مما يضطره لتقسيمها إلى وحدات. أما جعل الوحدة قبيلة وليس غير ذلك فمرده إلى ضرورة تأمين الطاعة من جهة، وضمان التلاحم بين أفراد الوحدة، وكذلك الاستفادة من اعتزاز القبيلة بمكانتها[3]، فقد كان أفراد القبيلة متسمين باعتدادهم وبالتماسك القبلي وتقاليد البدأوة وبتدربهم على القتال وتمجيدهم مثل الفروسية وما يتطلبه من شجاعة وإقدام ونخوة، وقد أدرك الخلفاء والقادة عمق هذه السمات وأهميتها في القدرة القتالية على مراعاتها وتوجيهها لخدمة أغراض الدولة وأهدافها[4]. وقد ذهب الشافعي إلى أن الدافع لذلك "ليتعارف الناس بالحرب وغيرها وتخف المؤونة عليهم باجتماعهم"[5].

ويبدو أن التمييز بين الوحدات على الأساس القبلي جاء فضلاً عما تقدم من أجل تحديد مسؤولية كل قبيلة ومدى إسهامها في تحقيق النصر وتبيان مسؤوليتها عن الهزيمة. وقد ظهر ذلك واضحاً من الروايات التي تتحدث عن حروب الردة حيث يذكر رواية عن سيف بن عمر : "لما اشتد القتال وكانت يومئذ سجالاً إنما تكون مرة على

(1) ابن هشام، السيرة، ج4، ص863.
(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص281.
(3) ماجد، التاريخ السياسي، ص165.
(4) الحديثي، نزار، العراق في التاريخ، ص329.
(5) الشافعي، الأم، ج4، ص81.

المسلمين ومرة على الكافرين" فقال "خالد أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي ولـنعلم من أين نؤتي فامتاز أهل القرى والبوادي وامتازت القبائل مـن أهـل الباديـة وأهـل الحاضرة فوقف بنو كلاب على رايتهم فقاتلوا جميعاً"[1].

وعلى الرغم من ظهور أساليب أخرى سنتكلم عليها بعد قليل أفرزتهـا حـروب التحرير فإن الأساس القبلي وإن ضعف فإنه بدا واضحاً سواء في تـسيير الجيـوش أو خلال الوقائع الحربية، " فقد خرج العرب إلى حروب التحرير بهيئة قبائل، واسـتمروا يكونون الجيش العربي الذي نظم في تقسيمات أساسها الوحدات القبلية من قبيلـة إلـى عشيرة"[2]، فعندما سير أبو بكر (رضي الله عنه) الجيوش إلى الشام وأمر الأمراء طلب "أن يعقدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم"[3].

وعند تحرير العراق جمع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بجيلة تحـت قيادة جرير بن عبدالله البجلي، وكتب إلى القادة والعمال " من كان فيه أحد ينسب إلـى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يعرف ذلك فأخرجوه إلى جريـر"[4]. وكـان عمر (رضي الله عنه) يولي على القبائل قادة من بينهم ويسرحهم إلى جبهات القتـال، وعندما طلب المثنى مدداً من المدينة وقدم "على عمر غزاة بنـي كنانـة والازد فـي سبعمائة جميعاً... أمر على بني كنانة غالب بن عبدالله وسـرحه، وأمـر علـى الازد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق وفرحوا برجوع عرفجة إليهم، فخرج هـذا فـي قومه وهذا في قومه، حتى قدما على المثنى"[5]. فكانت القبائل تقاتل تحت راياتها ولكل قبيلة راية تعرف من خلالها عندما يستعر القتال[6]. ففي يوم مهران طلب المثنى مـن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص293.

(2) الدوري، تاريخ صدر الإسلام، ص80.

(3) البلاذري، فتوح، ص113.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص463.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص463.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص463-469.

القبائل أن ترفع راياتها دليلاً على التميز، "ونادى يا معشر العرب هكذا مصرع خياركم ارفعوا راياتكم"[1]، وفي بعض الأحيان كان قائد الجيش يطلب من بعض القبائل التميـز لتحقيق النصر، ففي معركة القادسية وعندما اشتد القتال "بعث سعد إلى جرير بن عبدالله وكان معه لواء بجيلة وإلى الأشعث بن قيس ومعه لواء كندة وإلى رؤسـاء القبائـل أن احملوا على القوم من ناحية الميمنة على القلب فحمل الناس علـيهم مـن كـل وجـه وانتقضت تعبئة الفرس وقتل رستم وولت العجم هاربة"[2].

وفي تحرير مصر نظمت وحدات الجيش على أساس قبلي فكانت كل وحدة منهـا عبارة عن قبيلة من القبائل وكان لكل قبيلة راية، وكانت الراية مع زعيم القبيلة. فيذكر ابن عبدالحكم بأن راية الاجذوم (بطن من الصدف) كان مع زعيمها حيان بن يوسـف الصدفي[3]، "وكان الناس إذا كان فزع خرجوا براياتهم وكان لكل قوم موقف"[4].

9.2 حروب التحرير والأساليب الجديدة في القتال:

لقد أفرزت حروب التحرير الكثير من النظم والأساليب القتالية فضلاً عن الأساس القبلي الذي تم ذكره، ويبدو أن تغيير أساليب القتال كان خاضعاً لمـا تـتمخض عنـه عبقرية القائد من التكتيك والمناورة والذكاء في الحروب.

فقد بدا أحياناً أن القتال على أساس قبلي في حروب التحرير غيـر ملائـم، فقـد ازدادت أعداد المنظمين إلى الجيش الإسلامي ازدياداً كبيراً، وتكونت جيوش ضـخمة اضطرت في أثناء زحفها لمواجهة جيوش كبيرة منظمة محتشدة ويعود لخالد بن الوليد أحداث التطوير الملائم واستخدام أساليب جديدة في اللحظات الحاسمة. فقد لاحظ عندما قدم من العراق إلى الشام حين وقفت أربعة جيوش لكل منها قائدها وكل جيش مخصص

---

(1) الدينوري، الأخبار، ص114.

(2) المصدر نفسه، ص122.

(3) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص123؛ العلي، القبائل العربية، ص229.

(4) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص127؛ العلي، القبائل العربية، ص229.

لتحرير منطقة في الأصل يقابله في الجانب الآخر الجـيش البيزنطـي المحتـشد فـي اليرموك، ورأى أنها عاجزة عن مواجهتها بوضعها الراهن[1]، وقال: "لاتقـاتلوا قومـاً على نظام وتعبئة على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من ورائكـم لـو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا"[2].

ويعني التساند خروج القوم على رايات شتى دون قائد عام يجمعهم[3]، كما يعنـي الأنتشار تفرق الجيش عن قائده[4]. لذلك فإن أول عمل قام به هو إيجاد قيـادة عامـة للجيوش الأربعة قائلاً: "وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد.. ودعوني إليكم اليوم"[5].

ثم عبأ الجيش على طريقة الكراديس* وجعل أعداده التي تبلغ حوالي الأربعين ألفاً في حوالي أربعين كردوساً، ويصور الطبري ذلك بالقول "فخرجت الروم بتعبئة لم يرى الراؤون مثلها قط وخرج خالد في تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك فخـرج فـي سـتة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين... فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبـو عبيـدة وجعـل الميمنة كراديس عليها عمرو بن العاص..." [6].

ومعنى ذلك أن خالد لم يكتفِ بتحويل وحدات القبائل إلى كراديس، بل جمعت هذه الكراديس في وحدات أكبر هي مقدمة وقلب وجناحان وساقة، وهو ما يـسمى بنظـام

---

(1) بدر، التنظيم العسكري، ص129.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص395.

(3) ابن منظور، لسان، ج1، ص221-222.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص222..

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص396.

* الكردوس: الخيل العظيمة، وقيل القطعة العظيمة ... ويقال: كردس القائد خيله أي جعلها كتيبة كتيبة.. والكراديس كتائب الخيل.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص396.

الخميس**[1]، وقد ساعد هذا التقسيم على تحقيق النصر في معركة اليرموك.

ولعل التساؤل هنا هل الكردوس كان يضم قبيلة وأحدة أو أكثر فرواية ابن عمـر الذي روى عنه الطبري لا تحدد عدد القبائل الموجودة في كل كردوس وإنما ذكر إسماء من كان على كل كردوس وذكر العشائر التي ينتمي إليها هؤلاء الرؤساء وهم عـشائر متنوعة[2].

وفي معركة القادسية استخدم سعد بن أبي وقاص نظام الخميس ثم نظـم الأقـسام الخمسة للجيش في كتائب، واستحدث نظاماً جديدة فقد "أمر أمـراء الأجنـاد وعـرف العرفاء فعرف على كل عشرة رجلاً... وأمر على الرايات رجالاً من أهـل الـسابقة وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالاً من الناس.. وولى الحـروب رجـالاً فـولى مقدماتها ومجنباتها، وساقتها، ومجرداتها، وطلائعها ورجلها وركبانها، فلم يفـصل إلا على تعبئة"[3] إلا أن وجود الفيلة في مقدمة جيش الفرس جعل سعداً يعدل من أسـلوبه في القتال وخططه، فيضع هوادج تحتوي على عدد من الرجال "على إبل قد ألبـسوها فهي مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم"[4]. فرمت الذعر في فـيلهم وخـيلهم. "فلقي فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرماث"[5]، ثم نظم جيوشه صفوفاً ثلاثة " فصف فيه الرجالة وأصحاب الرماح والسيوف وصف فيـه المرامية وصف فيه الخيول وهم أمام الرجالة وكذلك الميمنة والميسرة[6]". وقد ركـز هذه الصفوف على نحو يتيح للمشاة أن يحموا المتقدمين في حين كـان الخيالـة فـي

** الخميس: الجيش. وقيل الجيش الجرار، وقيل الجيش الخشن.. وسمي بذلك لأنه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقه. ابن منظور، اللسان، ج6، ص70.

(1) فروخ، عمر، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، ص72.

(2) العلي، القبائل العربية، ص23.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص488.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص545.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص545.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص559.

الجناحين.

نخلص في النهاية إلى أن الروابط القبلية إذا كانت قوية في داخل الجزيرة العربية "فإن دورها في عمليات (التحرير) لم يكن كبيراً لأن متطلبات الحرب كانت تقتضي تنفيذ أوامر القواد، وبما يحقق المصلحة العامة في النصر وأن إدراك المقاتلة أهمية ذلك يجعلهم أكثر ارتباطاً بأوامر القواد من ارتباطهم بالروابط القبلية فضلاً عن أن سياسة التطوع أدت إلى تباين عدد أفراد القبائل التي أسهمت في عمليات التحرير الأولى..."[1].

10.2 عناصر الجيش:

أ- مشاركة القبائل العربية غير المسلمة في القتال:

عندما تقدمت الجيوش العربية الإسلامية إلى كل من العراق والشام لتحريرها انضمت بعض من القبائل العربية غير المسلمة إلى جانب العرب المسلمين في قتالهم للفرس والبيزنطيين، فالعراق وكما هو معروف كان للعرب صلات به قبل التحرير إذ كانوا يغيرون على الحاميات الفارسية فيه ويفدون إليه للتجارة أو للإقامة وكان الكثير منهم مستقراً في البلاد كما هو شأن عرب الحيرة وعين التمر والأنبار[2]، فعندما يتحدث ابن حوقل عن انتشار العرب قبل الإسلام يقول: "ولا أعلم فيما بين العراق والشام واليمن مكاناً إلا وهو في ديار طائفة من العرب ينتجعونه في مراعيهم ومياههم"[3]. وكان بعضهم الآخر ينتقل في البوادي المطلة على العراق مثل بادية البصرة وبادية الكوفة[4]، ويعلق ابن حوقل على ذلك بالقول : "وأما بادية البصرة فهي أكثر هذه النواحي أحياء وقبائل وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة ثم وراءهم

---

(1)العلي، القبائل العربية، ص24.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص345-346، 363-376.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص41.

(4) جودة، العرب والأرض، ص60.

عبد القيس[1]" ولعل أولى الإشارات التي تذكرها المصادر التاريخية والتي تتحدث عـن تعاطف تلك القبائل مع العرب المسلمين عند تقدمهم كانت من الحيرة فقد اعترف عدي لخالد بن الوليد بأنهم "عرب عاربة وأخرى متعربة... وقال ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية فقال له: صدقت"[2]. وقال أحد زعمائهم وهو عمرو بـن بقيلـة : "والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن وأقبـل علـى أهـل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أمراً أوضح إقبالاً"[3].

وترد مثل هذه الإشارات من الأنبار عندما تقدم إليها خالد بجيشه فقد سـألهم "مـا أنتم؟ فقالوا قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا... فقال ممن تعلمتم الكتـاب، فقالوا : تعلمنا الخط من إياد"[4].

وعن مثل هذا التعاطف يذكر البلاذري خـلال حديثـه عـن معركـة الجـسر 13هـ/634م قائلاً : "وقاتل أبو زيد الطائي الشاعر حمية للمسلمين بالغربية، وكان أتى الحيرة في بعض أموره وكان نصرانياً"[5].

ومن أبرز القبائل التي شاركت بالقتال فعلياً إلى جانب الجيوش العربية الإسلامية قبائل بني النمر وبني تغلب وهم نصارى ففي وقعة البويب 13هـ/634م[6] "قدم أنـس بن هلال النمري مدداً للمثنى في اناس من النمر نصارى وجلاب جلبوا خيلاً... وقالوا حين نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا"[7]، وفي رواية أخرى "نقاتـل العجـم مـع العرب"[8].

---

(1) ابن حوقل، صورة الأرض، ص41.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص361.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص363.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص375

(5) البلاذري، فتوح، ص248.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص466-467.

(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص466.

(8) الطبري، تاريخ، ج3، ص363.

ويروي سيف بن عمران المثنى أنه حرض أنس بن هلال على الأنضمام إليه وقال له : "يا أنس إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا فإذا رأيتني قد حملت على مهران فأحمل معي، وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك فأجابه"[1].

كما تشير بعض النصوص إلى أن عدداً من القبائل العربية في الشام مثـل لخـم وخثعم وقضاعة وعاملة وغسان[2]، تعأونوا مع الجيوش العربية الإسلامية فـي قتـال الروم[3]، فقد روى ابن اسحاق قائلاً : "وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلـى الروم ناس من لخم وجذام..."[4]، حتى أنهم طالبوا بالعطاء حيـث يـذكر البـسوى أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) في بداية مجيئه للشام أراد حجب العطاء عنهم أي عن لخم وجذام لعدم انطباق صفة الهجرة عليهم قائلاً : "أنا أجعل أقواماً أنفقوا في الظهـر وشدوا العرض وساحوا في البلاد مثل قوم مقيمين في بلادهم، ولو أن الهجـرة كانـت بصنعاء أو بعدن ما هاجر إليها من لخم ولا جذام أحد"[5]. ولكن يبدو أن أحد زعمـائهم وهو أبو حديدة الأجذمي استطاع إقناع الخليفة بحقهم بالعطاء قائلاً : "يا أمير المـؤمنين إن كان الله تبارك وتعإلى ساق الهجرة إلينا في ديارنا فنصرناها وصدقناها إذاك الـذي يذهب حقنا، فقال عمر : والله لأقسمن لكم"[6]. كما يفهم من البلإذري أن بعـضاً مـن القبائل اليمانية قد أسلمت بعد وصول المسلمين بقليل كما حصل لتنوخ حيث يذكر أن أبا عبيدة دعا تنوخ إلى الإسلام فأسلم بعضهم وأقام بعضهم على النصرانية[7].

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص466.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص571.

(3) الدوري، العرب والأرض في بلاد الشام، ص26.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص571.

(5) البـسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوى (ت 277هـ ـ)، المعرفـة والتـاريخ، ص464-465.

(6) أبو عبيد، الأموال، ص263.

(7) البلاذري، فتوح، ص146.

إن إسراع هذه القبائل العربية-سواء تلك التي في العراق أو في الشام- إلى الأنضمام إلى الجيوش العربية الإسلامية والقتال معها منذ المراحل الأولى التي لم تتم فيها انتصارات حاسمة وباهرة تظهر أهمية الشعور القومي وتبلوره وامتداده من شبه الجزيرة العربية إلى الشام والعراق، كما أن عدم وجود إشارة إلى اعتراض الخليفة عمر (رضي الله عنه) على انضمام تلك القبائل للقتال إلى جانب المسلمين على الرغم من بقاء بعض منهم على ديانته يدل على تقديره لدور العرب وإيمانه العميق بأن تحقيق الأندماج فيما بينهم وإسلامهم يأتي عن طريق الوقت، وعلى ضوء ذلك وتأكيداً لسياسته تلك فقد "بعث رسلاً من عنده معهم المصاحف-أي صحائف القرآن-إلى ملك الروم أن اعرض هذه المصاحف على من قبلك من قومنا العرب فمن أسلم منهم فلا تحولن بينه وبين الخروج إلينا"[1].

ب- مشاركة بعض القبائل غير العربية في الجيوش العربية الإسلامية :

لقد أشارت النصوص التاريخية إلى أن عدداً من الأقوام غير العربية انضمت إلى صفوف الجيوش العربية الإسلامية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقد حدث أبو مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين أنه "كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شاهنشاه"[2]، استأمنوا سعد بن أبي وقاص على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من شاؤوا ويفرض لهم في العطاء، فأنزلهم سعد بن أبي وقاص وفرض لهم وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم وسماهم العرب حمراء ديلم وشهدوا مع سعد فتح المدائن وجلولاء[3].

وفي منطقة الأحواز جرى اتصال بين أبي موسى الأشعري قائد الجيش العربي الإسلامي وسياه الأسواري قائد معركة يزدجرد في المنطقة الذي أدرك على ما يظهر قوة العرب المسلمين وامكاناتهم على إحراز نصر مؤكد، فعرض على أبي موسى

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص75.

(2) البلاذري، فتوح، ص275.

(3) المصدر نفسه، ص275.

انحياز الأساورة إلى جانب العرب والدخول في الإسلام على أن ينزلوا حيث شـاءوا، وأن ينسبوا للقبيلة التي يختارونها أحلافاً، وأن ينالوا شرف العطاء[1]، وقد وافـق أبـو موسى بعد أن كتب له الخليفة عمر (رضي الله عنه) "اعطهم ما سألوك"[2]، وشهدوا مع أبي موسى حصار تستر ثم نزلوا البصرة وحالفوا بني تميم وصاروا موالي لهم[3].

ولم تلبث جماعات أخرى في الجيش الساساني أن حذت حذو السابقين بالأنـضمام للجيش العربي الإسلامي مثل السيابجة التي تذكر بعض الروايات أن عددهم أربعـون، وبعضها الآخر يذكر أنهم أربعمائة. وكذلك الزط والأندغار وأكثرهم من سبي الفـرس من أهل السند فأنزلهم أبو موسى الأشعري البصرة مع الأسأورة[4]. ويبدو أن هـؤلاء كانوا من بقايا القوات الساسانية التي شعرت بعدم جدوى المقأومة، فقرروا الاستـسلام للعرب وخاصة بعدما سمعوا بالامتيازات التي حصل عليها الأسأورة[5].

ويبدو أن المعاملة الأنسانية التي امتاز بها العرب في تعاملهم مع الأقوام الأخـرى دفعت بجماعات الديلم للقتال معهم ضد الفرس قبل أن يسلموا ثم أسلموا[6].

وفي إذربيجان جرى لأول مرة في زمن الخليفة عمر بن الخطـاب (رضـي الله عنه) الحاق السكان الغرباء بالجيش العربي الإسلامي، وذلك مقابل إعفائهم من الجزية، إذ يرد في كتاب أمان عتبة بن فرقد عامل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنـه) لأهل إذربيجان أن من جملة واجباتهم "أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم.. ومن حـشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة"[7]، وفي الأمان الذي قدمه سراقة بن عمـرو

---

(1) البلاذري، فتوح، ص362؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص90.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص90.

(3) البلاذري، فتوح، ص362.

(4) البلاذري، فتوح، ص362-365.

(5) الجنابي، تنظيمات الجيش العربي، ص48.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص566.

(7) الطبري، تاريخ، ج4، ص155.

عامل الخليفة عمر بن الخطاب للارمن أن على هؤلاء المشاركة في الدفاع عن مواقعهم أن ينفروا "لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الـوالي صـلاحاً علـى أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك"[(1)].

ومن أهم عناصر الجيش الأساسية التي اشتركت في القتال وبالـذات علـى الجبهـة العراقية :

أ- العرب:

بعد أن هاجر الرسول (ص) إلى المدينة واتخذها داراً للهجرة ومركزاً لدعوتـه، سعى نحو تحقيق الوحدة الداخلية فيها وأصبح المهاجرون والأنصار يكونون نواة الأمة الجديدة، وأول خطوة خطاها الرسول (ص) في بناء الأمة الفتية هي إعلأنه الصحيفة أو الكتاب الذي كان بمثابة دستور المدينة لتنظيم العلاقة بين أبناء هـذه الأمـة المتمثلـة بالمهاجرين والأنصار، وبينهم وبين اليهود، فقد ورد في الصحيفة "بـسم الله الـرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين مـن قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم أمة وأحـدة مـن دون النـاس المهاجرين من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسد بين المؤمنين[(2)].

وقد ضمنت الصحيفة تركيز السلطة في المدينة بيد الرسـول (صـلى الله عليـه وسلم): "وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد (صلى الله عليه وسلم) [(3)]، و"أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشـتجار يخـاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" [(4)].

وبعد أن استقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة بدأت مرحلة جديدة وهي

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص157.

(2) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص119.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص121.

(4) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص123.

مرحلة بناء الأمة التي أخذت على عاتقها نشر رسالة الإسلام وتحرير الأرض والأنسان العربي، ولم تكن نواة هذه الأمة غير العرب المهاجرين مع الرسول من قريش وأهـل المدينة وهم الأنصار من قبائل الأوس والخزرج الذين وردت إسماؤهم فـي الـصحيفة وهم: بنو عوف، بنو ساعدة، بنو الحارث، بنو جشم، بنو النجار، بنو عمرو بن عوف، بنو النبيت، بنو الأوس(1).

ولماكان العرب هم أداة التغيير في هذا المجتمع الجديد، فقد أصبحت الهجرة إلـى المدينة شرطاً أسياسياً من شروط الإسلام حتى فتح مكة، فقد قال تعـإلى : إن الـذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين أووا ونـصروا أولئـك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم مـن شـيء حتـى يهاجروا (2).

وقد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أن يلتحق به كل من أسلم وفـي أي مكان كان وضمن أي ظرف ، فهو يريد للعرب من مختلف منـاطقهم أن يعيـشوا التجربة الجديدة وأن يتحمل كل منهم دوره في البناء الجديد، لذلك كان (صلى الله عليه وسلم) إذا أمر قائداً على سرية من السرايا أوصاه: "إذا لقيت عـدوك مـن المـشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك إليها فأقبل منهم وكف عـنهم، ادعهـم إلـى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلـى دار المهاجرين واخبرهم أنهم إن فعلوا فإن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهـاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين(3).

وبدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعد قوته العسكرية لمحاربـة الكفـر ونـشر التوحيد فأخذ ينظم سراياه ويقود بنفسه الغزوات(4).

---

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص19-20.

(2) سورة الأنفال، آية 72.

(3) أبو عبيد، الأموال، ص303-305.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص152-154.

ومع تنامي الإسلام تنامت قوته العسكرية، وبهذا أصبحت السرايا تشكل نواة القوة العسكرية الإسلامية التي أخذت تنمو وتزداد عدة وعدداً حتى بلغ عدد القوة التي توجـه بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لفتح مكة ما يقارب العشرة آلاف رجـل غـالبيتهم الساحقة من قبائل قريش والأوس والخزرج وبقية القبائل الأخرى التي ناصرت الرسول وجاهدت في حروبه مثل قبائل بني غفار واسلم ومزينة وبني سليم وجهينة وبطون من تميم وقيس وأسد(1).

وبعد فتح مكة أصبح عدد هذه القوات أثني عشر ألفاً بانضمام ألفين من أهل مكـة إلى صفوف المسلمين في غزوة حنين(2).

وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ظهرت حركات الردة وهـي حركـات انشقاقية هددت كيان الأمة الجديد بالأنقسام والتفكك وكانت أول مظهـر مـن مظـاهر الاصطدام بين مبادئ الدين الجديد الذي يدعو إلى التوحيد والوحدة وبـين النزاعـات القبلية الموروثة التي ظهرت واضحة في القبائل التي دخلت الإسلام، فقد رفضت هـذه القبائل الخضوع لسلطة الدولة الجديدة في المدينة ورفضت دفع الزكاة باعتبارها دلالـة على الخضوع لذلك فإن حروب الردة كانت حروباً سياسية دينية خاضها الخليفـة أبـو بكر لاخضاع من خرج عن سلطان المدينة وضمه إلى حضيرة الإسلام(3).

وكان عماد قوة المسلمين في هذه الحروب هم المهاجرون والأنصار ومـن بقـي على الإسلام من القبائل العربية التي ناصرت الرسول في دعوته والتي رسخ الإسـلام في نفوس أبنائها.

وإذا كانت قوة المسلمين لم تزد على ثلاثين ألف رجل عند وفاة الرسول (صـلى الله عليه وسلم) فإن هذه القوة قد قلت عن هذا الرقم قليلاً إذا علمنا أن بعضاً من قبائـل

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص64-65.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص73.

(3) الدوري، تاريخ صدر الإسلام، ص43.

بني سليم وعبس وذبيان وغطفان[1]، والتي كان قسم من رجالها ضمن قوة المسلمين الحربية قد ارتدت عن الإسلام، وبالرغم من ذلك فقد قسم الخليفة أبو بكر القوة الموجودة إلى عدة ألوية بعثها إلى مختلف مناطق التمرد لاخضاع المرتدين وأمر كل قائد باستنفار من مر به من المسلمين من أهل القوة وأبقى بعضاً منهم لحماية مناطقهم من غارات المرتدين[2].

وخرج الجيش العربي الإسلامي من حروب الردة وهو أكثر قوة وتماسكاً واكتسب خبرات واسعة في طرق وأساليب القتال وأصبحت الدولة الفتية تمتلك قوات عسكرية مدربة وكاملة الاستعداد نفسياً وقتالياً، تعرف قيمة النضال وتدرك أهمية الطاعة.

وبرز من خلال هذه المعارك قادة كبار أكفاء تولوا فيما بعد قيادة الجيوش العربية الإسلامية نحو حروب التحرير، وبرزت الروح العسكرية العالية عند العرب مؤكدة تفتحهم الروحي وازدياد وعيهم القومي وإيمانهم برسالتهم الأنسانية وليس أدل على ذلك من قول المثنى بن حارثة الشيباني بعد معركة البويب سنة (12هـ/634م)، بين العرب والفرس "قد قاتلت العرب والعجم في الجأهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجأهلية كانوا أشد علي من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد علي من ألف من العجم"[3].

وتنفيذاً لسياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الرامية إلى تأمين التخوم العربية وتوجيه أنظار العرب إلى ما وراء الحدود في شبه الجزيرة لحمل راية الإسلام، وتأكيد وحدة الأمة، فقد وضع الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) نصب عينه تحرير العراق وبلاد الشام من الفرس والروم باعتبارها امتداداً طبيعياً لأراضي شبه الجزيرة العربية.

ففي العراق كانت القبائل العربية التي استقرت في ربوعه تمثل امتداداً لقبائل

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص244-246.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص48-49.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص467.

جزيرة العرب، فقد استقرت قبائل مضر وربيعة في سواد العراق وكانت في صراع دائم مع الفرس الذين حأولوا بسط نفوذهم وسيطرتهم على هذه القبائل، وقد تطور الصراع بين عرب العراق والفرس متمثلاً بالحملات التي كان يقودها القائد العربي المثنى بن حارثة الشيباني واغارته على قوات الفرس في رجال من قومه بني شيبان بمنطقة الحيرة وحملات قطبة بن قتادة السدوسي في منطقة البصرة[1].

وقد كتب هذان القائدان إلى الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) يخبرانه بضعف الفرس وأشارا عليه بفتح أقاليمها ومدنها، فكتب لهما عهداً بذلك[2]. وراحا يغيران على قوات الفرس فإذا ما واجهتهما قوة كبيرة من الفرس انسحبا إلى الصحراء فلا يتبعهما أحد، ولما توالت أنباء انتصارات المثنى وحاجاته إلى الإمدادات أمر الخليفة خالد بن الوليد بالتوجه إلى العراق وطلب منه أن يستنفر قبائل العرب في طريقه وأن لا يكون معه أحد ممن ارتد حتى يرأى رأيه[3].

ولم يلبث خالد بن الوليد أن قدم العراق بألفي رجل ممن قاتل المرتدين وحشد ثمانية آلاف رجل من قبائل مضر وربيعة بالإضافة إلى مقدمتهم[4]، فيكون مجموع طلائع القوات التي ساهمت في تحرير العراق ثمانية عشر ألف رجل معظمهم من قبائل العراق وحدوده المتاخمة لشبه الجزيرة العربية.

وتنفيذاً لسياسة أبي بكر فقد عامل خالد بن الوليد الفلاحين العرب بعد انتصاره على الفرس معاملة طيبة وأقر من لم يقاتل المسلمين على أرضه[5]، مما يؤكد قوة الرابطة التي تربط عرب العراق بأبناء عمومتهم في الجزيرة العربية.

(1) البلاذري، فتوح، ص242-243؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص343؛ العلي، التنظيمات، ص23-24.

(2) البلاذري، فتوح، ص242؛ الطبري، تاريخ، ج3، 344.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص347.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص347.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص350.

أما في بلاد الشام فإن عناصر القوات العربية الإسلامية التي توجهت لتحريرها تألفت من أهل المدينة والطائف وقبائل اليمن ونجد والحجاز الذين استنفرهم أبو بكر للجهاد ورغبهم فيه[1]. وأسند الخليفة قيادة هذه القوات إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح وجعله أميراً على الجيش المتوجه إلى حمص وضم إليه ثلاثة من القواد اسندت إليهم مهمة التوجه لتحرير بقية مناطق الشام، فقد وجه يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق وشرحبيل بن حسنة إلى الأردن وعمرو بن العاص إلى فلسطين[2].

وانطلقت هذه القوات في طريقها إلى بلاد الشام وعقد لكل قائد أول الأمر على ثلاثة آلاف رجل ولم يزل الخليفة يتبعهم بالامدادات حتى صار مع كل قائد سبعة آلاف وخمسمائة ثم أصبح مجموع هذه القوات أربعة وعشرون ألفاً[3].

ويشير الطبري إلى أن مجموع هذه القوات كان وأحداً وعشرين ألفاً مضافاً إليها ستة آلاف بقيادة عكرمة بن أبي جهل الذي كان ردءاً لهذه القوات وحماية لمؤخرتها، فيكون مجموعها سبعة وعشرين ألفاً[4].

وقبيل معركة اليرموك وعندما شعر الروم بالخطر القادم إليهم تأهبوا وأعدوا قواتهم لمواجهة القوات الإسلامية كل منها على انفراد فتشأور القواد العرب فيما بينهم واستقر رأيهم على ضرورة توحيد قواتهم وعدم تفرقها، واتفقوا على الاجتماع في اليرموك قوة وأحدة لملاقاة الروم، وقد تعززت هذه القوة بقدوم خالد بن الوليد من العراق على رأس نجدة بأمر الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) فأصبح عدد القوات الإسلامية حولي ستة وثلاثين ألف رجل[5].

وبعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة في سنة 13هـ/634م حدث تطور في

---

(1) البلاذري، فتوح، ص115.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص394.

(3) البلاذري، فتوح، ص116-141.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص392-394.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص392-395.

عناصر الجيش وهو اشتراك المرتدين من العرب في الفتوح، ففي خلافـة أبـي بكـر (رضي الله عنه) لم يتمتع المرتدون بثقة الدولـة بـسبب مـا أحـدثوه مـن مـشاكل واضطرابات وعدم تشبعهم بمبادئ الدين الجديد، لذلك نجد الخليفة أبا بكر (رضـي الله عنه) لا يستخدمهم في الحروب، إلا أن اتساع نطاق الحملات العسكرية في بلاد الـشام والعراق وفي مواجهة جيوش جرارة مدربة استوجبت الحـصول علـى المزيـد مـن المقاتلين خاصة وأن الخليفة الجديد عمر بن الخطاب أحس بصعوبة موقف المثنى بن حارثة في العراق فقد آثر الأنسحاب إلى حدود الصحراء بانتظـار الإمـدادات فكتـب الخليفة إلى من ظهرت توبته من المرتدين يدعوهم إلى الجهـاد[1]، وأخـذت أفـواجهم تتوإلى على المدينة حتى أصبحت المورد الذي لا ينضب والعنصر الأسـاس للقـوات العربية الإسلامية التي ساهمت في كل معارك التحرير.

وبدأت الإمدادات تصل إلى المثنى في العراق وكانت عناصر هذه القـوات مـن القبائل العربية في اليمن والحجاز ونجد مثل قبيلة بجيلة وضبة والأزد وكنانـة، كمـا سارعت قوات أخرى للحاق بالمثنى من قبائل الرباب وجشم وخثعم وبني حنظلة وعبد القيس[2]، وكان على رأس القوات التي أرسلت إلى العراق جرير بن عبدالله البجلي التي كانت قبيلته بجيلة تشكل معظم هذه القوة كما شاركت بعض القبائل العربية التي بقيـت على نصرانيتها ومنهم نصارى بني تغلب الذين شاركوا في القتال إلى جانب المسلمين، فحين رأوا القوات الإسلامية تتهيأ لقتال الفرس "قالوا : نقاتل مع قومنا"[3].

وبعد اجتماع هذه القوات بقوات المثنى التحم العرب بمعركة ضارية مع الفـرس سميت معركة البويب انتصر فيها المسلمون انتصاراً حاسماً،[4] وبدأت القوات العربية تعيد سيطرتها على أراضي السواد مرة ثانية.

(1) المصدر نفسه، ج3، ص460.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص460-464.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص460-466.

(4) البلاذري، فتوح، ص253-255؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص466-470.

ونتيجة للهزائم التي لحقت بالفرس اضطروا إلى إعادة النظر بموقفهم العسكري واتفقوا على تنصيب يزدجرد بن شهريار ملكاً عليهم، حيث بدأوا بإعداد قوات جديدة وعملوا على إثارة أهل السواد ضد المسلمين مما دفع المثنى أن ينسحب مرة أخرى إلى حدود الصحراء ونزل ذي قار ينتظر إمدادات الخليفة وجعل قواته على شكل مسلح حاميات يسند بعضها بعضاً عند الحاجة ليتقي خطر الفرس[1].

وإزاء هذا الموقف أرسل الخليفة عمر إلى عماله على الأقاليم وإلى رؤساء القبائل في نهاية سنة 13هـ/634م يستعجلهم باستنفار كل من له سلاح أو فرس وانتخاب كل من له نجدة وبأس وإرسالهم إليه[2].

وفي أوائل سنة 14هـ/635م عسكر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حول المدينة المنورة يستقبل جماعات المتطوعين للمشاركة في القتال ثم عقد مؤتمراً ضم وجوه الصحابة أسند فيه قيادة جيوش الفتح في العراق إلى سعد بن أبي وقاص، فخرج سعد مع ثلاثة آلاف رجل جلهم من أبناء القبائل اليمانية والسراة، وفيهم من قبائل النخع ومذحج والصدف[3].

وبعد أن خرج سعد من المدينة أمده الخليفة بأربعة آلاف رجل ألفين من أهل اليمن وألفين من غطفان وقيس كما انتخب الخليفة من بني تميم والرباب أربعة آلاف، ثلاثة آلاف من تميم وألف من الرباب وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف وأمرهم أن يرابطوا على حدود أرضهم بين قوات سعد وقوات المثنى[4].

وكانت قوات سعد في العراق تضم عناصر من قبائل ربيعة وبجيلة وقضاعة وطي وغيرها[5]، وفي أثناء معركة القادسية وصلت طلائع الإمدادات الجديدة التي أرسلها أبو

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص483-485.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص478-482.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص483-485.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص486.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص486.

عبيدة بن الجراح من الشام بناء على أمر الخليفة بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقـاص وهي ستة آلاف رجل خمسة آلاف من مضر وربيعة وألف من أهل اليمن والحجاز[1].

وعلى ضوء ذلك فقد تجمع للمسلمين قوات عسكرية تقدر بستة وثلاثين ألف رجل أكثرهم من أبناء القبائل العربية ومن خيرة المقاتلين[2]، فدخلوا معركة القادسية وتمكنوا من تحقيق نصر حاسم، كان بداية لحروب الفتح التي ستنطلق باتجاه فارس وخراسـان بعد ذلك[3].

وبعد معركة القادسية ودخول المسلمين المدائن تعرض الفرس لهزيمة أخرى فـي جلولاء وفر يزدجرد إلى فارس واستقر في نهاوند وبدأ من هناك يجمع القـوات مـن مختلف أنحاء مملكته فاجتمع إليه في نهاوند ما بين مائة إلى مائة وثمانين ألف رجل[4].

وكان اهتمام الخليفة عمر (رضي الله عنه) بنهاوند أشد من اهتمامه بالقادسية حتى أراد الخروج بنفسه للقاء الفرس إلا أن الصحابة نصحوه بالعدول عن ذلك[5]. اقتـرح عليه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن يسير ثلثي أهل الكوفة للقاء العدو ويبقـي الثلث الآخر لحفظ المدينة وأن يمدهم أهل البصرة ببعض القوات فأخذ برأيه[6]. وأسـند قيادة الحملة إلى النعمان بن مقرن المزني قائلاً له : "إن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان فإن أصيب فجرير بن عبد الله البجلي فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة فإن أصيب فأشعث بن قيس[7]. مما يدل على مدى اهتمام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بهذه المعركة وحرصه على ضرورة وجود القيادة فيها لضمان إدارة المعركة ومنعاً للاختلاف بـين

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص543.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص487.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص582.

(4) البلاذري، فتوح، ص300؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص122.

(5) البلاذري، فتوح، ص300؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص123.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص126.

(7) البلاذري، فتوح، ص300.

الجند.

ولم تتجاوز قوة المسلمين في معركة نهاوند الثلاثين ألف مقاتل[1]، تألفت عناصرها من أبناء القبائل العربية في الكوفة والبصرة التي سبق لها أن شاركت في معركة القادسية فقد كان من قوادها القعقاع بن عمرو وطليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معدي كرب والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي[2]، ولحق بهذه القوات امدادات من المدينة فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة، كما لحق بهم أيضاً كل من غاب عن القادسية والايام من أهل الثغور وامرائها، وكان أسرع الناس للخروج إلى نهاوند الروادف من أهل الكوفة "ليبلوا في الدين وليدركوا حظاً"[3].

وبدأت المعركة وبعد قتال شديد وضار استشهد النعمان بن مقرن وأخفي نبأ استشهاده لئلا يدرك الجند الوهن وتولى القيادة حذيفة بن اليمان واستمر القتال إلى الليل حتى ظهرت الهزيمة على الفرس ودخل المسلمون نهاوند[4].

وافتتحت نهاوند سنة 19هـ/640م[5]، وسميت المعركة فتح الفتوح لأن سقوط نهاوند وضع نهاية للمقاومة الفارسية الرسمية بعد كل هذا الحشد الذي حشده الفرس وأصبحت المقاومة جهوداً فردية يقوم بها حكام المقاطعات في غير تساند أو نظام لحماية يزدجرد[6].

وبعد انتصار العرب في القادسية وجلولاء ونهاوند إذن الخليفة عمر للمسلمين بالتحرك في بلاد فارس للقضاء على جيوب المقأومة الفارسية فأرسل الأحنف بن قيس إلى خراسان وعثمان بن أبي العاص الثقفي إلى اصطخر وسارية بن زنيم الكناني إلى فسا ودرابجرد وسهيل بن عدي إلى كرمان وعاصم بن عمرو التميمي إلى سجستان

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص136.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص128.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص136.
(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص132-133.
(5) البلاذري، فتوح، ص302؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص136.
(6) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح، ص75.

والحكم بن عمير التغلبي إلى مكران[1].

كان لا بد للعرب بعد أن حققوا انتصاراتهم الحاسمة على الفرس والروم من تنظيم حياتهم في مواطنهم الجديدة لتحقيق فكرة الجهاد ونشر راية الإسلام، وهكـذا أنـشأت الأمصار الإسلامية الجديدة في العراق ومصر وشمال أفريقيـة لتكـون (دور هجـرة) للعرب ومراكز لتجميع قواهم في انطلاقهم إلى آفاق أبعد. فقد كتب الخليفة عمـر بـن الخطاب (رضي الله عنه) إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ الكوفة مقراً لجنده[2].

وقد أنشئت دور الهجرة هذه في بلاد هي أطراف المنطقة التي سبقت إليها هجرات عربية قبل الفتح، وسميت المدن التي أنشئت بإسم الأمصار، وسمي المقاتلة الذين انتقلوا إلى الأمصار بإسم المهاجِرَة، ومن معسكراتهم التي أقاموا فيها الأمصار كانـت تـنظم وتوجه حركة الفتح الإسلامي[3].

وقد لقيت حركة الهجرة حماساً كبيراً من قبل العرب وخرجـوا بأعـداد كبيـرة ازدادت تدفقاً بازدياد الأنتصارات ثم بتوسع الفتوح إضافة إلى تشجيع الخلافة للهجـرة حيث اسقط من العطاء من لم يقاتل في البلاد المفتوحة ومن لم يهاجر إليها[4].

ولم يتخذ خروج المهاجرة للجهاد شكلاً قبلياً كما حدث في هجراتهم الأولـى قبـل الإسلام حيث كانت القبائل تهاجر بمجموعها إلى أطراف الجزيرة العربية، بـل أنهـم خرجوا ملبين لركن أساسي من أركان العقيدة الجديدة وهو الجهـاد رغـم احتفـاظهم بانتمائهم القبلي ورابطة الدم وافتخارهم بانتسابهم وهي الصفة التي تميز بها العرب عن غيرهم من الأمم[5].

إن استقرار العرب في الأمصار وفي مدن البلاد المفتوحة أدى إلى إضعاف روح

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص94.

(2) البلاذري، فتوح، ص274.

(3) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص25.

(4) أبوعبيد، الأموال، ص297.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص186.

العصبية القبلية التي كانت سائدة قبل الإسلام، وقد ساهمت في ذلك عوامل عدة فالعامل الديني وقوة العقيدة الإسلامية التي دعت إلى الإخـاء والمـساواة واخـتلاط القبائـل وامتزاجها سواء بالجوار أو المصاهرة أدت إلى اضعاف تلك الروح، حتـى ظهـرت اصطلاحات وتعابير جديدة في الأمصار العربية ورد ذكرها في المصادر العربية مثل: أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل القادسية، وأهل اليرموك، وأهل العراق، وأهل الشام، مما يدل على ابتعاد العرب عن التعصب القبلي إلى أفق أكثـر سـعة متمـثلاً بحيـاة المدينة[1].

كما أن سلطة القبائل السياسية وروابطها القائمة على أساس الدم والنسب تـأثرت كثيراً بعد استقرارها في الأمصار وخضوعها لسلطة الأمير العليا التي لم تكن تـستمد قوتها من رابطة الدم[2].

ونتيجة لضعف الروابط القبيلة فإن ظـروف التنظـيم العـسكري للعـرب بعـد استقرارهم في الأمصار الجديدة أدت إلى أن تصبح العشيرة لا القبيلـة هـي الوحـدة العسكرية الأولى لأن القبيلة لم تكن تهاجر من موطنها في الجزيـرة العربيـة وتقـيم مجتمعة في مكان وأحد بعينه وإنما كانت أجزاء من القبيلة تنظم عند هجرتها إلى أجزاء أخرى من قبائل قد هاجرت أيضاً وتشترك معها في نسب أعلى[3].

وفي بداية العصر الأموي وبعد أن ازداد عدد السكان العرب في الأمصار الجديدة حدث تطور في النظام القبلي، فقد برزت الروح القبلية التي قد ضعفت بسبب عوامـل الدين والأندماج بين القبائل، وقد ساهم الأمويون في إبراز الروح القبلية باعتمادهم على قبائل الشام اليمنية، وبرز الصراع بين القبائل بشكل واضح بعد وفاة يزيد بن معأويـة بين القيسيين الذين ساندوا ابن الزبير وبين اليمنيين الذين وقفوا إلى جانـب الأمـويين

---

(1) فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص44-45.

(2) العلي، التنظيمات، ص43.

(3) فلهاوزن، الدولة العربية، ص26.

وساندوهم[1].

إلا أن وجود خلفاء أقوياء كمعأوية وعبدالملك وهشام بن عبدالملك ومـروان بـن محمد أو ولاة أقوياء كزياد بن أبيه والحجاج ومحأولتهم اتباع سياسة التوازن بين القبائل كان يحد من ظهور هذه العصبية[2].

وقد حأول الأمويون التأكيد على سلطة الدولة فاستعانوا بالولاة الأقوياء من البيـت الأموي أو من حلفائهم من بني ثقيف[3].

ب- الموالي:

وإلى جانب العرب ضم الجيش العربي الإسلامي عناصر أخرى غير عربية تنتمي إلى أجناس متعددة كالفرس والترك وغيرهم أطلق عليهم إسم (المـوالي)، ولمـا كـان الإسلام لا يفرق بين العربي والمولى فإن دخول الموالي في صفوف الجـيش العربـي الإسلامي يرجع إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد كانت سراياه تضم أفـراداً من الموالي من غير العرب يمثلهم صحابته الأوائل مثل بلال الحبشي وعمار بن ياسر وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وغيرهم، وقد أشار كل من أبي يوسف والـبلاذري إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فرض لأهل بدر عربهم ومواليهم[4]، وأنه كتب إلى أحد عماله يؤنبه على فرضه العطاء للعرب وتركه المـوالي "أمـا بعـد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[5]، كما كتب إلى أمراء الأجنـاد "ومـن اعتقتم من الحمراء فأسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلهم اسوتهم في العطاء"[6].

---

(1) دكسن، عبدالأمير، الخلافة الأموية، ص144.

(2) المصدر نفسه، ص161، 173-176.

(3) فلهاوزن، الدولة العربية، ص107.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص44؛ البلاذري، فتوح، ص441.

(5) البلاذري، فتوح، ص443.

(6) البلاذري، فتوح، ص444.

إن توالي الفتوح وكثرة المعارك التي خاضها العرب أدت إلى وقوع أعداد كبيـرة من الأسرى والسبي بأيديهم وخاصة في المدن التي كانت تفتح عنوة، ولما كان هـؤلاء الأسرى يعتبرون غنيمة فإن الدولة كانت تأخذ الخمس على أنهم فيء ويـوزع البـاقي على المقاتلين وغالباً ما كانت الدولة تقوم بعتق وتحرير هؤلاء الأسرى[1].

وكان للفتوحات الإسلامية أثر كبير في تحرير العبيد الذين قتـل أسـيادهم أثنـاء الحرب أو فروا تاركين عبيدهم من غير أسياد فأصبح هؤلاء من الموالي بعد دخـولهم الإسلام ولما كان أصل هؤلاء الأسرى من الجند المدربين على القتال فقد استخدموا مع القوات العربية الإسلامية كمقاتلين أو كأدلاء أو مراسلين[2].

أما الأسرى الذين يوزعون بين المقاتلين فإذا أسلموا أعتقوا وأصبحوا موالي للقبيلة ينتسبون إليها[3]، ويشتركون معها في الحروب وقد فرض لهم العطاء في خلافة عمـر أسوة بالعرب[4]، إلا أنهم لم يتمتعوا بهذا الحق في الفترات التالية فلم يفرض لهم العطاء ومن كان يأخذ العطاء منهم فإنه أقل مما كان يأخذه العرب[5].

أما سكان البلاد المفتوحة من غير المتحاربين فكانوا يتركون أحـراراً علـى أن يؤدوا خراج الأرض بصفة مستمرة والجزية على كل فرد فمن أسلم منهم سقطت عنـه الجزية وأصبح مولى للدولة العربية الإسلامية.

إن من أوائل العناصر غير العربية التي استخدمت ضمن القوات العربية الأسأورة وهم قوة عسكرية فارسية كانت تقاتل العرب في منطقة الأحواز تحت قيـادة يزدجـرد ملك الفرس، فلما هرب يزدجرد ويئسوا من مقاومة العرب أوصوا أبا موسى الأشعري على الدخول في الإسلام على أن تكون لهم نفس حقوق العرب في العطـاء والإقامـة

(1) البلاذري، فتوح، ص374.

(2)العلي، التنظيمات، ص59.

(3) البلاذري، فتوح، ص433-444؛ أمين، فجر الإسلام، ص89.

(4) البلاذري، فتوح، ص437-444.

(5) الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص5.

فأجيبوا إلى طلبهم وأنزلوا البصرة وحالفوا بني تميم وأصبحوا موالي لهم، وقد رحـب العرب بهذه الاتفاقية لأنها تضع في صفهم قوة عسكرية، كانوا بأمس الحاجة لخـدمتها ومعونتها[1].

وقد ازداد عدد هؤلاء الأسأورة بمن أنضم إليهم من جنود الفرس بعـد أن تمـت السيطرة على هذه المناطق وتشتت الجيش الفارسي فأسلموأوألحقوا بهم[2]، وكان هناك أربعة آلاف من الديلم يسمون جند شهانشاه يقاتلون مع قائد الفـرس رسـتم ويـسميهم العرب حمراء ديلم فعندما قتل رستم في القادسية اعتزل هؤلاء القتال، وبما أنهـم لـم يكونوا من الفرس فلم يستطيعوا العودة إلى صفوفهم وطلبوا الأمان من العرب فأمنوهم وأسلموا وأنزلهم سعد بن أبي وقاص الكوفة وفرض لهم العطاء وحالفوا زهرة بن حوية من بني تميم وشاركوا المسلمين في فتح المدائن وجلولاء[3].

كما التحق بهم أيضاً جماعات أخرى من السيابجة والزط والأندغار وهـم بقايـا القوات الفارسية التي استسلمت إلى العرب بعد أن شعرت بعدم جدوى المقأومة وبعدما سمعوا بالامتيازات التي حصل عليها الأسأورة فأنزلهم أبو موسى الأشعري البصرة مع الأسأورة[4].

وأصل هؤلاء السيابجة والزط من السند كما يظهر من روايات البلإذري والطبري وياقوت وقد سباهم الفرس في معارك سابقة وأسكنوهم في المناطق القريبة من البحرين وقطر وسواحل الخليج العربي، ثم استخدموهم بعد ذلك في قواتهم[5]، ومما يؤيد ذلك أن

---

(1) البلاذري، فتوح، ص366-367؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص89-90؛ العلي، التنظيمات، ص69.

(2) البلاذري، فتوح، ص367.

(3) المصدر نفسه، ص279.

(4) المصدر نفسه، ص367.

(5) البلاذري، فتوح، ص367-368؛ الطبري، تـاريخ، ج3، ص304؛ يـاقوت، البلـدان، ج2، ص378.

محمد بن قإسم الثقفي بعث جماعة منهم إلى الحجاج عند فتحه السند[1]، أما الأندغار فهم من مناطق كرمان وسجستان[2].

وقد نقل زياد بن أبيه في خلافة معأوية جماعة من هذه العناصر إلى انطاكية فـي سنة 42هـ/622م[3]؛ لتقوية المناطق الساحلية ضد هجمات الروم كما بعث الحجاج في خلافة الوليد بن عبد الملك جماعة من الزط إلى انطاكية[4].

وبالنظر لكونهم موالي لبني تميم كانوا يشاركونهم في الحملات العسكرية وشهدوا موقعة الربذة مع مصعب بن الزبير وساهموا في فتوح خراسان[5]، ثم اشـتركوا فـي حركة ابن الأشعث مما أثار غضب الحجاج فهدم دورهم وحط اعطياتهم وأجلى بعضهم ثم تضاءل شأنهم ولم يعد لهم ذكر في الأحداث بعد ذلك[6].

وفي بداية تحرير مصر استصحب عمرو بن العاص من الشام أعداداً من الفـرس والروم ضمن قواته وأسكنهم الفسطاط[7].

ولم يقتصر الأمر على استخدام الفرس، فإن عبيد الله بن زياد عندما هزم التـرك في بخارى أسر منهم ألفين وقدم بهم إلى البصرة وأسكنهم في البصرة وسميت فيما بعد ببخارية زياد[8]، واستخدمهم لحفظ الأمن وأرسل قسماً منهم لإخضاع بعض المتمردين من أهل اليمامة[9]. ويبدو أن إجادتهم في الرمي وقوة بأسهم من أسباب اعتماد ابن زياد

---

(1) البلاذري، فتوح، ص166.

(2) المصدر نفسه، ص369.

(3) البلاذري، فتوح، ص153-156.

(4) المصدر نفسه، ص166، 279، 369؛ كرد علي، محمد، الإسلام والحضارة، ص79.

(5) البلاذري، فتوح، ص368-369.

(6) المصدر نفسه، ص367؛ العلي، التنظيمات، ص7.

(7) ابن عبد الحكم، فتوح، ص167.

(8) البلاذري، فتوح، ص369؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص298.

(9) ابن عبد ربه، العقد، ج1، ص191.

عليهم[1]، وعندما بنى الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة واسط نقل إليها قسماً منهم ثم لـم يعد لهم بعد ذلك أي نشاط يذكر[2].

وقد ازداد عدد الموالي زيادة هائلة في العصر الأموي باتساع حركة الفتوح وكثرة عدد الرقيق بالأسر أو السبي وكان الولاة يبعثون الآلاف من الرقيـق ومـن مختلـف الأجناس إلى دمشق وكان يوزع من هناك إلى مختلف طبقات الناس، فمن أنجب مـن أولئك الأرقاء أو اعتق صار مولى غير الذين كانوا يدخلون في الولاء بالعقـد وغيـره فتزايد عدد الموالي زيادة عظيمة[3].

ولم يظهر للموالي دور في الحياة العسكرية في صدر الدولة الإسلامية لأن عددهم كان قليلاً ولا ننسى توجيه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنـه) الـذي أراد أن يكون العرب أمة عسكرية مجاهدة لا تختلط بالأعاجم، لذلك فإن معـسكرات المقـاتلين العرب شيدت خارج المدن المحررة لئلا يتأثروا بهم، ولكن العرب اتـصلوا بـالموالي وبغيرهم وتأثروا بهم وأفسحوا لهم المجال تدريجياً.

11.2 إعداد المقاتلين :

عندما إذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقتال المشركين بعد بيعة العقبة الثانيـة وهي، (بيعة الحرب) [4]، ونزلت بذلك الآية الكريمة : إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير [5]، أصبح الجهاد فريضة على كل مـسلم حمايـة للـدين الجديد وصيانة لأرواح المسلمين ودفعاً للظلم. وبهذا كان القتال واجباً ملزماً لكل رجـل قادر على حمل السلاح، وأصبحت الأمة كلها أمة مقاتلة. وكان الرسول (صلى الله عليه

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص298؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص151.
(2) البلاذري، فتوح، ص369؛ العلي، التنظيمات، ص72.
(3) زيدان، جرجي، التمدن الإسلامي، ج4، ص98.
(4) الطبري، تاريخ، ج2، ص368.
(5) سورة الحج، آية 39.

وسلم) يحرص دائماً على نشر روح الإعداد المنظم والمفيد للحرب والاستعداد الدائم في وقت السلم حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة. وهذا الإعداد المنظم ما هـو إلا عمليـة تهيئة الجند واعدادهم بدنياً وخلقياً وروحياً ليكونوا على أهبة الاسـتعداد لتلبيـة داعـي الجهاد. وبفضل هذا الإعداد المنظم للجند استطاعت الدولة العربية الإسلامية أن تحقـق أعظم انتصاراتها على جيوش الفرس والبيزنطيين التي كانت تعتبر أقوى جيوش ذلـك العصر اعداداً وتنظيماً وتدريباً.

ومن دراستنا لغزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) نرى أن المـسلمين كـانوا يخرجون إلى القتال تلبية لواجب مقدس، فلم يكن يتخلف عن الجهاد إلا من لـه عـذر مشروع، وإذا ما نودي للخروج إلى الجهاد وتخلف عنه أحدهم لعـذر أو شـبه عـذر تعرض إلى لوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وإذا تبين أنه تعمد أن يكون مع المتخلفين عن القتال يعاقب ويقاطعه المسلمون ويجتنبونه، فلا يكلمه أحد[1].

أما الذين كانوا يتخلفون عن غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأعذار واهية لضعف إيمانهم وعدم تغلغل الإسلام في نفوسهم، فلم يعاقبهم الرسول (صلى الله عليـه وسلم) بعقاب مادي أو جسدي وإنما كان يقول حين يتخلف عنه أحدهم "دعوه فإن يـك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه"[2]. وقد تخلـف عـن غزوة تبوك ثلاثة من المسلمين ممن لا يشك في ايمانهم وهو كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية[3]، ومع ذلك لم يقبل الرسول (صلى الله عليـه وسـلم) تـوبتهم فاعتزلهم المسلمون إلى أن نزلت ببراءتهم الآية الكريمة وعلى الثلاثة الـذين خلفـوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم [4]. ولم تكـن تفـرض علـى

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص111.

(2) المصدر نفسة، ج3، ص107.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص111.

(4) سورة التوبة، آية 118.

المتخلفين عقوبات مادية أو جسدية وإنما ينظر إليهم نظرة استهانة واحتقار فكان ذلـك درساً قاسياً لهم ولمن تحدثه نفسه بالتخاف أو التخاذل.

وبعد فتح مكة حدث تطور جديد في عملية تهيئة واسـتنفار المقـاتلين فقـد ازداد عددهم وقويت شوكتهم بدخول الجزيرة كلها تحت راية الإسلام، فأعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه "لا هجرة بعد الفتح، إنما جهاد ونية"[1]. وحرصاً من المؤمنين على الجهاد فإنهم كانوا ينفرون كلهم إلى القتال فيبقى الرسول (صلى الله عليه وسـلم) فـي المدينة مع قلة من المقاتلين[2]، فنزلت الآية الكريمة وما كان المؤمنون لينفروا كافـة، فلولا نفر من كل فرقة، منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إلـيهم لعلهم يحذرون [3]. لذا اقتضى الأمر أن لا يخرج هذا العدد الكبير من المقـاتلين كلـه للجهاد بل تقوم الدولة بمتابعة الجهاد وتعمل في الوقت نفسه على دعم جبهتها الداخليـة التي تكون القاعدة الراسخة للمقاتلين وهذه الطائفة التي أشارت إليها الآية الكريمة هـي التي أصبحت تكون نواة الجيش العربي الإسلامي[4].

ويبدو أن أسلوب اختيار النقباء في بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب) كانت الخطوة الأولى في تهيئة وإعداد المقاتلين الذين سيتولون الدفاع عن الكيان الجديـد، فقـد أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هؤلاء النقباء أن يكونوا وسطاء بينه وبين الناس في نشر دعوته الجديدة وفي الوقت نفسه أرادهم أن يكونوا نواة صالحة لجيشه المرتقب[5]. فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمن بايعه من أهل يثرب في العقبة الثانية وكان عددهم سبعين رجلاً وامرأتين[6]، "اخرجوا إلي منكم إثنى عشر نقيبـاً يكونـون علـى

---

(1) الشيباني، كتاب السير، ج1، ص94.

(2) السيوطي، تفسير الجلالين، ص288.

(3) سورة التوبة، آية 122.

(4) العدوي، النظم الإسلامية، ص313.

(5) عون، الفن الحربي، ص110.

(6) الطبري، تاريخ، ج2، ص362.

قومهم بما فيهم فاخرجوا اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس"(1). ويبدو أن هؤلاء النقباء الذين عينهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) كـانوا مـسؤولين عـن استدعاء وتهيئة المقاتلين عند الضرورة(2).

واستمر هذا الأسلوب من التجنيد في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) وفق الأسـس التي وضعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والقائمة على مبدأ التطوع والأنتداب المبني على نية الجهاد وإعلاء كلمة الله(3)، إلا أن ظروف الردة وعدم تغلغل الإيمان في قلوب الذين دخلوا الإسلام حديثاً جعلت الخليفة أبا بكر (رضي الله عنه) لا يلزم أحدا بالقتال إلا من ثبت إسلامه ولم يرتد فقد كتب إلى خالد بن الوليد وعياض بن غنم حين بعثهمـا إلى العراق والجزيرة بعد حروب الردة "وإذنـا لمـن شـاء بـالرجوع، ولا تـستفتحا بمتكاره"(4)، ثم كتب إليهما وهما في الطريق "ان استنفرا من قاتل أهل الردة ومن ثبـت على الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا يغزون معكم أحد ارتـد حتـى أرى رأيي"(5).

ولما تولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخلافة حدث تطور جديد في أعداد المقاتلين وتجنيدهم، فقد كانت الحاجة ماسة إلى إرسال أعـداد كبيـرة مـن المقـاتلين لمواجهة قوات الفرس والروم التي بدأت تعد العدة للقضاء على المسلمين فقد اسـتطاع الفرس بعد أن تولى الملك يزدجرد العرش أن يثيروا أهل السواد على العرب فاضطرت القوات العربية الإسلامية بقيادة المثنى أن تنسحب إلى ذي قار في حدود الصحراء(6)، وظل الخليفة عمر (رضي الله عنه) يستنفر الناس إلى قتال الفرس بعد وفاة أبـي بكـر

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص362.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص488؛ العدوي، النظم، ص313.

(3) عون، الفن الحربي، ص95.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص346.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص347.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص478.

ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع كان أبو عبيدة الثقفي أول من استجاب[1]؛ لأن الناس كـانوا يفضلون جبهة الشام لأنها كما يقولون أرض أسلافهم حتى قال لهم الخليفة عمر (رضي الله عنه) : "بل العراق فإن الشام فيه كفاية"[2]. ومع ذلك لم يجـد بـدا مـن اسـتنفار المرتدين والاستعانة بهم[3]. وكان المرتدون على أحر من الجمر وفي ضيق ليس كمثله ضيق لحرمانهم من حروب التحرير فأقبلوا سراعاً من كل أوب[4]. ثم استخدم الحزم في استنفار الناس للقتال فكتب إلى قواده في العراق "أما بعد فاخرجوا مـن بـين ظهـري الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تـدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتمـوه، فإن جاء طائعاً وإلاّ حشرتموه احملوا العرب على الجد إذ جد العجـم، فلتلقـوا جـدهم بجدكم"[5]. ثم كتب إلى عماله على الأقاليم والقبائل "ولا تدعا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي، والعجل العجل"[6]. وعندما وجه سعد بـن أبي وقاص إلى العراق طلب منه أن يستنفر كل من يمر به من ذوي القـوة والنجـدة والرياسة"[7].

وهنا نلاحظ أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد أعطى كتبـه إلـى القواد والعمال صيغة الأمر والإلزام فوضع القاعدة الجديدة في التجنيد التي نصت على الإلزام إلى جانب التطوع[8].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص444.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص462.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص448.

(4) كمال، أحمد، الطريق إلى المدائن، ص384.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص478.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص479.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص512.

(8) العدوي، النظم الإسلامية، ص314.

ويمكن اعتبار ديوان الجند الذي أنشئ في عهد الخليفة عمر (رضـي الله عنـه) الخطوة الأولى في عملية تجنيد المقاتلين التي كانت تؤمن للدولة الأعداد الـوفيرة مـن المقاتلين، وأصبحت دوأوين الجند في الأمصار الإسلامية مراكـز لتجنيـد المقـاتلين بواسطة السجلات التي تحوي إسماءهم وأنسابهم وأوصافهم ومقدار أعطياتهم حيث كان يتم استنفارهم واستدعاؤهم عند الضرورة.

وان عطاء الجند السنوي كان يلزمهم بالقتال إذا دعت الحاجة إليه، فما دام المقاتل قد ضمن عطاءه وعطاء أهله فقد لزمه الجهاد إذا دعي إليه واستوفى شروطه[1].

وقد بذل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جهوداً كبيـرة ليجعـل مـن الأمصار الجديدة مراكز حربية تضم أعداداً كبيرة من المقاتلين مع أسرهم يجري عليهم العطاء السنوي ليكونوا على استعداد دائم لكل طارئ. وكانت شروط ديوان الجند تقضي بأن يقيم المقاتلة في الأمصار الجديدة التي لم تكن في الحقيقة إلا معـسكرات حربيـة انطلقت منها الجيوش الإسلامية إلى حروب التحرير أو يقيمون على الحدود في الثغور والحاميات المواجهة للأعداء وفي هذه المدن كان المقاتلون يتمتعون بكامل حقوقهم التي منحها لهم الإسلام وقد أشار فلهأوزن إلى ذلك بقوله "ولم يكن يـستطيع الأنـسان فـي الإسلام أن يتمتع بما للمواطن من حقوق كاملة إلا في الجيش وفي المدن ومعـسكرات الجيش الكبرى"[2].

وكان العقاب ينال كل من يتخلف عن القتال من أصحاب الديوان خاصة. وإذا كان الإلزام في الخروج للقتال في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) معنويـاً فـإن مـن يتخلف من المقاتلين في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يناله العقاب الأدبي الصارم فتنتزع عمامته ويقام في الناس ويشهر به[3].

واستمر تجنيد المقاتلين في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) يسير على الأسس

(1) عون، الفن الحربي، ص98.

(2) فلهاوزن، الدولة العربية، ص25.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص158؛ عون الفن الحربي، ص99.

التي وضعها الخليفة عمر فقد كتب بعد توليه الخلافة سنة 23هـ/644م إلى أمراء الأجناد "أما بعد فإنكم حماة المسلمين وذادتهم وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان على ملاء منا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل"[1]. ثم كتب إلى معاوية وغيره من الولاة سنة 28هـ/648م "أما بعد فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا وأن أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم وإياكم أن تغيروا فإني لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقبل"[2]. إلا أنه في النصف الثاني من خلافة عثمان وبعد أن استفحلت الفتن الأهلية قل حماس الجند للقتال ولزم الكثير منهم أعمالهم غير منحاز إلى أحد الفريقين إلا لعصبية أو رجاء لنفع سياسي وكان في قعود معظم أصحاب الرسول (صلي الله عليه وسلم) عنها أكبر دافع لغيرهم على القعود أيضاً[3]، وقد أشار الطبري إلى أن تقاعس الجند بسبب الفتنة التي ظهرت في أواخر خلافة عثمان دفعه إلى أن يأمر عماله بالتضييق عليهم ومنع العطاء عنهم حتى يطيعوه[4]. وهنا كان للعامل السياسي أثره الكبير في فقدان عملية إعداد المقاتلين وتجنيدهم بفعاليتها، فبسبب استفحال الفتنة فَتَرَ الحماس للقتال ولم يستطع أحد من قادة الأمصار الإسلامية أن يلزم أحدا بالقتال إلى جانبه لأسباب قبلية أو سياسية[5].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص245.
(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص261-262.
(3) عون، الفن الحربي، ص100.
(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص335.
(5) المصدر نفسه، ج5، ص103، 108-109.

الفصل الثالث

فتوحات العراق في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

1.3 دوافع حركة الفتوحات العربية الإسلامية:

إذا أردنا أن نتفهم طبيعة حروب التحرير العربية الإسلامية ودوافعها، فلا بد لنا من اعتماد منهج يأخذ بتعدد الأسباب، ذلك أن أي منهم سيتسم بنظرة أحادية جزئية وسيصادر بقية الآراء الأخرى، ممى يعني الوقوع في قبضة (الأيديولوجيا) وليس الرغبة في تقديم الحقيقة التاريخية، فحروب التحرير العربية الإسلامية قد حكمتها عدة أسباب، منها الذاتي ومنها الموضوعي، فكان هناك السبب الإقتصادي، وكان هنالك السبب المتسم بطابع الجهاد، على حين كانت هنالك أسباب قومية وأخرى دفاعية في هذه الحروب، ومن هنا سنبدأ ببحث كل سبب على حده ومحأولة تلمس علاقته بالأسباب الأخرى مع الأنتباه إلى أن السبب الرئيس في ظل مرحلة معينة قد ينحسر ليصبح ثانوياً في ظل مرحلة أخرى ليبرز سبب آخر أكثر فاعلية.

كان السبب الإقتصادي عاملاً مهماً في هذه الحرب، وإذا كانت الأسباب الإقتصادية مهمة في حياة الأنسان، والعوامل الإقتصادية إن لم تكن كل شيء في حياة البشر فهي شيء كبير وخطير، وإن لم تكن المؤثر الأول فإن لها على كل حال تأثيراً متبادلاً وفي بعض الأحيان حاسماً مع العوامل الأخرى، فقد كانت مهمة في حروب التحرير العربية الإسلامية ، فبعد الأنتهاء من القضاء على الردة بدأ خالد بن الوليد يحث القبائل العربية على التقدم إلى العراق "وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم، ويزهدهم في بلاد العرب، وقال : ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلا المعاش، لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه، ممن إثّاقل عما أنتم عليه"(1). ويلاحظ هنا ترافق السبب الاقتصادي مع السبب الديني –

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص354.

الجهاد- كما يتمثل السبب الإقتصادي في قول البلاذري : " لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة والطـائف واليمن، وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب"[(1)]، وتكرر السبب نفسه في كتاب له إلى أهل اليمن : "فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وإلى أحـدى الحسنيين، اما الشهادة، واما الفتح والغنيمة"[(2)]، وفي كلام أبي بكـر يقتـرن الـسبب الإقتصادي بالسبب الديني المتمثل في الجهاد، ونحن نجد هذين السببين في تصرف أبي عبيده إذ لم يكن "يمر بقوم من العرب إلاّ رغبهم في الجهاد "[(3)]، ويبـرز النـاس إلـى العراق فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون عنه حتى هم أن يغزو بنفسه، وقدم عليه قـوم مـن الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غنائم كسرى فردوا الاختيار إليه فأمرهم بالشخوص"[(4)].

وتسعفنا احدى خطب عمر في تقرير فقر المؤمنين وحاجتهم حينذاك "يـا معـشر العرب إن الله أيدكم بالإسلام، وألف بينكم بعد الفرقة، وأغناكم بعد الفاقة"[(5)]، وفي ضوء ما سبق نجد أن السبب الإقتصادي كان ظاهرا في حروب التحرير العربية الإسلامية ، إلاّ أن هذا لا يجب ألاّ يدفعنا إلى القول بأن "الحاجة المادية هي التي دفعـت بمعاشـر البدو وأكثر جيوش الفتح منهم، إلى ما وراء تخوم البادية القفراء إلى مواطن الخـصب في بلدان الشمال"[(6)]، إذ أن ما يضعف هذا الرأي إقراره بعامل أحادي من جهة، وإغفاله لبقية العوامل من جهة أخرى، فقد رأينا أن السبب الإقتصادي كان يرافق الدعوة إلـى

(1) البلاذري، فتوح، ص115.

(2) حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية، ص325.

(3) البلاذري، فتوح، ص251؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص357.

(4) البلاذري، فتوح، ص253.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص134.

(6) حتي، فيليب، تاريخ العرب-مطول-ص195.

الجهاد، ناهيك عن وجود السبب القومي والدفاعي والأسباب الأخرى التي سنتطرق إليها في السطور الآتية، فعلى مستوى الجهاد ليس لنا أن ننكر أو نصادر رغبة المؤمنين فيه التي تصل أحياناً إلى رفض العمل في المجالات المادية فالنص الذي يورده أبو يوسف يشير صراحة إلى أن بعض المسلمين كان يهمهم الجهاد بالدرجة الأولى " فدخل عمـر إلى المسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال : لا أراني إلا مستعملك، قال أما جابياً فلا، ولكن غازياً، قال إنك غاز،[1]" ويبـرز دور الجهاد في قول رسل المقوقس له عند جند الإسلام، "قالوا رأينا قوماً الموت أحب إلـى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليه من الرفعة، ليس لأحدهم في الـدنيا رغبـة ولا نهمة إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كوأحد مـنهم مـا يعـرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلـف عنهـا منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم"[2]، وقد انتبه ابن خلدون إلـى دور الجهاد في حروب التحرير العربية الإسلامية فقال : " . . ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق، فـإذا حـصل لهـم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متـساو عنـدهم وهم مستميتون وأهل الدولة التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضـهم متباينـة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم بـل يغلبـون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل. كنا قدمناه وهذا ما وقع للعرب صدر الإسلام في الفتوحات"[3]، وإذا سلمنا بجدل العلاقة بين الـسبب الاقتـصادي والـديني نستطيع أن نتبين الدقة في كلام كلود كاهن عن هذه الحروب ولقد تألفت هذه الجيـوش من انصاف الرحل أو من المتطوعين عن ايمان، وسرعان مـا انتـشر فـي نفوسـهم الحماس الديني واستقر فيهم على حداثة عهدهم بالإسلام، وذلك بفضل الغنائم التي كانت

(1) أبو يوسف، الخراج، ص32؛ البلاذري، فتوح، ص300-301.
(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص65.
(3) ابن خلدون، المقدمة، ص158.

تدر عليهم خيرات طائلة وتنهض دليلاً على تأييد من عند الله"[1]، ولنا أن نفترض بـأن العرب المسلمين كانوا يبحثون عن فرصة تحقق التكامل الإقتـصادي بـين الجزيـرة العربية والأراضي المحررة التي هي أراضي عربية محتلة مـن قبـل الأجنبـي، لأن تكوين الأمة ووجود دولة يتطلب تمتين الأساس المادي لها كي لا تظل تدور في فلـك الاقتصاد الأجنبي الذي هيمنت عليه قوى أجنبية واستنزفت موارد الأرض العربية.

ويبرز السبب القومي في حروب التحرير العربية الإسلامية واضحاً، فمـن جهـة حتم توحيد الجزيرة العربية بعد الردة الاصطدام بالخطر البيزنطي الفارسي[2] إذ كـان الروم يتحشدون على الحدود ويسيطرون على عقدة المواصلات بين مصر والعراق[3]، ومن جهة أخرى كان الفرس يظلمون عرب العراق "ثم إن الفرس جعلت تتعدى علـى العرب وتؤذيهم غاية الإذى لسبب الملك أنه فيهم"[4]، وقد ترتب على هذا أن بدأ المثنى بن حارثة الشيباني يغير على السواد مع قبيلته قبل أن تبدأ حروب التحريـر العربيـة الإسلامية بشكلها النظامي[5]، وتوجه من قبل دولة المدينـة، والواقـع أن الاصـطدام بالفرس قد أملى ضرورة انقاذ عرب العراق وتحريرهم من اضـطهادهم إذ "تكـاثرت الفرس عليهم حتى كادوا أن يجلوهم عنها. وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنـه فـاغتم لذلك ولم يدر ما يصنع، فقال له عمر بن الخطاب : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي رأي أشير به عليك، فقال : وماذا يا أبا حفص ؟ فقال : خالد بن الوليد قد فتح الله عز وجل على يديه اليمامة وهو مقيم بها مصاهراً .. فاكتب إليه وامره بالمسير إلى العراق حتى يطأ لك الفرس بخيله ورجله .... المثنى بن حارثة وأصحابه فلعل الله

---

(1) كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص25؛ لويس، برنارد، تراث الإسلام، ج1، ص266.

(2) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص15.

(3) الحديثي، محاضرات في التاريخ العربي، ص136.

(4) ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص89.

(5) البلاذري، فتوح، ص242.

تبارك وتعالى يكفيك به أمر الفرس، قال : فقال له أبو بكر رضي الله عنه : هذا لعمري رأي"[1]، والواقع أن السبب القومي القائم على وحدة العرب وإدراكهم لأهمية الوحدة في انتصارهم يتجسد في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للهرمزان : "إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا"[2].

إن العوامل السابقة في حروب التحرير العربية الإسلامية من جهاد ودوافع اقتصادية وضرورة استراتيجية وقومية، تشير إلى خطأ الرأي القائل بأن الإسلام "قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الأنذار والوعيد"[3]، فالقاعدة القرآنية تؤكد أن "لا إكراه في الدين" وتدعو إلى المجادلة بالتي هي أحسن، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان "إذا بعث بعثاً قال : تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت، من مدر ولا وبر، إلاّ أن تأتوني بهم مسلمين، أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم[4]، يؤيد ذلك أن العرب المسلمين لم يفرضوا الإسلام على أهالي البلاد المحررة من معتنقي الأديان الأخرى انسجاماً مع القاعدة القرآنية وإجراءات النبي صلى الله عليه وسلم في ترك نصارى تغلب ويهود وخيبر ومجوس البحرين على أديانهم، والإكتفاء بدفع التزامات مالية نظير الحماية وهو أمر كان يعمل به قبل الإسلام وقبل حروب التحرير.

وهنالك رأي يذهب إلى أن الغرض من حروب التحرير العربية الإسلامية، كان يستهدف رأب الصدع الذي جاء عن الردة عن طريق التوسع إلى الخارج وذلك بإشغال

---

(1) ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص90.

(2) الطبري، تاريخ، ص88؛ الحديثي، محاضرات في التاريخ العربي، ص137-138.

(3) فلوتن، فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ص5-15. ومقابل ذلك يقول لوبون "ولم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها. وبالدعوة وحدها اعتنقت الإسلام الشعوب"، حضارة العرب، ص162.

(4) الشيباني، شرح كتاب السير الكبير، ج1، ص79.

المرتدين بهذه الحروب والسعي لجعل مصالحهم متحدة بمصالح الإسلام[1]، ونـرى أن هناك عدة أسباب تضعف هذا الرأي منها : أن الدعوة إلى الجهاد أسـبق مـن الـردة تاريخياً، وأن تحركات النبي صلى الله عليه وسلم نحو سوريا كانت قبل ذلك منطلقـة من اعتبارات استراتيجية تتعلق بأمن دولة المدينة، كما أن الذين اسهموا فـي حـروب التحرير قبل عام 13هـ/633م لم يكونوا من المرتدين "[2]، استناداً إلى توصية أبي بكر "ولا تستعينوا بمرتد في الجهاد"[3]، ويعزز هذا الرأي أن الخليفة عمر بن الخطاب قـد رفع الحظر عن أهل الردة للمشاركة في الفتوح بعد عام 13هـ/633م إثـر معركـة الجسر[4]، إضافة إلى أن أهل المدن وليس المرتدين البدو، كانوا منظمي حملات الفتوح وقادتها، ويجب أن لا نغفل الفرق بينهم وبين القبائل الرحالة في الدوافع أو فـي قـوة الإيمان والوعي"[5].

إن حركة الفتوح الإسلامية كانت ظاهرة تاريخية كغيرها من الحركـات التـي شهدتها الشعوب قديماً وحديثاً بعد توحدها أو نهضتها وإصلاح أمرها[6]. وقـد اختلـف المؤرخون والباحثون خاصة المستشرقون منهم في تحديد بواعث هذه الحركة فبعضهم ردها إلى عوامل اقتصادية تمثلت في رغبة العرب التمتع بخيرات البلدان المجاورة التي كانوا على علم بها بسبب تجارتهم معها كبلاد الشام والعراق[7]، وبعضهم الآخر يـرى أنها كانت حلا لمشكلات العرب الداخلية الاقتصادية والسياسية التي تمثلت في توجيـه

(1) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص23؛ جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص7.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص347.

(3) حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص305.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص464.

(5) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص14.

(6) الشريف، أحمد إبراهيم، دور الحجاز، ص161.

(7) لويس، العرب في التاريخ، ص75؛ الشريف، دور الحجاز، ص168؛ ارنولـد، الـدعوة إلـى الإسلام، ص46-47.

طاقة العرب المطبوعين على حب القتال بعد حروب الردة والقضاء على المرتدين وما نشأ عنها من قوى عسكرية وقتل أعداد كبيرة من المرتدين، فلو بقي العرب في داخل شبه الجزيرة العربية لأفنوا بعضهم بعضاً، خاصة أن البدو منهم لم تعرف حياتهم الاستقرار. لذا كان الخليفة يخشى من هذا الأمر فاتجه نحو استغلال هذه القوة لصالح الدعوة الإسلامية، فكانت الفتوح في الخارج توحيداً وتماسكاً للعرب في الداخل(1).

أما فيما يخص الرأي الأول الذي يعلل حركة الفتوح بدوافع اقتصادية ويزعم أنهم ما قاموا بهذه الفتوح إلا طمعاً في خيرات البلاد المجاورة فرأي خاطئ لا يؤيده أي دليل، لأن الحقيقة أن العرب اندفعوا في هذه الفتوح بدوافع الإيمان بالدين الإسلامي والجهاد في سبيله وشعورهم بأن عليهم مواصلة هذا الجهاد حتى يصير الدين كله لله. وهذا واضح في قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال : "ان الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ... سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها"، فإنه قال "ليظهره على الدين كله"، والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومن أهله مواريث الأمم"[2] والآية الكريمة تقول : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (3). وفي كل المعارك التي خاضوها والحملات التي قادوها نجد أن الدافع الديني هو الأول بدليل أنهم كانوا يعرضون الاسلام على كل بلد يريدون فتحه ، فإذا قبلوه كانوا أخوة للمسلمين، ومن ثم فلا كسب مالي يرجى في هذه الحالة. أما إذا رفضوا الإسلام فرضت عليهم الجزية لكي تكون حافزاً لهم على أن يتخلوا عن عقائدهم القديمة ويدخلوا في دين أولئك العرب الفاتحين، لأن الجزية في الحقيقة لم تكن مجرد مال يدفع، بل كانت اشعاراً لغير المسلم بأنه أقل من الناحية المعنوية والروحية من المسلم، ومن صالحه لذلك أن يرتفع بنفسه من ذل الجزية إلى حرية الإسلام. فقد قال خالد ابن الوليد في أهل الحيرة أثناء

---

(1) جلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص192؛ فلهاوزن، الدولة العربية، ص23.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص445 .

(3) سورة الأنفال، آية 39.

الفتح : "إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر". فقالوا : "لا حاجة لنا في حربك، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق"[1].

إن المؤرخين، خاصة المستشرقون منهم، لم يكن رأيهم إلا استنتاجاً أقاموه على حالة تمت، ونظروا إليها من خلال ما مضى من تاريخ شبه الجزيرة العربية، ومن خلال ما استقرت عليه الأوضاع بعد الفتوح، فالجزيرة كانت مركزاً لهجرات كثيرة تمت من قبل القبائل نتيجة الاضطرابات الداخلية السياسية منها الإقتصادية، مثلما حدث من هجرات القبائل العربية في الجنوب والتي لم تكن تدفقاً قبلياً وغزواً وإنما كانت حركات اضطرارية بطيئة استقرت على مشارف البادية[2].

أما الرأي الثاني والذي يرى أنها كانت حلا لمشكلات العرب الداخلية، والاقتصادية والسياسية، فهذا يتناقض تماماً والسياسة التي اتبعها الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) تجاه المرتدين، إذ حظر على القبائل التي تمردت ولم تشارك في حركة الفتوح، ولم يرفع عنها الحظر إلا أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). فقد ذكر الطبري أن أبا بكر قال لخالد بن الوليد : "... أن استنفر من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي. فلم يشهد الأيام مرتد"[3]. ثم ذكر الطبري في مكان آخر في كتابه : "فكان أول شيء أحدثه عمر في خلافته مع بيعته بعثه أبا عبيد، ثم بعث أهل نجران، ثم ندب أهل الردة، فأقبلوا سراعاً من كل أوب، فرمى بهم الشام والعراق"[4].

إن الدوافع الحقيقية لحركة الفتوح العربية الإسلامية كانت الرغبة في نشر الإسلام،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص345.

(2) الشريف، دور الحجاز، ص164.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص347.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص448، الشريف، دور الحجاز، ص168.

تنفيذاً لأوامر الله الذي دعا المسلمين لنشر دينه بين الناس كافة، وهذا ما بيناه في أول الموضوع.

ثم الرغبة في استكمال وضع الدولة العربية الطبيعي، فبعد أن أتمت الدولة وحدتها في الداخل، كان لا بد لها أن تستكمل هذه الوحدة بضم كل العنصر العربي المقيم على تخوم شبه الجزيرة، خاصة أن القبائل العربية في العراق والشام كانت وثيقة الصلة بأحداث شبه الجزيرة العربية[1]. ولها الرغبة الأكيدة في تحرير بلادها الواقعة تحت السيطرة والنفوذ الأجنبي كالنفوذ الفارسي والروماني، ودليل ذلك حركة المثنى بن حارثة الشيباني ضد الفرس وطلبه النجدة من الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه). فقد ذكر الطبري أن المثنى قال : "أمرني على من قبلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي، ففعل ذلك، فأقبل فجمع قومه وأخذ يغير بناحية كسكر مرة، وفي أسفل الفرات مرة"[2]. هذه الحركة العربية تمتد جذورها إلى أبعد من ذلك إلى موقعة ذي قار وانتصار العرب على الفرس، أملاً في التخلص من السيطرة الأجنبية على بلادهم، فقد ذكر اليعقوبي بأن كسرى الفرس وجه إلى هانئ بن مسعود الشيباني جيشاً عندما رفض تسليمه ابن النعمان وماله وسلاحه الذي كان قد أودعه النعمان بن المنذر عنده قبل توجهه إلى كسرى ... فذكر "ان اجتمعت ربيعة، وكانت وقعة ذي قار، فهزمت العرب العجم، وكان أول يوم ظفرت به العرب بالعجم، ويروى عن رسول الله أنه قال : هذا يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبي نصروا"[3]. وقد وقعت في السنة الثانية للهجرة بعد وقعة بدر بأربعة أشهر أو خمسة"[4].

ومما سبق، يتضح لنا أن الفتوح الإسلامية كحركة تحرير وتوحيد القبائل العربية

---

(1) الشريف، دور الحجاز، ص166.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص344.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص215.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص46.

في العراق والشام، فالدافع كان قومياً وسياسياً، بجانب الدافع الديني الأقوى[1].

ولهذا كان تجهيز الجيوش وإرسالها خارج الجزيرة في أيام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) استمراراً للسياسة التي رسمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ العام السادس للهجرة والتي تمثلت في إرسال الكتب إلى الأمراء والملوك وغزوتي مؤته وتبوك وتجهيز جيش أسامة كان بينا سابقاً أيضاً.

وهكذا نجد أن حركة الفتوح كانت في أعقاب حركة الردة أو في نهايتها، فقد بدأت ولا زالت حركة المرتدين لم تنته بعد، حيث أمر خالد ابن الوليد بالتوجه إلى العراق وهو لا زال باليمامة[2]. ثم كتب أبو بكر إلى عماله في مكة والطائف واليمن وعرب نجد والحجاز يستحثهم على الجهاد والمساهمة فيه، ويعدهم بما للجهاد من أجر وثواب ويرغبهم بالغنائم والمكاسب الرومية والفارسية. فقد ذكر البلإذري : "لما فرغ أبو بكر (رضي الله عنه) من أمر أهل الردة، رأى توجيه الجيوش إلى الشام، فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب"[3].

وبذلك سيرت الجيوش إلى العراق والشام ولم تشهد بدايتها مساهمة من المرتدين إلا بعد وفاة أبي بكر ومجيء الخليفة عمر بن الخطاب، واستمرت جيوش الإسلام تقاتل وتفتح وتنشر الإسلام في خلافتي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولم تتوقف إلا في خلافة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)؛ بسبب ما رافق عهده من اضطرابات وفتن داخلية، خاصة النزاع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان.

2.3 صلة الردة بالفتوح :

انتهت حروب الردة بتوحيد الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، لتليها خطوة

---

(1) الشريف، دور الحجاز، ص174.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص343.

(3) البلاذري، فتوح، ص128.

جديدة في تاريخ الخلافة هي الاتجاه لنشر سيادة الإسلام خارج الجزيرة العربية. وقـد أثارت حركة الفتوح نقاشاً بين الباحثين الغربيين في تفسير دوافعهما ، فيميل بعـضهم إلى التأكيد على العوامل الإقتصادية والمادية للفتوح، ويمثلهم كايتاني صاحب نظريـة الجفاف التدريجي. فقد أشار في نظريته إلى تدهور الأوضاع الإقتصادية في الجزيـرة العربية لتبدل الأحوال المناخية وتدرجها نحو الجفاف، مما دفع بالقبائل إلى النزوح من الجزيرة القاحلة إلى المناطق الخصبة المجاورة في موجات متتالية يفصل بين الواحـدة والأخرى حوالي الألف سنة[1].

ويميل بعضهم الآخر إلى القول بأن الفتوح كانت وسيلة ناجحـة للـتخلص مـن الفوضى الداخلية التي خلفتها حروب الردة. حيث أوجدت الحروب طاقات نشيطة كمـا أوجدت أحقاداً وضغائن كانت بحاجة إلى مخرج لها، فوجدت في حركـة الفتـوح مـا ساعدها على ذلك. ويؤكدون على أن القبائل وجدت في الفتوح وسيلة جديـدة لاشـباع رغباتها في الغزو والقتال خاصة بعد أن أوقف الإسلام الغزو في الجزيرة العربية ولـم يعد بإمكان القبائل غزو بعضها بعضا [2].

هذا ملخص لما أورده الباحثون الغربيون عن دوافع الفتوح، وهو ما يحتاج إلـى تدقيق. فقد جعل كايتاني نظريته في الجفاف التدريجي أساساً للموجات السامية، واعتبر الفتوح العربية وخروج القبائل فيها آخر موجه من الجزيرة ، ونظريته كانت موضـوع نقاش ولم نجد من البينات ما يسندها بدرجة مقبولة، إذ لم يتوفر ما يدل على تحـولات مناخية في العصور التاريخية، كما أن تقلص نطاق الزراعة على أطـراف الباديـة أو توسعه كان يعتمد على جهود أهل المنطقة وإمكانياتهم ومدى الاستقرار والأمن لا على

(1) حتي، تاريخ العرب، ج1، ص3، 195-197؛ العلي، الفتوحات الإسلامية، ص49؛ الـشريف، دور الحجاز، ص161.

(2) حتي، تاريخ العرب، ص197؛ لوبون، حضارة العرب، ص139؛ العلي، الفتوحات الإسلامية، ص48-50؛ الشريف، دور الحجاز، ص168؛ ارنولد، الـدعوة إلـى الإسـلام، ص46-47؛ جلوب، الفتوحات العربية، ص192.

تبدلات مناخية تذكر. بل إن الاتجاه هو نمو صراع مستمر بين البادية والحاضرة نتيجة تزايد سكان البادية وعدم كفاية مواردها ، إذ أن ضغط البادية مستمر على الأراضـي الزراعية، وهذا قد يؤدي إلى تسلل سلمي محدود في الظروف العادية، فإذا ضعفت قوى الدول المجاورة اندفعت الهجرة على نطاق واسع وأدت إلى غلبة القبائل على الريـف المجاور، وبالتالي إلى تحولات بشرية وسياسية. وهذا يعني أن الهجرات الواسعة إلـى الأراضي الزراعية لا يحددها تحول الجو بل تغير الأوضـاع الـسياسية فـي الـبلاد المجاورة إضافة إلى التكاثر الطبيعي لأهل البوادي. هذا وتوجد إشارات عن هجـرات عربية تتمشى وهذا المفهوم ولم تكن بدافع الجفاف[1]. وهذا الاتجـاه لا ينفـي وجـود العامل الإقتصادي ودوره في الفتوح إلى جانب العوامل الأخرى ، فالحاجة إلى المرعى والمكاسب، مع وجود الأراضي الخصبة المحيطة بهم، ربما شكلت جميعهـا عوامـل إغراء دفعت العديد من اعراب القبائل للمشاركة في الفتوح. وقد أشار البلاذري إلى أن الناس اندفعوا للمشاركة "من بين محتسب وطامع"[2].

أما القول بأن حركة الفتوح كانت ضرورة اجبرتهم عليها نتائج حـروب الـردة لتناسي الأحقاد، والتخلص من الطاقات النشيطة ففيه نظر، لأن الخطـوة الأولـى فـي التوسع الإسلامي بدأت في حروب الردة ، إذ شملت إخضاع من خرج علـى سـلطان المدينة وتحدى الحركة الإسلامية، ونشر الإسلام وسيادته في الأجزاء الأخرى، فلما تم توحيد الجزيرة انطلق العرب إلى خارج الجزيرة العربية لتحقيق الخطوة التاليـة فـي التوسع.

أما الطاقات القائدة والموجهة، فهي طاقات مجتمع المدينة (المهاجرين والأنصار) الذين قادوا الجيوش الإسلامية لمتابعة حركة التوسع، وهم بالتأكيد يختلفون في دوافعهم

(1) كاتبي، غيداء عادل، الردة، ص166؛ العلي، الفتوحات الإسلامية، ص48-53؛ أحمد الشريف، دور الحجاز، ص161، 168؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسـلام، ص46-47؛ جلـوب، الفتوحـات العربية الكبرى، ص192.

(2) البلاذري، فتوح، ص107.

عن دوافع القبائل، ولقد كان الخليفة دقيقاً بملاحظة رغبة القبائل في الحصول على الغنائم، فأشار إلى ذلك في كتابه إليهم يحثهم على الجهاد[1]، ويبدو ذلك مختلفاً عن كتابه الذي وجهه إلى أهل المدن حيث دعاهم فيه إلى الجهاد دون أي إشارة إلى الغنائم[2]، وهكذا يؤكد على اختلاف دوافع الخروج للفتوح بين القبائل وأهل المدن ، ومن جهة أخرى فإن الخليفة الأول لم يسمح باشتراك المرتدين في الفتوح[3]، واقتصر على المسلمين الأولين، ولكن حين هدأت الأحوال في الجزيرة، وتوسعت الجهات واستدعت الضرورة مشاركة المرتدين، سمح لهم الخليفة الثاني بالأنضمام إلى القوات الإسلامية الموجهة خارج الجزيرة العربية، مع بقاء الرئاسات للمهاجرين والأنصار ولبعض التابعين.

وتبدو حركة التوسع خارج الجزيرة من الأمور الهامة التي وجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، ثم تابعها من بعده الخليفة أبو بكر. إذ كان من أهم أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم نشر الدعوة الإسلامية في الجزيرة وخارجها إيماناً منه بعالمية الرسالة، وقد شغل هذا الأمر تفكير الرسول صلى الله عليه وسلم حتى في أشد المواقف رهبة ويأساً[4]. وكان التطبيق العملي الأول لذلك قد بدأ عن طريق ارساله الكتب إلى ملوك وأمراء القوى الكبيرة حول الجزيرة العربية، يدعوهم فيها إلى الإسلام، فأرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم[5]، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ابرويز ملك فارس[6]، وعمرو بن أمية الضمري إلى

---

(1) الأزدي، يزيد بن محمد بن اياس بن قاسم (ت 334هـ)، فتوح الشام، ص8-9.

(2) الواقدي، فتوح، ج1، ص7.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص346-347.

(4) ابن اسحاق، محمد بن اسحق بن يسار (ت 151هـ)، السيرة، ج3، ص219.

(5) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمر (ت 245هـ)، المحبر، ص75؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج3، ص246.

(6) أبو البقاء، المناقب المزيدية، ج1، ص51.

النجاشي ملك الحبشة(1)، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صـاحب اليمامة(2)، وشجاع بن وهب الأسدي إلى جبلة بن الأيهم الغساني(3)، وحاطب بن أبـي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط(4)، كما أرسل الحارث بن عميـر الأزدي إلـى أميـر بصرى فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله ولم يقتل للرسول صلى الله عليـه وسلم رسول غيره(5)، فاشتد ذلك عليه وقام بتجهيز حملة عسكرية إلـى مؤتـة سـنة 8هـ/628م ومن هنا بدأ التعرض لجبهة الشام وعهد بقيادتها إلى زيد بن الحارثة، فإن قتل أو أصيب فعلى الناس جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة(6)، وطلب منهم أن يدعو أهل مؤتة إلى أحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو الحـرب(7). واعتبـرت هذه الشروط بمثابة قواعد عامة التزم الخلفاء بتطبيقها في الفتوحات التالية. وكانت حملة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في سنة 9هـ/629م هي حملته الثانية باتجاه الشام(8)، وعلى الرغم من أنه لم يلق كيداً إلا أنه استطاع أن يحقق نـصراً سياسـياً إذ جاءته وفود من اذرح، وأيله، وجرباء فصالحته على الجزية اقراراً منها بسيادته(9).

وجهز الرسول صلى الله عليه وسلم في سنة 11هـ/631م جيش أسامة وأمـره أن يطأ بخيله تخوم البلقاء والداروم في فلسطين(10). ويبدو من وصية الرسول صـلى الله عليه وسلم إلى أسامة، أن القوة المرسلة كانت قوة ضاربة وليست قوة فاتحـة، إذ

---

(1) الحلبي، السيرة الحلبية، ج3، ص248.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج1، ق2، ص18؛ ابن حبيب، المحبر، ص76-77.

(3) ابن حبيب، المحبر، ص76.

(4) المسعودي، تنبيه، ص225-227.

(5) الواقدي، مغازي، ج3، ص755.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص36-39.

(7) الواقدي، مغازي، ج2، ص757.

(8) ابن اسحاق، السيرة، ج2، ص515-516.

(9) ابن اسحاق، السيرة ج4، ص525.

(10) ابن اسحاق، السيرة، ج4، ص641-642.

أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بالإغارة على أبني ثم العودة سريعاً إلى المدينـة، وحذره من البقاء في ديارهم إن نجح في مهمته، كما حذّره من مـواجهتهم لبأسـهم[1]. وهذا يشعر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تمكن أثناء وجوده في تبوك من التعرف الى أحوال القبائل الموالية للروم. وحدث أن توفى الرسول صـلى الله عليـه وسـلم والجيش في المدينة لم ينطلق لأداء مهمته بعد، فلما تولى أبو بكر الأمر، قرر أن يتابع ما بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أصر على إرسال جيش أسامة وهو القوة العسكرية الضاربة في المدينة، إلى بلاد الشام رغم ظهور بوادر الأنشقاق فـي مواقـع متعددة من الجزيرة العربية[2]. فحققت الحملة أهدافها، ونجحت فـي تـأمين الحـدود الشمالية للدولة الإسلامية، وكان من المنتظر أن تستمر هذه المناوشات بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الخليفة وقد جوْبه بالتحدي ارتأى توحيد الجزيرة العربيـة في بادئ الأمر ثم العمل على متابعة الفتوح في الخارج ، ومن هـذا المنطلـق واجـه الخليفة المرتدين في الجزيرة العربية ثم وجه قواده إلى بلاد الشام في النصف الثاني من سنة 12هـ/632م[3] ، وهم يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ثم اتبعهم بأبي عبيدة في صفر سنة 13هـ/633م[4].

وكان أبو بكر رضي الله عنه خطب في المسلمين ليعلمهم بقراره ويحثهم علـى التجهز لغزو الروم[5]. فلاقى قراره تأييداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسـلم [6]، في حين لم يكن له وقع سريع على عامة الناس، لما يعلمونه من قوة الروم وكثـرة

(1) ابن سعد، الطبقات، ج2، ق1، ص136.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص65؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص225.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص387.

(4) البلاذري، فتوح، ص107-108؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص405.

(5) الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت 634هـ)، الاكتفاء، ج3، ص335-336.

(6) الواقدي، فتوح، ج1، ص1.

عددهم[1]، مما دفع الخليفة إلى إعلان الجهاد في أنحاء الجزيرة العربية فكتب إلى أهل اليمن[2]، ومكة والطائف[3] ، وما أن وصل كتاب الخليفة إلى القبائل اليمنية حتى بدأت بالتوافد إلى المدينة، حيث قدمت أولاً حمير ومعها ذو الكلاع[4]، ثم مذحج ومعها قـيس بن مكشوح المرادي، والحجاج بن عبد يغوث الزبيدي[5]، وجاء حابس بن سعد الطائي ومعه أعداد كثيرة من طيء وازد الدوس وكان معهم عمرو بن جنـدب بـن حمامـه الدوسي وأبو هريرة، وبني كنانة وعبس[6]. وقد انطلقت هذه المجموعات تحـت قيـادة الألوية الثلاثة في النصف الثاني من سنة 12هـ/632م . وشاركت قبائل أخـرى فـي الفتوح ولكن جاءت مشاركتها متأخرة إلى حد ما، إذ انطلقت تحـت قيـادة رؤسـاءها المحليين إلى بلاد الشام للحاق بالقوات الإسلامية هناك، ومن هذه القبائل : طيء برئاسة ملحان بن زياد الطائي[7]، وخثعم برئاسة ابن ذي السهم الخثعمي، وعـك[8]، وهمـدان برئاسة ضمرة بن مالك الهمداني[9]، بالإضافة إلى مجموعات من بني سـليم وكعـب وأسلم وغفار ومزينة[10]، ومجموعات أخرى من أهل مكة والطائف[11].

واختلف الوضع في العراق بعض الشيء عنه في بلاد الشام لاختلاف الظـروف، مع مراعاة الخطوط العامة التي رسمها أبو بكر في جبهة بلاد الـشام، لتنفيـذ عمليـة

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص133؛ الأزدي، فتوح، ص5.
(2) الأزدي، تاريخ فتوح، ص8-9.
(3) الواقدي، فتوح، ص7.
(4) المصدر نفسه، ص7.
(5) المصدر نفسه، ص3.
(6) المصدر نفسه، فتوح، ص3؛ الأزدي، فتوح، ص16.
(7) الأزدي، فتوح، ص24-25.
(8) المصدر نفسه، ص25-26.
(9) المصدر نفسه، ص39-41.
(10) المصدر نفسه، ص42-43.
(11) الواقدي، فتوح، ص7-8.

الفتوح، إذ لجأ المثنى بن حارثة الشيباني إلى الخليفة ليعرض عليه رغبته في الإغـارة على بلاد فارس قائلاً : "أمرني على من قبلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس واكفيك ناحيتي"[1]، فأقره على ذلك. إلا أن انشغاله بتوحيد الجزيرة العربية وعدم توفر الإمكانيات، لم تمكنه من التركيز على العراق، فاكتفى بإقرار المثنى في خطه. ووجـه خالد بن الوليد في بداية سنة 12هـ/632م مع 2000 من المهاجرين والأنصار إلـى العراق لتولي القيادة[2] ، ولعل هذا يشعر بأن البداية فـي جبهـة العـراق ذات صـلة بالغارات القبلية، ولكن لا بد من التمييز بين هذه الغارات القبلية العابرة وهي شـيء مألوف وبين التوسع الإسلامي في إطار فكرة الجهاد وبإشراف المركز (المدينة).

وكانت أوامر الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ، قد نصت آنذاك على منع المرتدين من المشاركة في الفتوح واكتفى بتوجيه من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم [3]، أما الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب رضـي الله عنه فقد سمح باشتراك المرتدين في الفتوح عندما استدعت الـضرورة ذلـك[4] ، ويبدو أن المتطوعين لم يكونوا يرغبون في التوجه إلى العراق خوفاً من الفرس، وربما لعدم معرفتهم بالجبهة ويرغبون بالتوجه إلى بلاد الشام وكان الخليفة يدرك ذلك، ولعل هذا جعله يؤمر على القوة التي أرسلها رجلاً لم يكـن مـن المهـاجرين الأولـين أو الأنصار، وهو أبو عبيدة بن مسعود، لسبقه في تلبية النداء[5].

واهتم الخليفة عمر، بجبهة العراق بعد هزيمة المسلمين في معركة الجـسر سـنة 13هـ، وأخذ يعمل على إمدادها بالمقاتلة، فكان أول من وجهه قبائل بجيلـة برئاسـة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص344.
(2) أبو يوسف، الخراج، ص152-153؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص347.
(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص346-347.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص448.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص444-446.

جرير بن عبد الله البجلي[1]. وسبعمائة رجل من كنانة والأزد برئاسة غالب بن عبد الله وعرفجة بن هرثمة[2]. وأمر عبد الله بن ذي السهمي على أناس من خثعم، وهلال بـن علفة التميمي على من اجتمع إليه من الرباب، وابن المثنى الجشمي على من اجتمع إليه من بني سعد[3]، والحصين بن معبد بن زرارة على ألف من تميم[4]، وربعي على بنـي حنظلة ومن بعده ابنه شبث، وربعي بن عامر بن حالد العنود على مجموعة مـن بنـي عمرو[5]. ثم جاءت ضبة فجعلهم الخليفة فرقتين عين على احداهما ابن الهوبر وعلـى الأخرى المنذر بن حسان[6]، كما جاءت عبد القيس فعين عليهم قـرط بـن جمـاح[7]. ويلاحظ في جبهة العراق انضمام بعض القبائل العربية إلى الفاتحين لأمرين : أولهمـا للاغراءات المادية، وثانيهما الشعور بالكراهية تجاه الفرس الـوثنيين. فقـد شـاركت مجموعة من النمر وتغلب في وقعة البويب التي انتهت بهزيمة الفرس وبمقتل قائـدهم مهران الهمذاني وذلك في سنة 14هـ/633م [8].

وانضمت قبائل أخرى من اليمن وحضرموت إلى المقاتلين في العراق، فكانـت بارق والمع وغامد في 700[9]، والنخع في 1250، وقد أصرت النخع في بادئ الأمـر على التوجه إلى الشام وكانت أعدادهم 2500 مقاتل، فأبى الخليفة إلا العراق ثم سـمح

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص460؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص441.

(2) الدينوري، الأخبار، ص114؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص463.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص464.

(4) الدينوري، الأخبار، ص114.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص464.

(6) الطبري ، تاريخ ، ج3،ص464 .

(7) المصدر نفسه، ج3،ص464 .

(8) الدينوري، الأخبار، ص114؛ الـبلاذري، فتـوح، ص253-255؛ الطبـري، تـاريخ، ج3، ص464؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص442.

(9) الطبري، تاريخ، ج3، ص484.

لنصفهم فأرسلهم إلى العراق ووجه النصف الآخر نحو الشام[1]. ومـذحج فـي 1300 وعليهم ثلاثة رؤساء : عمرو بن معد يكرب وأبو سهرة بن ذؤيب ويزيد بن الحـارث الصدائي، وكنده في 400 برئاسة الحصين بن نمير السكوني، وحضر موت والـصدف في 600 عليهم شداد بن ضمعج[2]. ولقد أبلى في معارك العـراق كـلا مـن طليحـة الأسدي[3]، وعمر بن معد يكرب المرادى[4]، وقيس بن مكشوح المرادى[5]، والأشـعث بن قيس السكوني[6]. وهم قادة الحركات التي قامت في نجد والـيمن وحـضر مـوت للأنفصال عن المدينة. هكذا شارك أهل الردة، بعد استقرار أوضاع الجزيـرة ونتيجـة الحاجة مشاركة واسعة في جبهة العراق، في حين اعتمدت جبهة الشام على القبائل التي ثبتت على إسلامها وولائها للمدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ أيضاً أن جل المقاتلة في جبهة الشام كانوا من قبائل مستقرة ومـن أهـل المدن، بينما شكلت القبائل البدوية وشبه المستقرة نسبة عالية من المقاتلـة فـي جبهـة العراق.

وبعد هذا يتعذر فصل حركات الردة عن حركات الفتوح؛ لأنها تسير في خط واحد ولم تكن الثانية نتيجة للأولى. ويجدر أن يذكر أن الصراع مع أهل الردة بدأ قبل وفـاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمر بعد وفاته على نطاق واسع، وأن أبا بكر دعـا في خطابه الأول إلى الجهاد كهدف أول للأمة ، إلا أنه في الوقت الـذي انتهـت فيـه حركات الردة بإسلام الجزيرة وإنهاء الوثنية فيها، أو توحيد القبائل في الإسـلام، فـإن حركة الفتوح انتهت في حينه بنشر لواء الإسلام.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص484.
(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص484-485.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص512-515.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص513-515.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص515.
(6) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص471.

تمكنت المدينة بعد الردة من توحيد العرب، بدو وحضر في الإسلام، ومن توجيههم في قضية مشتركة هي الجهاد، ومن تهيئة القاعدة البشرية اللازمة للتوسع شرقاً وغرباً.

3.3 فكرة فتح العراق :

كان للعرب صلات مع العراق قبل الفتح، إذ كانوا يغيرون على أطرافه أو يفدون إليه للتجارة أو للإقامة، وكان بعضهم مستقراً في البلاد كما هو شأن عرب الحيرة وعين التمر والأنبار، وكان بعضهم الآخر ينتقل في البوادي المطلة على العراق مثل بادية البصرة، وبادية الكوفة، وكان من السهل حفر العيون والآبار في البوادي المطلة على العراق لاستخراج المياه منها وكان وجود المياه والمراعي في البادية، سبب لتحركات القبائل، وكانت القبائل تتنازع أحياناً من أجل السيطرة عليها[1].

وترد إشارات إلى حصول هجرات لبعض القبائل العربية نحو العراق مستغلة التخلخل السياسي، وقلة مواردها المعاشية، بالإضافة إلى حدوث سنوات قحط وجفاف داخل الجزيرة العربية وفي البادية التي تقرب من السواد قبيل الفتح العربي[2].

وكانت تقوم علاقات سلمية بين البدو والحضر، تمثلت في قيام بعض الأسواق، وتقوم بعض القبائل بحماية السوق مقابل أجر مادي لعل القول المنسوب إلى رستم قبيل القادسية بشأن العرب "كنا نميرهم ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا، وقد كان لهم في ذلك معاش"[3].

وكانت في بادية البصرة والكوفة وبادية الشام قبيل الفتح العربي للعراق مجموعات من القبائل منها : إياد، وبكر بن وائل، وتميم وتغلب، والنمر وكلب وقضاعة، وبنو أسد، فقد هاجرت قبيلة إياد نحو العراق، واستقرت في الريف بمنطقة الحيرة غرب

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص478.

(2) ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص70.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص400.

الفرات، ما بين كربلاء وبادية البصرة، وكانت تنزل الريف من الخورنق (وهو قصر للنعمان بن المنذر بناه مهندس رومي يدعى سنمار) [1]، والسدير[2] (قصر قريب من قصر الخورنق وسمي بذلك لكثرة سواده وشجره)، وبارق (ماء بالعراق وهو ما بين القادسية والبصرة) [3].

أما بكر بن وائل فكانت منازلها في كاظمة، والنباح وذي قار، وكانت بكر قد امتدت على أطراف الفرات الجنوبية وتنتشر ما بين الحيرة والأنبار، واستمرت في المنطقة في تزايد، حتى تحدت السلطة الساسانية في معركة ذي قار (ما بين 604-610م) فكانت هذه المعركة نقطة انطلاق للقبائل العربية، وظلت غاراتها مستمرة حتى فتح العراق[4].

وكانت قبيلة تميم في بادية البصرة، وهي من أكثر قبائل العرب أحياء، وكان بني يربوع من تميم في بادية الكوفة بوادي العذيب[5].

وأما قبيلة كلب وقضاعة فقد هاجرت جماعات منهما نحو العراق، وورد ذكرهما أثناء الفتوح في نواحي هيت وشمالي الأنبار، وكانت بنو أسد في بادية الكوفة، وبادية الشام، ويبدو أن أعداد قبيلة كلب وقضاعة وبني أسد كانت أعداد محدودة حيث لم يرد ذكر علاقات عدائية بينهما، وذلك لوجودهما في نواحي الجزيرة الفراتية وخصوبة هذه المنطقة، هو السبب في عدم اعتدائها على السواد[6].

نظمت مملكة الحيرة العلاقة مع القبائل العربية ضمن شروط تبادل الأطراف المنفعة، مثل التزام القبائل بعدم الاعتداء على السواد مقابل منح شيوخ القبائل المنح

---

(1) ياقوت، البلدان، ج4، ص256.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص31.

(3) ياقوت، البلدان، ج1، ص255؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص225.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص212، 215.

(5) الاصطخري، المسالك والممالك، ص22.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص385؛ البلاذري، فتوح، ص302؛ الاصطخري، مسالك، ص23؛ جوده، العرب والأرض، ص68.

المادية، والسماح للقبائل بتبادل بضائعها مع أهل الحضر، والرعي على أطراف السواد، وذكر الطبري : "ليكفوا بهم من يليهم من بوادي العرب"(1).

واضطر الفرس إلى استرضاء بكر بن وائل مباشرة دون تدخل ملوك الحيرة فأوكلوا رئاسة مسالح عيون الطف إلى قيس بن مسعود الشيباني رئيس بني شيبان ليمنع خطر القبائل عن السواد ويذكر الطبري : "وكانت بكر تحت كسرى وفارس ... فكانوا يقوونهم ويجيزونهم"(2).

والتحق بسكان الحيرة أفراد أو جماعات من الجزيرة العربية أطلق عليهم الأحلاف، حيث يذكر الطبري : "وكان ناس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث، أو تضيق بهم المعيشة، فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرة"(3).

حكم الساسانيون العراق، وكان الفرس يشكلون الطبقة الحاكمة في البلاد من إداريين وملاكين، واستقرت جماعات منهم في العراق، حيث قاموا ببناء مدينة المدائن، وأصبحت مقر الملوك الساسانيين وأتباعهم(4).

وكان للفرس حاميات على حدود العراق على شكل مسالح كان أهمها في الابلة والخريب، وبانقيا، وأليس ...، ومع قلة إمكانيات الجزيرة وتزايد سكانها وكثافتهم باستمرار، أمام خصب العراق كان سكان الجزيرة على صلة مستمرة مع العراق منذ أقدم العصور، واستمرت هجرة القبائل العربية إلى العراق وإلى البوادي المحيطة به، ويبدو أن هذه الفترة جلبت الكثير من القبائل إلى البوادي واستقر قسم منهم في أطراف الريف كالأنبار وبقية عين التمر والحيرة.

ورأت الدولة الساسانية منذ قيامها خطورة البادية، فقررت إنشاء كيان حاجز بينها

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص195؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص212؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص191.

(2) البلاذري، الفتوح، ص146؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص849؛ جوده، العرب والأرض، ص69.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص42.

(4) الاصطخري، المسالك، ص86؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص219.

وبين أرض السواد من العرب أنفسهم لمواجهة ضغط القبائل واستمرت الصلة بين البادية والسواد على شكل غارات أحياناً، وتغلغل سلمي حيناً وتجارة حيناً آخر، ومن المتوقع أن يرافق إنشاء مملكة الحيرة على مدى تاريخها تغلغل عربي للاستيطان في داخل السواد بشكل سلمي وتكوين ملكيات لهم، وكانت الحيرة نقطة جذب لأفراد وجماعات للاستقرار بها كالأحلاف، وهدفاً يقصده شيوخ القبائل لإقامة العلاقات مع ملوك الحيرة، والتي تعود بالنفع عليهم من النواحي الاجتماعية والاقتصادية، ثم جاءت الحركة الإسلامية لتنظيم هذه القبائل المتواجدة إلى الغرب من الفرات ضمن وحدة وروح معنوية جديدة وأحدة[1].

4.3 المرحلة الأولى من فتوحات العراق :

سار المثنى بن حارثة في مطاردة المرتدين حتى دخل جنوب العراق، وإذا انتهت حروب الردة سار المثنى حتى قدم المدينة على أبي بكر وطلب منه التصريح بعمليات حربية بهذه الجهات فقال له : "أمرني على من قبلي من قومي أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي"[2].

فقبل أبو بكر ذلك ورجع المثنى فجمع قواته وأخذ يغير على أسفل العراق، تارة على نواحي كسكر فيما بين دجلة والفرات وتارة على أسفل الفرات، وكان المثنى ذا نظر حربي ثاقب فحمل فكرة في الأمر. ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر بالمدينة يسأله المدد ويقول : "إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلي وأذل الله المشركين، مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الأعاجم تخافنا وتتقينا"[3]. فما لبث أبو بكر أن نظر إلى موضوع العراق نظرة أخرى، ورسم خطته أن

---

(1) ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص89؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص224؛ العلي، التنظيمات، ص34؛ جوده، العرب والأرض، ص144.

(2) البلاذري، فتوح، ص337؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص308؛ النويري، نهاية الأرب، ج16، ص106.

(3) البلاذري، فتوح، ص337؛ الأزدي، فتوح، ص53؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص309.

يطبق عليه بفكي كماشة بجيشين جيش من أسفله وجيش من أعلاه بحيث يلتقيـان فـي الحيرة.

فكتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة بعد أن فرغ من أمر مسيلمة وبني حنيفة : "أن الله فتح عليك، فسر إلى العراق وابدأ بفرج أهل السند والهند، وهي الابلة حتى تلقى عياضاً وتلقى أهل فارس ومن كان في ملكهم"[1]. وتذكر بعض الروايات أن خالد قـدم المدينة ومنها وجهه أبو بكر إلى العراق[2]، كما كتب إلى عياض بن غنم وهو بالعراض بين النباج والحجاز على بعض قوات حروب الردة "أن سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها ثم أدخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالداً، وإذنا لمـن شـاء بـالرجوع ولا تستفتحاء بمتكاره، ثم استبقا إلى الحيرة، فأيكما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه وإذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فـارس (حـصونها)، وأمنتمـا أن يـؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحدكما ردءاً (عوناً) للمسلمين ولصاحبه بـالحيرة وليقـتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من دارهم ومستقر عزم المدائن، وجالدوهم عما في أيديهم واستعينوا بالله واتقوه وأثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكـم ولا تـؤثروا الـدنيا فتسلبوها واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة، وإيـاكم والإصـرار وتأخير التوبة"[3].

إذن كل من خالد وعياض لمن شاء معهما بالرجوع، فرجع أهل المدينة وما حولها ونقصت قواتهما حتى لم يبق مع خالد إلا ألفان، فكتب كل منهما إلى أبي بكر رضـي الله عنه يطلب المدد، فأمد أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي[4]. وأمد عياضـاً

---

(1) الواقدي، الردة، ص218-219؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص307؛ الأزدي، فتوح، ص54-55؛ غوانمة، انطلاق الفتوح، ص174؛ العقاد، عباس محمـود، عبقريـة خالـد، ص220-221؛ دينيت، الجزية والإسلام ص48.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير (ت 774هـ ـ)، البدايـة والنهايـة، ج6، ص347؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص241.

(3) البلاذري، فتوح، ص337؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص315-316؛ ابن خلدون، تاريخ، ص57.

(4) الطبري، تاريخ، ج2، ص316؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص238.

بعبد بن عوف الحميري، وكتب إليه وإلى خالد : "أن استنفر من قاتل أهل الردة ومـن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يغزون معكم أحد أرتد حتى أرى رأيي"[1]، فلم يشهد هذه المعارك من سبقت له ردة حتى سمح لهم في عهد عمـر بذلك فيما بعد[2].

لما ظهرت توبتهم وحسن إسلامهم، وعلى ألا يتولوا رئاسات، حتى في هذا الوقت الذي يفتقر فيه أبو بكر إلى أعداد من الجند، لم ينسى الهدف من الفتح، وأنه جهاد الدين الحنيف للشرك الوثني الخبيث.

فكان يتخير لجيوشه المسلمين الذين ثبتوا على إسلامهم حين ارتدوا الناس، فلم يسمح لمرتد سابق أن يساهم في الفتح. نزل خالد النباح على رأس ألفين بقوا معه، وكتب إلى المثنى وكان بخفان أن يأتيه، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره بطاعته جاء فيه : "إني قد وليت خالد بن الوليد فكن معه". فجاء المثنى إليه مسرعاً. كما كتب خالد إلى أمراء الجند الآخرين، مذعور بن عدي العجلي، وسلمى بن القين التميمي، وحرملة بن مريطة التميمي أن يلحقوا به، هؤلاء الأمراء الأربعة كان تحت إمرتهم ثمانية آلاف مقاتل ثم حشد خالد ثمانية آلاف أخرى من بينه وبين العراق من ربيعة ومضر، فاكتمل جيشه ثمانية عشر ألفاً كلهم متطوع لم تسبق له ردة، دخل خالد العراق.

وكان الهدف الأول للجيوش الإسلامية أن تبلغ الحيرة عاصمة عرب الضاحية تنزلها وتنفي الفرس عنها وتجعل الطريق بينها وبين الحجاز آمنه، وكانت أول المواقع في العراق هي :

أ- ذات السلاسل

سار خالد نحو الابله، وهي ميناء على شط العرب، وكان أمير الابله من قبل فارس رجلاً يدعى هرمز، وكان من أسوأ أمرائها جواراً للعرب، فكل العرب له كاره حتى ضربوه مثلاً في الخبث والكفر، فكانوا يقولون : "أخبث من هرمز وأكفر من

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص316؛ حميد الله، الوثائق، ص231.

(2) البلاذري، فتوح، ص337؛ ابن خلدون، تاريخ، ص507.

هرمز"[1]، وكان يحارب العرب في البر والهند في البحر، وقبل أن يبرح خالد النباج كتب لـ هرمز رسالة أرسلها إليه مع ازإذبه جاء فيها : "أما بعد فأسلم تسلم واعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"[2]. أراد خالد أن يستوفي ركنين شرعيين، الأول أداء واجب الدعوة قبل الحرب، والثاني إعلأن الحرب في حالة الرفض، كما لا شك أن خالداً كان يهدف إلى أحداث الأثر النفسي بإلقاء الرعب في قلب خصمه بما اشتمل عليه الكتاب من تهديد ووعيد. قسم خالد جنده إلى ثلاث فرق سبقته في خروجه من النباج ولم يحملها على طريق وأحد بل سلكت كل فرقة طريقاً، وكانت المعركة الأولى في طريق خالد معركة ذات السلاسل في الكاظمة أو الكواظم قرب الحفير.

وكان على رأس الفرس هرمز، وسميت ذات الـسلاسل لأن هرمـز وأصـحابه أقترنوا بالسلاسل، ونزل خالد عليهم وقاتلهم فما ارتفع النهار وفـي الأرض مقتـرن، انهزموا وركب المسلمون أكتافهم[3]. وسار خالد بالناس وأثقالهم من خلفهم حتى نـزل بموضع الجسر الأعظم، وتقدم خالد حتى أتى منطقة البصرة، وبها سـويد بـن قطبـة الذهلي في جماعة من قومه ولما رأوا كثرة جيش خالد انكسرت معنوياتهم فقال خالد : "احملوا عليهم فإني أرى هيئة قوم قد ألقى الله في قلوبهم الرعب"[4]. فحملـوا علـيهم فهزمزهم، وكثر القتل فيهم، وغرق طائفة في دجلة[5]. وسبى خالد أولاد المقاتلة الـذين قاتلوه ممن يقوم بأمر الأعاجم[6]، أما الفلاحين فقد نفّذوا ما أمرهم أبو بكر بشأنهم.

---

(1) الأزدي، فتوح، ص58؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص101-104.

(2) حميد الله، الوثائق، ص231؛ ابن أعثم، الفتوح، ص22؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص212-213؛ العقاد، عبقرية خالد، ص226-227.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص239-240؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص212-213؛ فيصل، حركة الفتح، ص63؛ الملاح، هاشم، الوسيط، ص352-353.

(4) البلاذري، فتوح، ص338؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص102.

(5) دحلأن، أحمد زيني ص23؛ أكرم، الجنرال أكرم، سيف الله خالد، ص260-264.

(6) البلاذري، فتوح، ص238؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص219.

ب- المذار أو الثني

كان أردشير قد أمد هرمز بجيش عليه قارن بن قريانس فخرج من المدائن، حتى إذا ما انتهى إلى المذار وبلغه الهزيمة في ذات السلاسل، وانتهت إليه الفلال وتذامروا، اجتمعوا على العود فعسكروا بالمذار، وكتب خالد إلى أبي بكر بإجتماعهم إلى الثنـي، والمغيث والمغاث، والعرب تسمي كل نهر الثنى. وخرج خالد سائرا حتى ينزل المذار على قارن في جموعة، فالتقوا وقتل قارن، وقاتل الفارس لذلك مقتلـه عظيمـة، قيـل ثلاثون ألفاً سوى من غرق، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم، ولولا المياه لأتى علـى آخرهم، ولم يفلت منهم من أفلت إلا عراة وأشباه العراة[1].

جـ- الولجة

بلغ خبر موقعة المذار إلى المدائن فبعث جيشاً يقوده اندرزغر، وكان فارسياً مـن مواليد السواد ومن سكانه القاطنين به، خرج اندرزغر من المدائن حتى أتـى كـسكر جازها إلى الولجة[2]، (وهي في الصحراء خارج كسكر)، كان خالد يتحرك إلى الولجة للقاء اندرزغر وهو يعلم أن جيشاً آخر يقوده جاذويه في طريقه إليه.

نزل خالد على اندرزغر في الولجة ونظر فوجد أن ميدان المعركة أرض منبسطة لا تتخللها مسالك ولا مسطحات مائية، فهي ميدان يسمح بالمناورة، فاقتتلوا قتالاً شـديداً هو أعظم من قتال الثنى، وتمت الغلبة للمسلمين[3].

د- اليس ونهر الدم

أعان نصارى بكر بن وائل من عرب الحيرة المجوس على المسلمين في الولجـة وقتل بعضهم وكان فيمن قتل إثنان من أبناء زعمائهم هما جابر بن بجير وعبد الأسود.

---

(1) البلاذري، فتوح، ص238-239؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص240؛ النويري، نهايـة الأرب، ج19، ص108؛ العقاد، عبقرية خالد، ص226-227.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص240؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص229.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص99-103؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص241؛ العقاد، عبقريـة خالد، ص230.

فلما وقع ذلك غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس وكاتبهم الفرس واجتمع العرب في أليس وعليهم عبد الأسود العجلي ومعهم بعض العجم. وكاتبوا الأعـاجم وكـاتبتهم الأعاجم فاجتمعوا إلى أليس، وكتب أرد شير إلى بهمن جاذويه[1]. وكان مـا زال فـي قسياثا أن يسير بجيشه إلى أليس حتى ينضم إلى من اجتمع بها من العجـم ونـصارى العرب.

وكان تحرك العجم سريعاً، فلم يعلم خالد بقدوم جابان حتى التقى به، واقتتلوا قتالاً شديداً أشد من أي قتال سبق واشتدت مقاومة العجم ومن معهم بمن يتوقعون من قـدوم جاذويه، فصبروا وصمدوا للمسلمين وظل المسلمون يشتدون عليهم حتى شـق علـيهم الأمر[2] فنذر خالد وقال : "اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي مـنهم أحـداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم". وبدأت صفوف جابان تـضعف وتتضعـضع، فانكشفوا للمسلمين ومنحهم الله أكتافهم[3]. وبلغت قتلى العجم وحلفاؤهم في أليس سبعين ألفاً جلهم من امغيشيا وبعث خالد بالخبر إلى أبي بكر وبفتح أليس وبقدر الفيء وعـدة السبي وبما حصل من الأخماس وبأهل البلاء من الناس، وأعجب أبو بكـر بـصرامته وثبات خبرته فأمر له بجارية من ذلك السبي[4].

ذ- امغيشيا

كانت امغيشيا مصراً كبيراً كالحيرة على الفرات. ولم تكن بامغيشيا معركة ولم يقع فيها القتال إنما كانت فيئاً بغير خيل، ذلك أن خالد بعد أن فرغ من معركة أليس أراد ألا يمنح العجم فرصة، ومن مبادئ الحرب المطاردة لمتابعة استغلال النجاح.

وكان من هم مايميز خالد خفة حركته وقدرته على التحرك السريع، فنهض من ألـيس

---

(1) البلاذري، فتوح، ص339؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص313؛ فيصل، حركة الفتح، ص64.

(2) ابن كثير، البداية، ج6، ص350؛ النويري، نهاة الارب، ج19، ص110؛ فيصل، حركة الفتح، ص64-65.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص313-314؛ العقاد، عبقرية خالد، ص230-231.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص99؛ أكرم، سيف الله خالد، ص285-286.

فأتي امغيشيا. وكان كثير من أهلها قد قتل في أليس، قتل منهم حوالي أربعين ألفاً على الأقل، فلما تحرك خالد نحو امغيشيا أعجل أهلها عما فيهـا فهجروهـا وجلـوا عنهـا متفرقين في السواد، وقد تركوا بها جل متاعهم[1]. وأصاب المسنون في امغيشيا ما لـم يصيبوا مثله من قبل، فقد بلغ سهم الفارس 1500 درهم سوى النفل الذي نفلـه أهـل البلاء[2]. وبلغت أخبار امغيشيا إلى أبي بكر فقال: "يا معشر قريش عدا اسـدكم يعنـي (خالد) على الأسد، يعني (فارس) فغلبه على خراذيله (اشلاته). أعجـزت النـساء أن ينشئن مثل خالد؟!"[3].

ر- المقروفم فرات بادقلى:

كان ازاذبه مرزبان الحيرة، وكان نظام الحكم في الدولة نظاماً مركزياً إلى أبعـد حد، والسلطة كلها في المدائن، فلما خرب خالد امغيشيا وعاد أهلها لاجئين لدى دهاقين القرى، علم أزاذبه أنه غير متروك وأن الدور عليه، فقد تبين حينئذ مسار الغزو وتجاه خالد، فأخذ أزاذبه عدته وجمع جنده وتهيأ للحرب ونقلت عيون أزاذبه إليـه أن خالـد يجمع السفن لينقل فيها جيشه ذلك أن خالد لم يشأ أن يعطل زحفه باجتياز أرض امتلأت بالأنهار والبطائح. فجمع السفن في امغيشيا ليحمل عليها مشاته على أن تـسير الخيـل قريباً منها على الأرض. وقدم أزاذبه ابنه على رأس تجريده من الخيـل وأمـره بـسد الفرات حتى يمنع جريان الماء فيه، ثم خرج في أثره حتى عسكر خـارج الحيـره[4]. وحمل خالد مشاته على السفن في فرات بادقلي مع الأنفال والأثقال، فما بدأ مسيره حتى فوجئ بالسفن تجنح في النهر، فارتاع المسلمون لذلك، وأكثرهم لم يركب الـسفن مـن قبل[5]. نتيجة لذلك خرج خالد من فوره في خيل لشن غارة، هدفها إعادة الميـاه إلـى

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص315؛ العقاد، عبقرية خالد، ص231.

(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص315؛ أكرم، سيف الله خالد، ص287.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص315.

(4) الطبري، تاريخ، ج2، ص315، 316؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص103، 104.

(5) الطبري، تاريخ، ج2، ص315، 316؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص103، 104.

مجاريها، اتجه شمالاً بغرب بحذاء فرات بادقلي حتى بلغ المقر عند فم العقيق، فوجد خيلاً من طلائع ابن آزاذبه، وكان طلوع خالد عليهم مفاجأة غير متوقعة، فدهمهم وهم آمنون فأبادهم(1).

ثم لم يتوقف وإنما سار من فوره حتى لا تسبقه الأخبار إلى القوة الأساسية لابن أزاذبه حتى وجدها على فم فرات بادقلى والتحم معهم حتى هزمهم وسد خالد الأنهار وفجر الفرات، فعاد الماء يسلك سبيله، فأرسل إلى أصحابه أن يلحقوا به، وعادت السفن إلى المسيرة، بينما استمر هو بمن معه من الفرسان قاصداً الحيرة(2).

ز- فتح الحيرة :

لحق جيش المسلمين بخاد ومن معه من طلائع، فتقدم بهم خورنق حتى نزل بالموضع الذي كان به أزاذبه وعسكره. وتحصن أهل الحيرة في حصونهم وكانت أربعة، فقسم خالد قواته لحصارها وقتال أهلها وهو من نصارى العرب الموالين للمجوس العجم. فحاصر ضرار بن الأزور الأسدي القصر الأبيض، وحاصر ضرار بن الخطاب الفهري قصر العدسين، وحاصر ضرار بن مطران المزني أحد الأخوة العشرة قصر بني مازن، وحاصر المثنى بن حارثة الشيباني قصر ابن بقيلة(3). وأمر خالد كل أمير أن يدعو أهل الحصن الذي يحاصره إلى وأحدة من ثلاث : "الإسلام أو الجزية أو القتال" وأن يمهلوهم يوماً. وأوصاهم فقال : "لا تمكنوا عدوكم من إذنكم فيتربصوا بكم الدوائر ولكن ناجزوهم، ولا تردوا المسلمين عن قتال عدوهم"(4). وأبى أهل الحيرة أن يقبلوا وأحدة من الثلاث ولجوا فناوشهم المسلمون. فلما انتهت المهلة،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص224؛ فيصل، حركة الفتح، ص65.

(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص315-316؛ ابن كثير، البداية، ج6، ص351؛ أكرم، سيف الله، ص292.

(3) البلاذري، فتوح، ص341؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص319؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص242؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص351؛ فيصل، حركة الفتح، ص65.

(4) الطبري، تاريخ، ج2، 230-231؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص244-245؛ دينت، الجزية، ص48.

نشب القتال مع كل الحصون، وكان أول من أنشبه ضرار بن الأزور مع أهل القـصر الأبيض فدعاهم إلى أحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو القتال فاختاروا القتال. مثل ذلك حدث في الحصون الأخرى. وأدرك أهل الحصون أن لا جدوى من المقأومة واستمرار القتال، وقد جلى الأعاجم وانتسف المسلمون وما حول حـصونهم، فنـادوا المـسلمون وقالوا: "يا معشر العرب قد قبلنا وأحدة من ثلاث فادعوا بنا وكفوا عنا حتـى تبلغـون خالداً"[1]

فأرسل كل أمير إلى خالد ومع كل رجل منهم وثيقة ليصالح عليه أهل الحـصن : بينما ظلوا هم على مواقفهم محاصرين تلك الحصون، ولم يجمعهم خالد وإنما خلا بأهل كل حصن منهم دون الآخرين.

فقال لهم: " أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم فأنتم من المسلمين ، لكم مـا لهم وعليكم ما عليهم إن نهضتم وهاجرتم (جاهدتم) وإن أقمتم في دياركم، فـإن أبيـتم فالجزية، فإن أبيتم فالمنابذة والمناجزة، فقد والله أتيتكم بأقوام هم أحرص على المـوت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم". وقبلوا أن يبقوا علـى ديـنهم ويعطوا الجزية، فصالحوه جميعاً على ما مائة وتسعين ألف درهم وأهدوا له هدايا، وفي رواية أن الجزية كانت تسعين ألف درهم علـى الحيـرة والقريـات (ألـيس وبانقيـا وباروسما) التي صالح عليها ابن صلوبيا. وبعث خالد بالفتح وبالهدايا إلى أبي بكر مـع الهذيل الكأهلي[2]. وقبل أبو بكر الهدايا على أن تحسب من الجزية وكتب إلى خالـد أن يحسب لهم هديتهم من الجزية إلا أن تكون هي من الجزية فعلاً، وكانت الجزية علـى القادرين على القتال، ولا جزية على النساء والصبيان والمسنين. وعلى حسب احوالهم فكانت بين 48 درهماً أو 24 درهماً 12 درهماً في السنة. وقد روى البلإذري أن جزية

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص321؛ الدوري، علم التاريخ، ص294-295.

(2) الواقدي، الردة ونبذة من فتـوح، ص226-228؛ الطبـري، تـاريخ، ج2، ص367؛ قدامـة، الخراج، ص356؛ دينيت، الجزية والإسلام، ص48؛ كاتبي، الخراج، ص76-77؛ الدوري، علم التاريخ، ص284.

الحيرة فرضت على ستة آلاف رجل[1].

حـ - خالد بن الوليد بعد الحيرة :

انتهى خالد مما وكل إليه بأسرع مما يتوقع أنسأن، بينما أبطأ المطلوب من عياض من كل ما توقع أنسأن، وصمدت له دومة الجندل في أول طريقه إلى المصيخ فلم يفتحها. وكان على خالد قبل أن يمضي في فتح فارس أن ينظر أين انتهى بعياض بن غنم سيره إذ مضى يأتي العراق من أعلاه، فكان لا بد لخالد أن ينقذه ويعالج عمله، بعد أن استقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السواد، وبعد أو وزع العمال والمسالح عزم خالد على أن يقوم بنفسه بعمل عياض، استخلف خالد على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي[2].

ط- موقعة الأنبار:

خرج خالد من كربلاء نحو الأنبار على الشاطئ الشرقي للفرات، ثم أقبل خالد، فأطاف بالخندق وأسرع فأنشب القتال، وكان دائماً سريعاً إليه قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به، تقدم خالد إلى رماته فأوصاهم.

وقال لهم : "إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم لا توافوا غيرها فارموها رشقاً ثم تابعوا"[3]. جاء خالد على أضيق مكان بالخندق وأتى برزايا الجيش من الإبل العجاف فنحرها ثم رما بها فملأه. وصنع منها جسوراً اقتحم عليها الخندق واجتمع المسلمون وأعداءهم في الخندق وانحاز القوم إلى حصنهم فأرسل شيرازاد إلى خالد بقبول شروطه في الصلح على أن يخليه ويبلغه مأمنه في تجريده خيل ليس معهم من المتاع والأموال شيء وقبل خالد[4].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص342؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص353؛ دينيت، الجزية، ص48-49.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص16-107؛ غوانمة، انطلاق الفتوح، ص175.

(3) البلاذري، فتوح، ص 334؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص245.

(4) الطبري، تاريخ، ج2، ص322-323؛ ابن خلدون، تاريخ، ص511-512؛ فيصل، حركة الفتح، ص66.

وصالح خالد من حول الأنبار وبدأ بأهل البوازيج، كما بعث إليه أهل كلواذي على الشاطئ الشرقي لدجلة ليعقد لهم ذمة، فكاتبهم وكانوا عيبته من وراء دجلة[1]. هذا وقـد نقض أهل الأنبار وما حولها عهدهم بعد ذلك فيما كان يحدث بين المسلمين والمجـوس من تداول السيطرة مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء على تلك المناطق[2].

ك- عين التمر :

لما فرغ خالد من الأنبار واستتب له الأمر فيها وفيمـا حولهـا اسـتخلف عليهـا الزبرقان بن بدر التميمي ثم اتجه نحو عين التمر، وهي حصن في الصحراء اجتمع به مهران بن بهرام في جمع كبير من العجم وعقة بن أبي عقة بقي مهران مع الأعاجم في الحصن بعين التمر وتقدم عقة بالعرب فنزل لخالد على طريق الكرخ، وقدم خالد فوجد عقة على تعبئة، فعبأ جنده وقال لمجنبتيه، اكفوني ما عنده فإني حامل عليه ووكل بنفسه حماه يحمون ظهره ثم نظر فوجد عقة يقيم صفوفه وتقدم له خالد ثم فاجأه بما يكن فـي حسبانه لم يبارزه ولم يقاتله وإنما هجم عليه فاحتضنه ثم حمله وعاد به أسيراً[3]. ولـم يفاجأ عقة وحده بل فوجئت جميع قواته فولت الأدبار فهزمه من غير قتال وبذلك فشلت خطة مهران فقد تبدد العرب الموالون له وانتصر المسلمون ولم يفقـدوا وأحـداً مـن جنودهم.

وجاءت هذه الأخبار إلى مهران في حصنه أثرت فـي معنوياتـه فـأثر الهـرب وانسحب في جنده تاركين حصن عين التمر[4].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص323؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص323؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص245؛ النويري، نهاية الارب، ج19، ص112.

(2) البلاذري، فتوح، ص323؛ النويري، نهاية الارب، ج19، ص112.

(3) البلاذري، فتوح، ص323؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص323؛ ابن الثير، الكامل، ج2، ص245؛ العقاد، عبقرية خالد، ص239.

(4) البلاذري، فتوح، ص349؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص324؛ فيـصل، حركـة الفـتح، ص67؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص290-291.

ل- فتح دومة الجندل :

فرغ خالد من عين التمر فاستخلف عليها عويم بن الكاهل الأسلمي. وخـرج فـي تعبئته التي كان عليها وعلى مقدمته الأقرع بن حابس التميمي، وسبقت الأخبار خالـد فعلم أهل الدومة أنه يسير إليهم وكان لدومة الجندل أهمية كبرى تحـتم العمـل علـى الاستيلاء عليها، فقد كانت جزيرة العرب تقع إلى جنوبها في حـين كـان للمـسلمين جيوش في العراق والشام وكانت دومة الجندل عند ملتقى الطرق إلى الجهات الثلاث.(1)

ولما اطمأن خالد من رحلته خرج أهل دومة الجندل وحلفاؤهم لقتـال المـسلمين وزحف الجودي ووديعة نحو خالد بينما زحف الحدرجان وابن الأيهـم إلـى عيـاض، واقتتلوا جميعاً وانتصر خالد على الجودي، وأخذه فأسره كذلك أخذ الأقرع بن حـابس وديعة ولجأت سائر كلاب إلى الحصن فدخله بعضهم حتى امتلأت بهم ، ثم لم يحتمـل الباقين فأغلق من في داخل الحصن أبوابه دونهم بخارجه فبقوا بالعراء، وأقبلت سيوف المسلمين تحصدهم(2).

وفرغ خالد ممن كان خارج الحصن، وواصل هجومه على بابـه حتـى اقتلعـه واقتحمه على من فيه فقتلوا المقاتلين وسبوا الشرخ (لشباب) ثم اقام مزاداً علنياً لبـيعهم لمن يزيد فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت مشهورة بجمالها موصوفة به، ثم رد خالـد الأقرع بن حابس إلى مقدمة العراق بينما أقام هو في دومة الجندل اياماً قبل أن يرجـع إلى الحيرة وفي عزمه وقد فرغ من عمل عياض كله أن يزحف إلى المدائن(3).

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص325؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص247؛ النـويري، نهايـة الارب، ج19، ص114-115؛ كمال، الطريق إلى المدائن، 305.

(2) البلاذري، فتوح، ص152؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص235-236؛ ابن الأثيـر، الكامـل، ج2، ص248.

(3) ابن الأثيرن الكامل، ج2، ص248؛ ابن كثير، البداية، ج6، ص355؛ أكرم، سـيف الله خالـد، ص314-315.

م- حصيد :

لما رأى القعقاع أن رزمهر وروزبه لا يتحركان سار نحو حـصيد، ولمـا رأى روزبه أن القعقاع قاصدا إليه استغاث برزمهر فأمده بنفسه، والتقوا في الحصيد فاقتتلوا وانتصر المسلمون وقتلوا من المجوس عدداً كبيراً لم تحدده المصادر.

وقتل القعقاع رزمهر وروزبه وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيـرة ولجـأت فلول حصيد إلى الخنافس فاجتمعوا مع من بها[1].

ن- الخنافس :

كان عروة بن الجعد االبارقي قد سيره القعقاع إلى الخنافس قبل رجوع خالد إلـى الحيرة، فلما رجع خالد أرسل إليها أبا ليلى بن فدكي وسار أبو ليلى ومن معه وقدم نحو الخنافس وقد لجأت إليه فلول حصيد وكان لوصولهم إلى الخنافس أثـر سـيء علـى نفسيات من بها فملكهم الرعب حتى أنهم خرجوا فراراً إلى المصيخ وبه الهـذيل بـن عمران ودخل أبو ليلى الخنافس دون قتال وبعث المسلمون إلى خالد في عـين التمـر بخبر حصيد وخبر الخنافس[2].

هـ- المصيخ :

ما أن بلغ خالد خبر ما كان بالحصيد والخنافس حتى رسم خطته وكتب بها إليهم، فحدد موعداً لهم جميعاً، القعقاع بن عمرو وأبو ليلى بن فدكي وعروة بن الجعـد، فـي ساعة معينة من ليلة محدودة يجتمعون فيها إلى المصيخ[3]، وفي الساعة المحددة مـن الليلة المقررة اجتمع المسلمون حول المصيخ، ولم يشعر بهم أهلها.

واتفقوا جميعاً ثم أغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فأمعنوا

---

(1) البلاذري، فتوح، ص152؛ الطبري، تارخ، ج2، ص326-327.

(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص326؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص248.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص326؛ ابن الأير، الكامـل، ج2، ص248؛ ابـن خلـدون، تـاريخ، ص513.

القتل. وأفلت الهذيل في قلة منهم(1). وأصاب جرير بن عبد الله يوم المصيخ من بنـي النمر، عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة، كما أصيب لبيد بن جريـر، وكانا قد أسلما ومعهما من أبي بكر كتاب بإسلامهم.

وبلغ أبا بكر قول عبد العزى وعلم بمصابه ومصاب لبيد، فحزن عليهمـا ودفـع ديتهما وقال : "أما إن ذلك ليس علي إنزلا أهل الحرب، كذلك يلقى مـن سـاكن أهـل الحرب في ديارهم" وأوصى بأولادهما(2).

و- الثني والزميل :

حين نزل الهذيل بالمصيخ نزل ربيعة بن بجير التغلبي بالثني والزميـل، وذلـك غضباً لمصرع عقة في عين التمر، وكان ربيعة بن هذيل على اتفـاق ومكاتبـة مـع روزبه وزومهر، فلما هزم خالد أهل المصيخ قدم القعقاع بن عمرو وأبو ليلى بن فدكي، فارتحل أمامه وواعدهم اليلة ليفترقوا فيها للغارة على أهل الثني من ثلاثة أوجـه كمـا فعل بأهل المصيخ(3).

وخرج خالد من المصيخ فقطع المسافة على أربعة منازل، وبدأ خالد بالثني فأجتمع حولهما مع أصحابه، ثم لقوا الغارة من ثلاث جهات وجردوا السيوف على من وجـدوه فلم يفلت منهم أحد، وسبى خالد الشرخ (الشباب) وبعث بالخمس إلى أبي بكر بالمدينـة مع النعمان بن عوف الشيباني(4).

وبمجرد أن أباد خالد أهل الثني لم يتوان حتى لا تسبقه الأخبار إلى الزميل، وقـد ساعده على ذلك أنه لم يفلت من الثني أحد. وزحف خالد من الثني إلى الزميل، وكـان

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص326-327؛ ابن كثير، البداية، ج6، ص356؛ كمال، الطريـق إلـى المدائن، ص305.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص9-10؛ ابن كثير، البداية، ج6، ص356.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص328؛ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبـي بكـر (ت 751هـ ـ)، المنتظم، ج4، ص109؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص249-250.

(4) الطبري، تاريخ، ج2، ص328؛ ابن الجوزية، المنتظم، ج4، ص109؛ ابن الأثيـر، الكامـل، ج2، ص249-250.

بهما عتاب بن فلأن في جمع كبير، وكان معه الهذيل منذ فر من المصيخ. فشن عليهم الغارة في نفس الليلة التي شن فيها غارته على الثني من ثلاثة أوجه أيضاً، فقتل منهم كثيراً وأصاب وجيشه منهم ما شاؤوا، ثم بعث بالأخماس إلى أبي بكر مع الصباح بن فلأن المزني(1).

ي- الفرائض :

كان إيغال خالد حتى الرضاب توغلا في أرض يحكمها الروم، وفي الفراض اجتمع خالد بباقي قواته التي خلفها اندفاعه نحو الزميل والرضاب، فلما تمت جموع المسلمن بالفراض، ونما علمهم إلى الفرس والروم وعرب تغلب وأياد والنمر بدأ تجمعهم، والظاهر أن الروم هم الذين تبنوا هذه الموقعه.

وتحركوا باتجاه خالد حتى إذا كان الفرات بينهم، هم باتجاه الجزيرة وخالد تجاه صحراء السمأوة(2)، قالوا له : "إما أن تعبر إلينا أو نعبر إليكم، قال خالد : بل اعبروا إلينا"(3).

ولا شك أن عبورهم كان أفضل لخالد حيث ينقطع عليهم خط الرجعة فطلبوا من خالد أن ينتحي حتى يعبروا قال : لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا وكان من الروم والعجم من له إدراك وتمييز للأمور، فقال بعضهم لبعض : "احتسبوا مالكم هذا رجل يقاتل عن دين وعقل وعلم، واله لا ينصرن ولا يخذلن"(4).

ومع ذلك فقد عبروا أسفل من خالد بهذه الروح المشبعة بالهزيمة. ثم التحموا واقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً واجه فيه خالد لأول مرة وآخر مرة قوات مشتركة من العجم والروم والعرب، وبدأت الكفة تميل في غير صاع الحلفاء وبدأوا يتضعضعون وأصدر

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص328؛ النويري، نهاية الأرب، ج19، ص115؛ فيصل، حركة الفتح، ص68.

(2) ابن كثير، البداية، ج6، ص356؛ العقاد، عبقرية خالد، ص245.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص328.

(4) الطبري، تاريخ، ج2، ص328.

خالد أمره : "الحوا عليهم ولا ترفهوا عنهم"[1]. فقتل المسلمون يوم الفراض في المعركة وفي المصادرة بعدها مائة ألف في رواية جميع المؤرخين[2]. ثم إذن خالد في القفل إلى الحيرة، وأظهر هو أنه في الساقية، ولكنه مضى إلى الحج في طريق غير مطروقة متعسفاً البلاد متسمتاً مكة وبعد أن أدى فريضة الحج عاد إلى الحيرة ليلقاه كتاب أبي بكر يأمره بالام[3].

وبعد أن استقام العراق للمسلمين أسفله وأعلاه وأسفل السواد وضفافي الفرات والضفاف الغرية بنوع خاص، وخضعت الحيرة والأنبار، واتصل ما بين الشام والعراق والجزرة في الفراض على رضا من القبائل العربية أو على كره منها، وعلى كره من الفرس لا شك. وعلى رضا من الفلاحين لا شك في ذلك أيضاً[4]. وحسبنا أن نشير هنا إلى أن المرحلة الأولى من مراحل تحرير العراق قد توجت بدخول الحيرة من نحو، وكانت من عمل خالد بن لوليد من نحو آخر في خلافته أبي بكر الصديق.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص328.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص250؛ ابن كثير، البداية، ج6، ص356-357؛ النويري، نهاية الأرب، ج19، ص116.

(3) الطبري، تاريخ، ج2، ص328-329؛ ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد (ت 584هـ)، غزوات، ج1، ص181؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص251.

(4) ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص11؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص329؛ ابن حبيش، غزوات، ج1، ص181-182؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص54.

الفصل الرابع

فتوحات العراق والمشرق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

1.4 إدارة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحركات الفتح

1- اختيار الخليفة عمر رضي الله عنه للقادة:

أ- استهل الخليفة عمر رضي الله عنه خلافته 13هـ-23هـ/634-643م بإدامة قـوة استمرار حروب التحرير التي كانت قد بدأت في عهـد الخليفـة الأول أبـي بكـر الصديق رضي الله عنه، ولقد أقر الخليفة عمر بن الخطاب في أول الأمـر أغلـب القيادات العسكرية التي تم اختيارها في زمن الخليفة أبي بكر الـصديق رضـي الله عنه، وكان هذا طبيعياً لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهض بدور مهـم فـي المساهمة مع الخليفة أبي بكرالصديق رضي الله عنه في سياسـة وإدارة الدولـة[1]، وشارك في اختيار القادة وكان رأيه يمثل أهمية لدى أبي بكر، فهو فضلاً عن كونه يمثل أحد كبار الصحابة[2]، فقد كان يتمتع بخبرة ودراية كبيرتين ومما يدلل علـى ذلك أن أبا بكر الصديق عندما اختار خالد بن سعيد بن العاص أحد القادة المتوجهين لبلاد الشام لم يوافقه عمر رضي الله عنه على هذا الاختيار، قائلاً له "أنـه رجـل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب"[3] فسمح أبو بكر رضي الله عنه لرأيـه وعين مكانه يزيد بن أبي سفيان[4].

ب- مع اتساع نطاق حروب التحرير احتاج الأمر إلى اختيار قيادات عسكرية جديـدة، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضل من تتوافر فيه المزايا الآتية ليؤمره على جيوش المسلمين:

---

(1) الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص2-5، 42؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص227.

(2) الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص7، 49، 54.

(3) البلاذري، فتوح، ص112.

(4) المصدر نفسه.

1- كان عمر يفضل السابقين الأولين من الصحابة على غيرهم، إلا أن يقصر بهم عملهم، فكان يفضل حينذاك من برز بأعماله[1]. فعندما قدم المثنى يطلب مدداً لحراجة موقفه في العراق مما آثر الأنسحاب إلى حدود الصحراء بانتظار الامدادات من المدينة، ندب عمر (رضي الله عنه) الناس مع المثنى فلم ينتدب أحد طيلة ثلاثة ايام "فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود[2]، وسليط بن قيس الأنصاري[3]، وأبو عبيد أول المنتدبين لم يكن من السابقين في الإسلام فضلاً عن أنه كان من ثقيف[4]، لذلك عندما قيل لعمر رضي الله عنه بعد أن اجتمع ذلك البعث ... أمر عليهم رجلاً من سابقي المهاجرين والأنصار قال: لا والله لا أفعل... أولى بالرئاسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء ... فأمر أبا عبيد على الجيش[5]. ولكن مع ذلك فقد أبقى الخليفة عمر رضي الله عنه للصحابة مكانة خاصة، فعلى الرغم من تعيينه لأبي عبيد بن مسعود الثقفي فإنه أوصاه قائلاً: "إسمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر"[6].

2- كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يفضل القائد الذي يكـون شـديد التـروي والاحتراس بعيداً عن الأندفاع والتهور، فعنـدما اسـتجاب سـليط بـن قـيس الأنصاري أول المتطوعين إلى جانب أبي عبيد بن مسعود الثقفي وكـان مـن السابقين في الاسلام[7] اعتذر له عمر عن عدم تأميره قائلاً: "لولا أنـك رجـل

(1) خطاب، محمود شيت، الفاروق، ص45.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص444ز

(3) الدينوري، الاخبار، ص113؛ ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص164.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص315.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص445؛ ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص164.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص445.

(7) الدينوري، الاخبار، ص113.

عجل في الحرب لوليتك هذا الجيش"[1]، "ولكن الحرب زبون لا يصلح لهـا إلا الرجل المكيث"[2].

3- كان الخليفة عمر رضي الله عنه يتطلب في القائد أن يكون ذا خبرة وتجربة في القتال، وأن يمتاز باتساع علاقاته مع الناس، لأن ذلك سـيمكنه مـن الـسيطرة والإدارة الجيدة لجنده، ومن أجل ذلك فإنه بعد أن استشار الـصحابة قـرر أن يختار سعد بن أبي وقاص قائداً لجبهة العراق فقد كانت تتوافر فيه مثـل هـذه الصفات، فهو يمتاز بسابقته في الاسلام وبتجربته العسكرية التي اكتسبها خـلال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم [3] كما أنه يمتاز بأنه مـن رجـال المـدن، فهوينتمي إلى اسرة مكية قديمة[4]، وقد يكون لأجل ذلك استخدمه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه على صدقات هوازن فأقره عمر عليها[5] فهو إذن من الرجال المجربين من قريش، هذا فضلاً عما كان يتمتع به من صـلات قبليـة وعلاقات واسعة في أنحاء شبه الجزيرة العربية الوسطى[6]. ويظهر أثـر ذلـك عندما كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على صـدقات هوازن "بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس فجاءه كتـاب سعد أني قد انتخبت لك ألف فارس"[7]، ولسعة علاقاته تلك استطاع كما يـروي سيف بن عمر وقبيل المباشرة بالمعركة أن ينتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف ... وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضـهم

(1) الدينوري، الاخبار، ص113.
(2) البلاذري، فتوح، ص247.
(3) ابن هشام، سيرة النبي، ج3، ص600-603.
(4) ابن قتيبة، المعارف، ص241.
(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص482
(6) شعبان، محمد عبدالحي، صدر الإسلام، ص41.
(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص483.

بين الحزن والبسيطة[1]، حتى ينقضي الشتاء ويأتيه أمـر عمـر رضـي الله عنه[2].

4- كان الخليفة عمر رضي الله عنه يريد من القائد أن يكون ذا مهـارة وقـدرة عسكرية متميزة وأن يمتلك الكفاءة السياسية والتنظيمية العالية، وأن يبذل جهـده في تحمل المسؤولية، وتتمثل هذه الجوانب في اختياره لعمرو بن العاص لقيـادة جيش تحرير مصر. وقد أكد الخليفة ذلك حينما أرسل كتاباً إلـى عمـرو بـن العاص وهو والٍ على مصر يوضح له سب اختياره قائلاً: وقد كان عندي مـن المهاجرين الأولين من هو خير منك ولكني قلدتك هذا الأمر رجاء عناءك[3]... (أي راجياً جهدك في تحمل الأعباء).

ويلاحظ أن هذاالنهج في اختيار القادة كان امتدادا للنهج الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فمن المعروف أن الرسول (صلى الله عليه وسـلم) كـان يختار القادة الذين خبروا الحروب ومرنوا عليها، وقد قال توضيحاً لهذه الحقيقة: "اني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عينـاً وأبـصر بالحرب"[4]، وقد طبق الرسول هذا كثيراً بخاصة فيما يتعلق بعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، فقد بعث عمر على سرية فيها أبو بكر وعمر وفيهـا "سـراة المهاجرين والأنصار"[5]. فلما وصلوا مكان الحرب نهـاهم أن يوقـدوا نـاراً فغضب عمر فنهاه أبوبكر وأفهمه أن الرسول لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه[6].

وقد كان الخليفة عمر رضي الله عنه يدرك أيضاً أن عمرو بن العـاص كـان

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص486.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص486.

(3) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص140.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص106.

(5) الواقدي، المغازي، ج2، ص770.

(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص106؛ عون، الفن الحربي في الإسلام، 87.

يمتاز فضلاً عن ذلك بأنه يمتلك موهبة سياسية متميزة فقد نهض بدور كبير في سياسة قريش قبل إسلامه، فقد كان أحد أربعة اختارتهم قريش ليستنجدوا بالعرب بدعوتهم إلى نصرهم[1] بعد هزيمتهم في بدر، كما كان يمتاز بمعرفته بـأحوال مصر، وهذا متّن من انتمائه إلى عائلة مهنتها التجارة، وكان أبوه العاص تاجراً قبل الإسلام كشأن قريش، وقد أكدت الروايات التاريخية أن عمرو بن العـاص كان تاجراً .. وكان يختلف بتجارته إلى مصر[2].

5- وكان الخليفة عمر رضي الله عنه إذا اجتمع المسلمون يرفض أن يؤمر شخصاً من أهل الوبر على أهل المدر. وهذا ما نجده واضحاً بعد هجرة المقاتلـة إلـى الأمصار. حيث أصبح حصر زمام القيادات الأساسية بيد (عرب المدن) فيها كما وأصبح يمثل عرفاً عاماً[3]. وهذا هو الذي دفع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن ينتقد والياً له على البصرة عين رجلاً بدوياً نائباً له، فقـد قـال لعتبة بن غزوان: "من استعملت على البصرة قال: مجاشع بن مسعود"[4]، فقال : "أتولى رجلاً من أهل الوبر على ... أهل المدر[5]"، ويقصد: أتستعمل اعرابيـاً على حضري[6].

2- توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للقادة:

كان الخليفة عمر بن الخطاب واضحاً في الإدارة العسكرية وفي توجيهه لقادته في اثناء حروب التحرير[7]، فقد كانت المراسلات مستمرة بينه وبين قادته يسألونه في كثير

---

(1) البلاذري، أنساب الاشراف، ج1، ص 312.

(2) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ)، الولاة وكتاب القضاة، ص706.

(3) الحسو، أحمد عبدالله، الدور القيادي لعرب المدن في نشأة الحضارة العربية الإسلامية، العـدد 32، ص73.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص595.

(5) البلاذري، فتوح، ص334.

(6) خطاب، الفاروق القائد، ص47.

(7) ذنون، عبدالواحد طه، إدارة بلاد الشام في عهد الخليفة عمر، العدد 16، ص286.

من المسائل الحربية، فيوجههم ويحدد لهم الكثير من التفاصيل ولعل أهم الضوابط التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإدارة السياسة العامة للحرب هي:

أ- الالتزام بتوجيهات القيادة: كان الخليفة عمر رضي الله عنه كما سيتبين من رسائله يطلب من قادته الالتزام بتوجيهاته المركزية في كثير من الأمور المتعلقة بالجانب العسكري، ويبدو أن هذا الأسلوب كان ضرورياً بسبب ظروف الدولة، فقد ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحكم وجيوش العرب المسلمين تواجه أخطر امتحان لها في مواجهة القوات البيزنطية والامبراطورية الفارسية، مما يتطلب من القادة الرجوع إلى الخليفة في سياسة الحرب العامة وفي المواقف الحاسمة (كتحرك الجيوش وفتح جبهات جديدة للقتال وتأمير بعض القادة الفرعيين وكيفية توزيع الغنائم) [1]، وهي تتطلب أخذ الموافقة فضلاً عن الرأي والمشورة.

ب- تبادل الرأي والمعلومات: كان الخليفة عمر رضي الله عنه يطالب قادته دائماً باطلاعه على تفاصيل المعلومات عن العدو وتحركاته وعن الأرض التي يقاتلون عليها كي يتمكن من توجيههم التوجيه الملائم. فقبيل معركة القادسية كتب إلى سعد بن أبي وقاص قائده في جبهة العراق قائلاً: "واكتب إلي أين بلغك جمعهم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفه كأني أنظر إليها واجعلني من امركم على الجلية..." [2]، فكتب إليه سعد بن أبي وقاص وصفاً دقيقاً عن طبيعة الأرض لمنطقة القادسية وعن العدو وقائده[3]، فكان جواب

(1) ابن خياط، تاريخ، ص146؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص487-488، 579.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص491؛ العبادي، عبدالحميد، صور من التاريخ الإسلامي، ص81؛ خطاب، الفاروق القائد، ص51.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص492.

الخليفة عمر رضي الله عنه على رسالة سعد قوله: "إلزم مكانك فـلا تبرحـه فإنهم إذا أحسوك انغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي علـى خـيلهم ورجلهـم وحدهم وجدهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتبستم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مـثلهم أبـداً إلا أن يجتمعـوا وليـست معهـم قلوبهم"[1]. وقد جاءت الأحداث والعمليات الحربية ووقعة القادسية ومـا أعقبهـا مصداقاً أكد أهمية وصحة تقدير الخليفة عمر بن الخطـاب رضـي الله عنـه لها[2].

ج- استمرار الاتصالات: لقد أشرنا في بداية حديثنا عـن توجيـه القـادة إلـى أن المراسلات بين الخليفة عمر وقادته كانت مستمرة وبدون انقطـاع، ويبـدو أن الخليفة عمر رضي الله عنه هو الذي أوعز إلى قادتـه بـضرورة الاتـصال المستمر معه ليكون على اطلاع دائم بما يجري في جبهات القتال، وفضلاً عـن ذلك نجد أن ما كان يواجه القادة من ظروف مستجدة وحاجات ملحـة للجـيش كالامداد بالرجال والتموين وما يبرز من مشكلات تحتـاج إلـى أخـذ الـرأي والمشورة والموافقة هي التي حتمت هذا الاستمرار، ولذلك يمكن القول أن تلـك الاتصالات بين الخلافة في المدينة والقادة في جبهات القتال اتسمت بنـوع مـن الأنتظام، فعلى سبيل المثال لم ينقطع الاتصال بين الخليفة عمر وقائده سعد بـن أبي وقاص منذ بدء توجهه إلى العراق. فما أن وصل على منطقـة (زَرودَ) [3] وهي المحطة الأولى في طريقه إلى القادسية حتى نزل بالناس انتظاراً لـ (أمر عمر) [4]. ويحدثنا سيف بن عمر أن الخليفة عمر (رضي الله عنه)كتب إلى سعد

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص491.

(2) العسلي، بسام، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين، ج1، ص23.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص486.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص486.

مرتحلة من زَرودَ[1] يطلب منه أن يوجه أحد رجاله إلى خرج الهنـد لمـشاغلة الفرس هناك واعاقتهم عن إمداد جماعتهم في القادسية[2]، وبعد وصـوله إلـى منطقة شراف وهي المنطقة التي سبقت القادسية كتب سعد إلى الخليفـة عمـر (رضي الله عنه) "بمنزله وبمنازل الناس فيما هو بين غضى إلى الجبانة[3] طالباً منه توجيهاته فيما يجب عليه عمله". فكتب إليه عمر: "إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم... واكتب الي بالذي يستقر عليه أمرهم"[4]. وعندما تأخر على الخليفة ورود الرسل بعد وصول سعد إلى القادسية أرسل إليه ينبهه حول ذلك[5]، وهكذا تتابعت الرسائل بين الخليفة وجبهة العراق وبشكل مستمر[6].

3- المبادئ العامة التي كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يطلب من قادته مراعاتها في الحرب:

أ- الحرص: كان الخليفة عمر يحرص غاية الحرص على مـصائر جيوشـه أفـراداً وجماعات، فقد كان الخليفة عمر رضي الله عنه يوصي قادته بما يأتي:

1- اختيار الأوقات المناسبة للتحرك والقتال:

فعندما بلغه أن أحد المقاتلين قد أصيب نتيجة البرد غضب وأرسل إلى جرير بـن عبدالله البجلي ينبهه قائلاً: "انك خرجت في البرد لكي يقال قد غزا في البرد"[7].

2- التأكيد على قادته بضرورة العناية بالمقاتلين: وعدم ارهاقهم وتخصيص يوم من كل

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص487.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص487-488.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص488.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص488.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص491.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص478.

(7) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص73؛ خطاب، الفاروق القائد، ص52.

أسبوع لراحتهم وترميم سلاحهم واختيار الطرق السهلة لمسيرهم والعمل على اختيـار الأماكن الملائمة والبعيدة عن الخطر لنزولهم. فمن توصياته لقائده على جبهة العـراق سعد بن أبي وقاص في هذا لخصوص "وترفق بالمسلمين في مـسيرهم ولا تجـشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلـة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون اسلحتهم"[(1)]. ومثل ذلك ما قال للنعمان بن مقرن وهو يوجهه إلى نهأوند: "فإن آتاك كتابي هذا فسر... بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم"[(2)]. وعندما بلـغ الخليفـة عمـر رضي الله عنه أن حرقوص بن زهير (كان قد توجه لفتح سوق الأحواز) "نزل جبـل الأحواز والناس يختلفون إليه والجبل كئود يشق على من رامه: فكتب إليه بلغني أنـك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤتى فيه إلا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد"[(3)].

وأول خطاب من الخليفة عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح الـذي اختاره لقيادة جيوش المسلمين في الشام بدلاً من خالد بن الوليـد ينطـوي علـى هـذا المعنى، إذ يقول له: "لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلاً قبـل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ... وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة"[(4)].

2.4 المرحلة الثانية من فتوحات العراق والمشرق:

تمثل الفتوحات في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في العراق بقيادة خالـد بن الوليد المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية التي انطلقت نحو المشرق. وفي عهد عمر بن الخطاب استكملت المرحلة الثانية والتي تمت على خطوات عديدة أهمها:

---

(1) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج1، ص130.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص115.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص78.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص434؛ ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص158.

أ- تأمير أبي عُبيد الثقفي على حرب العراق:

وما أن فرغ عمر رضي الله عنه من دفن أبي بكر حتى دعا الناس إلى التطوع لحرب الفرس مع المثنى بن حارثة، وكان ذلك في آخر الليل، الذي توفي فيه أبو بكر. نادى عمر : "الصلاة جامعة"، فاجتمع الناس، فدعاهم إلى التطوع، ولكنهم تفرقوا على غير إجابة. ثم صلى عمر والمسلمين الفجر، وبايع الناس على الخلافة، وعاد يطلب تطوعهم لحرب العراق. واستمر على ذلك ثلاثة أيام، ولا يتطوع أحد، فقد كان قتال الفرس من أكره الوجوه إلى العرب وأثقلها عليهم، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم[1].

فلما كان اليوم الرابع، بدأت عملية دعاية للتطوع، فقام المثنى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

"ايها الناس. لا يعظمن عليكم هذا الوجه. فإنّا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شِقّي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها"[2].

ثم قام عمر في الناس فقال: " إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة[3]، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين الطراء[4] المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال: "ليظهره على الدين كله" والله مظهر دينه ومعز ناصره، ومولي أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون؟"[5].

وأحدثت هذه الصيحة المؤمنة أثرها، فصاح رجل : "أنا لها" والتفت الناس، فوجدوا أن أول من تطوع، كان أبو عبيد بن مسعود الثقفي. ثم قام سعد بن عبيد

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص444؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص445؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(3) النجعة: طلب الكلأ.

(4) اطرأه: بالغ في مدحه.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص445؛ البلاذري، فتوح، ص252.

الأنصاري، حليف بني فزارة فقال: "أنا لها"، وذلك لفعلة فعلها، أراد أن يتقرب إلى الله ويكفر عنها. ثم كان ثالث من تطوع سليط بن قيس. ثم تتابع الناس على ذلـك، حتـى اجتمع ألف رجل من المدينة وما حولها[1]. أكثرهم من ثقيف قوم أبـي عبيـد، ومـن الأنصار أوسهم وخزرجهم.

اجتمع لعمر ألف من المتطوعين، وبقي ان يختار القائد. ونعجب هنا مـن عـدم توليته المثنى، وقد استعمله أبو بكر على من خلف خالد بالعراق، وقد كانت وصيته قبل وفاته إلى عمر أن يندب الناس مع المثنى. قيل لعمر: "أمر عليهم رجلاً له صحبة مـن السابقين، من المهاجرين والأنصار"[2]. ولكن عمر كان شديد التأثر من امتنـاعهم أول الأمر عن التطوع. قال: "لا والله لا أفعل... يا أصحاب النبي لا أندبكم فتنكلون، وينتدب غيركم فأؤمركم عليهم... إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو. فـإذا جبنـتم وكرهتم اللقاء، فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء. فـإذا فعـل فعلهم قوم واثاقلوا، كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً أولى بها منهم. والله لا أؤمر علـيهم إلا ولهم انتداباً".

ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً. فقال لسليط وسعد: "أما أنكما لو سبقتماه لوليتكمـا ولأدركتما بها ما لكما من القدمة". فأمر أبا عبيد على الجيش ولم يكن أبو عبيـد بـن مسعود من الصحابة، فدعاه عمر فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معـه مـن المسلمين خيراً. وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب. وكان جـيش أبـي مـسعود سـبعة آلاف[3]، وأرسل عمر جرير بن عبدالله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق، وأمر أبـا عبيدة بإعادة جيش العراق من الشام إلى العراق فأرسل أبو عبيدة جيشاً يقـدر بعـشرة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص444؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(2)الطبري، تاريخ، ج3، ص445؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص445.

آلاف عليهم هاشم بن عتبة[1]. فلما وصلت جيوش المسلمين وجدت الفرس مـضطربين في ملكهم فاستقر أمرهم بأن ملكوا بوران بنت كـسرى بعـدما قتلـوا (ازرميـدخت) وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له (رستم بن فرخذاد) على أن يقوم بالحرب ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك[2].

ومن أهم المعارك التي خاضها القادة المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب هي:

1- معركة النمارق: سنة 13هـ/634م (قرب الكوفة بين القادسية والحيرة):

وقعت بين المسلمين بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي وكان على الخيل المثنى بن حارثة، وكان المثنى يلحظ كل ما يحدث لدى الفرس، فبادر إلى سحب مـسالحه مـن جميع أرض العراق وضم إليه جنده، وتعجل جابان فكان أول من ثار بفرات بـادقلي، ونزل في جنده موقعاً متقدماً في النمارق بين الحيرة والقادسية، وقد اجتمع إليـه جمـع كبير، ثم ثار نرسي، ونزل زَندَوَرْد، وثارت جميع الرساتيق من أعلى الفـرات إلـى أسفله، وانسحب المثنى دون اشتباك فنزل بالمسلمين في خَفان حتى لا يؤتى من خلفـه بشيء يكرهه، حتى قدم إليه أبو عبيد بمن معه في حوالي 3 شعبان، فأقام أياماً بخفـان ليستجم أصحابه من وعثاء الطريق – وخفان موضع بتخوم الصحراء أسفل من القادسية – وأراد جابان ونرسي مزيداً من الاطمئنان، فطلبا من المدائن تعزيزات لقواتهما[3].

وخرج أبو عبيد وعبأ قواته، فجعل المثنى على المجردة، وجعل على ميمنته والق بن جيدارة، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي. وعبأ جابـان قواته، فجعل ميمنته جشنس ماه في مقابلة عمرو ابن الهيثم، وعلى ميسرته مَرْدانشاه في مقابلة والق بن جيدارة. وزحف المسلمون من خفان نحو النمارق ونزلوا على جابـان،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص445.

(2) كمال، الطريق إلى المدائن، ص384.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص446.

فاقتتلوا قتالاً شديداً[1].

وهزم الله الفرس واسر جابان ومردانشاه فأما مردانشاه فقد قتله من أسـره وأمـا جابان فالذي أسره مطر ابن فضة التيمي، وقد أمنه هذا وأخذه المسلمون إلى أبي عبيد، أطلق سراحه ثم قال أبو عبيد: إني اخاف الله أن أقتله وقد أنه رجل مسلم، والمـسلمون في التوادد والتناصر كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهـم. لحـق أبـو عبيـد والمسلمون بالفرس حتى أدخلوهم مدينة كسكر التي كانت لابن خالة كـسرى وإسـمه (نرسي) [2].

2- معركة كسكر: (قرب السقاطية) 12 شعبان 13هـ/634م:

اتجهت الفلول الهاربة على غير انتظام من النمارق نحو كسكر لتلجأ إلى نَرْسـي وجيشه الذي كان يزندورد. فأرسل أبو عبيد مجردته (فرسانه) من بني شيبان وبني تميم يقودها المثنى لمطارتهم فيما بين النمارق إلى بارق وإلى درتا وقال لهم: " اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي أو تبيدوهم"[3].

انطلقت الفرسان ونادى أو عبيد في سائر الجيش بالرحيل في اثرها نحو كـسكر. وكان نرسي مرابطاً جنوب كسكر والمسلمون بنفس تعبئتهم التي قـاتلوا بهـا جابـان. المثنى على المجردة، وواق على الميمنة، وعمرو على الميسرة. وقد عبأ نرسي قواته فجعل على أجنابه ابني خاله وهما ابنا خال كسرى، فكان بِنْدُوْيه بن بسطام على ميمنته في مقابلة عمرو، وكان أخوه تيرَوَّيه بن بسطام على ميسرته في مقابلة والـق. وطـم نرسي إلى جيشه حشوداً من أهل باروسما ونهر جوْبر والزوابي (أو الزاب بأسفل اقليم بابل) [4].

ووصلت أخبار هزيمة جابان إلى بوران وإلى رستم بالمدائن، فكلفا جـالينوس أن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص446-447

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص447-450؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص299.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص450.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص451؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص300.

يخرج على جيش آخر ليدرك المعركة، وأرسلا بذلك إلى نرسي فتمنى لو يلحق به قبل المعركة، غير أن أبا عبيد لم يمهله إذ زحف إليه وكان أسرع من عدوه، فالتقوا بالسقاطية جنوب كسكر قريباً من مدينة واسط، فاقتتلوا في صحارى ماس قتالاً شديداً انتصر فيه المسلمون على الفرس، وهرب نرسي وغلبه أبو عبيد على عسكره وأرضه فأخرب ما كان حول معسكرهم من أرض كسكر.وجمع الغنائم فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً. فبعث فيمن هرب منه من المسلمين فحملوا منه ما شاؤوا، وأخذ المسلمون خزائن نرسي فلم يكونوا أفرح بشيء مما خزن منهم بالنرسيان بسبب أنه كان يحتكره ويمنعه الناس ويمالئه ملوك الفرس على ذلك. أخذوه فاقتسموه وصاروا يطعمونه الفلاحين الذين طالما حرموه. وبعثوا بخمسه إلى عمر(1).

أقام أبو عبيد بكسكر بعد المعركة وبعث قوات المطارة. فسرح المثنى إلى باروسما. وبعث والق وكذلك عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الزوابي. وبعث عاصماً إلى نهر جوبر(2).

3- معركة باقسياثا 17 شعبان 13هـ/634م:

خرج أبو عبيد من السقاطية نحو باروسما، فبلغه مسير جالنوس، وقد اجتمعت إليه فلول جابان. لقد كان مكلفاً أن يدرك نرسي قبل المعركة، غير أنها كانت أسرع منه فلم يدركها، ولم يدع له أبو عبيد فرصة الوصول إلى كسكر إذ زاحفه. فنزل جالنوس في باقسياثا من أرض باروسما والتقوا، أبا عبيد في جيش المسلمين المنتصر في النمارق والسقاطية، وجالنوس في جيش ضم أعداداً كبيرة من الفلول المنهزمة من المعركتين، وقلما يفلح مهزوم فقد معنويته. حالة كهذه كانت تستلزم من المجوس استبعاد العناصر التي منيت بالهزيمة من قبل قرات ومرات. ودارت المعركة، فانتصر المسلمون، وعمد جالنوس إلى الفرار، وأقام أبو عبيد في قرية من قرى باروسما، وقد غلب على تلك

(1) الطبري، تاريخ، ج2، ص450-453؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص301.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص453.

البلاد[1].

4- معركة الجسر 13هـ/634م :

وتعرف أيضاً بالمروحة، جرت قرب الحيرة على شاطئ الفرات الغربي قرب الكوفة في شهر شعبان سنة 13هـ/634م.

إن النجاح الذي أحرزه أبو عبيد في حركاته نبه الفرس إلى الأخطار التي تواجههم من تقدم العرب بقوة كبيرة قادرة على الأندفاع والهيمنة على البلاد، فقاموا باستعدادات لصدها بالرغم من الأحوال المضطربة في عاصمتهم في المدائن، والخلافات التي كانت بينهم على ولاية العرش[2].

أسند الفرس قيادة جيشهم إلى بهمن جاذويه[3]، ويسمى في الكتب العربية ذا الحاجب، وكان أشد العجم على العرب[4]، وكان قد شارك في مقاتلة خالد بن الوليد حيث كان مقره في قسياثا، جنوب الكوفة، ثم اتخذ مقره في بهرسير وكان مسؤولاً عن الدفاع عن المنطقة الواقعة غرب المدائن إلى الأنبار وكانت بإمرة بهمن جابان[5] وهو آمر حامية أليس ومن شارك في مقاومة العرب وفي معركة أليس الصغرى[6].

كان الجالنوس من قواد الفرس في موقعة الجسر، وكانت قد أرسلته بوران لأنجاد جابان في معركة أليس[7]، ثم كان على مقدمة جيش الفرس في معركة الجسر[8].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص301؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص395.

(2) كمال، الطريق إلى المدائن، ص395-398.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص454؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص454؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص455.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص455-456.

(7) الطبري ، تاريخ ، ج3، ص456.

(8) المصدر نفسه، ج3، ص457؛ البلاذري، فتوح، ص252.

يذكر الطبري أن الراية الملكية "درفش كابيان"[1] كانت مع بهمـن جاذويـه فـي معركة الجسر وهذا ما يدل على تقدير الفرس لأهمية المعركة، وأن عماد جيشهم كـان الجيش الملكي الذي هو أقوى جيوش الدولة الساسانية، غيرأنه لا بـد أن يكـون هـذا الجيش قد ضم قوات الحاميات والمناظر المتفرقة، فكون قوة كبيرة يذكر خليفـة أنهـا بلغت اثنى عشر ألفاً ومعهم فيلة[2]. ويذكر البلاذري أنها كانت أربعةآلاف مدجج، ومعه فيل ويقال عدة فيلة[3]. وقد يكون الرقم الذي ذكره للمقاتلة دون من يتبعهم، وقد لايصل إلى العدد الذي ذكره خليفة، ولكنه على أي حال عدد كبير، غير أنه لم يذكر للفيلـة أو الخيالة دوراً ملحوظاً في المعركة.

يذكر الطبري أن المعركة وقعت عند قس الناطف، ولذلك تسمى معركة "القس" أو معركة قس الناطف، وذكر أنها بالقرب من المروحة، ومن المؤكد أنها كانت عند نهـر الفرات، على الجانب الشرقي منه، حيث نُصِب الجسر وعبرته الجيوش الإسلامية، غير أن المصادر لم تحدد موقعها بدقة والراجح أنها كانت في الأطراف الجنوبية من بابل[4]، وبالقرب من بانقيا حيث عقد أهلها الجسر الذي جرت عنده المعركة[5].

جمع المسلمون والفرس كل قواتهم المتيسرة في ميدان المعركة، ولم يرد خلالهـا خبر عن معارك جانبية جرت في مناطق أخرى، وكان عماد القتـال علـى الرجالـة، وللفيلة أثر كبير على المسلمين[6]، وكان بهمن في قلب القوات الفارسية، وعلى مجنبته جشنسماه ومردنشاه[7].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص454؛ البلاذري، فتوح، ص253،252.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص124.

(3) البلاذري، فتوح، ص251.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص454.

(5) البلاذري، فتوح، 252؛ ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص168.

(6) ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص170؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص454-455.

(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص455؛ البلاذري، فتوح، ص252-253.

أما الجيش الإسلامي فكان على ميمنته والق بن جيدارة وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم السلمي، وعلى الخيل المثنى بن حارثة[1]. ويذكر الطبري أن أكتل العكلي أسر مردانشاه[2]، غير أن كثرة عدد القتلى من الأنصار يدل على أنهم كانوا في خطوطها الأمامية، ولعلهم في القلب، وأن تأمين المثنى انسحاب المسلمين يدل على أن قواته كانت في المؤخرة.

لقد كان قتالاً حامياً انتصر فيه الفرس، وفقد المسلمون عدداً كبيراً من القتلى يذكر خليفة أنهم ألف وثمانمائة[3]. ويذكر الطبري أنه أربعة آلاف[4] أي قرابة ثلث القوة الإسلامية، وهو في كل حال، عدد كبير حتى بمقارنته بقتلى المعارك الكبرى.

كانت المعركة قد حدثت يوم السبت آخر رمضان سنة 13هـ/634م[5] (أوائل كانون الأول)، أي بعد ثلاثة أشهر من تولي عمر الخلافة، وكانت معركة قصيرة وحامية، فلم تذكر المصادر أنها استمرت أكثر من يوم واحد، ولعل جسامة الخسارة راجعة إلى أن أبا عبيد عبر إلى الجانب الشرقي من الفرات الذي أصبح وراءه فكان يحدد مجال حركته ومناوراته، ويقيد مجال انسحابه عند اقتضائها[6].

وكان لأنكسار العرب في معركة الجسر وقع عظيم على الخليفة عمر بن الخطاب، فقد ظل سنة لا يذكر العراق لمصاب أبي عبيد[7]. والواقع أنها كانت أول معركة كبيرة في جبهة العراق تشارك فيها قوات جهزها الخليفة من الحجاز لغرض الفتح، وسقط فيها كثير من الصحابة من أهل المدينة، الذين كانوا الركيزة الأساسية لدولة الإسلام، كما

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص455؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص456.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص124.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص458.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص124-125؛ البلاذري، فتوح، ص252.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص457؛ المسعودي، مروج، ج2، ص308.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص457-458.

كانت المعركة الأولى من نوعها التي قاتل العرب فيها الفرس الذين لم تكن لهـم بهـم علاقات سابقة وثيقة.

5- أليس الصغرى 24 شعبان 13هـ/ 634م

خرج جابان ومعه مردانشاه الخصي في بعض خيلهم، وظـنهم بالمـسلمين أنهـم منفضون وأن شوكتهم قد انكسرت. ويبدو أنهم كانوا في نزهة أو نحوها، فلـم يعلمـوا بالرجوع المفاجئ لبهمن جاذويه. وأتت عيون المثنى تخبره بـذلك، فاسـتخاف علـى المسلمين عاصم بن عمرو وخرج في تجريده خيل – وبه من خراج المروحة ما بـه – وانطلق يطوي المسافة تجاه البقعة التي أخبر عنها من أليس. ورأى مردانشاه وجابـان خيل المثنى وهي مسرعة، فظناهم هاربين من فلول المروحة، واعترضا طريق المثنى وهو يريدهم فأخذهما أسيرين وأخذ من معهما أسرى. وقال لهما المثنى : "أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفززتماه" وضرب عنقيهما. وكان أهل أليس قد تواطؤوا مع المثنى عليهم وعقد لهم بها ذمة. ثم أخذ الأسرى فضرب أعناقهم ورجع إلى عسكره. وكان أبو محجن الثقفي من الفرسان الذين خرجوا مع المثنى ولكنه انصرف من أليس ولم يرجع معه[1].

6- موقعة البويب : رمضان 14هـ/635م

إن انكسار المسلمين في موقعة الجسر لم يثن الخليفة عمر بن الخطاب عن اهتمامه بجبهة العراق والعمل على مقاتلة الفرس، فقام باستعدادات ضخمة للحرب، وأرسل في العرب الخطباء والنقباء الذين ألهبوا نار الحمية عند العرب جميعاً بالخطب الحماسية، فأقبلت قبائل العرب متحمسين من كل صوب وحدب، وحضر المحنف بن سليم زعيم قبيلة الأزد ومعه سبعمائة فارس وجاء ألف رجل من بني تميم في صحبة حصين بن معبد، كما جاء عدي بن حاتم الطائي بجمع غفير وكذلك جاءت حشود عظيمة من قبيلة رباب وبني كنانة وخثعم وبني حنظلة وبني الضبة كل منهم مع

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص459-460؛ البلاذري، فتوح، ص154؛ ابن الأثيـر، الكامـل، ج2، ص303.

شيوخهم، وعم الحماس لدرجة أن زعيمي نمر وتغلب وكانا نصرانيين جاءا إلى عمر وقالوا : "المواجهة اليوم بين العرب والعجم، ونحن نريد أن نشارك القوم في هذه المعركة القومية" وكان مع هذين الزعيمين آلاف من رجال قبيلتهما، وكانوا متشوقين لقتال العجم[1] .

وحضر جرير الجبلي إلى باب الخلافة في تلك الأيام مصادفة وكان قائداً مشهوراً، وكان قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يؤمره على قبيلته، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبه هذا ولكن لم تسنح الفرصة للتنفيذ وعندما حضر إلى عمر أرسل عمر الأوامر إلى جميع العمال العرب بأن على كل مقاتل في قبيلته – حيثما وجد- أن يمثل أمامه في يوم محدد، فجاء جرير بهذا الجمع الهائل ثم عاد إلى المدينة مرة أخرى[2].

ومن ناحية أخرى أرسل المثنى النقباء إلى جميع المناطق الحدودية وجمع جيشاً جراراً، ونقل الجواسيس الفرس هذه الأخبار إلى البلاط الملكي ، فأمرت بوران دخت أن يختاروا اثنى عشر ألف فارس من خاصة وجعلت مهران بن مهرويه الهمداني قائدهم، وقد اختير مهران لأنه تربى بين العرب ولهذا كان يستطيع أن يقدر مدى قوة العرب وكان أحد المواقع إسمه البويب قرب الكوفة فوصل إليه الجيش الإسلامي وأقاموا المعسكرات وترك مهران العاصة مباشرة حتى وصل إلى البويب فخيموا الخيام وجعلوا نهر الفرات فاصلاً بينهما، وفي الصباح عبر الفرات وبدأ يرتب صفوف الجيش بجميع عتاده الضخم، وأعد المثنى الصفوف بترتيب محكم بعد أن قسم الجيش إلى كتائب مختلفة وجعلها تحت إمرة كبار الصحابة، فعين على الميمنة مذعوراً وعلى الميسرة النُسير وعين مسعوداً على المشاة وعاصماً على المجردة، وأمر عصمة على طلائع الجيش واستعد الجيش وطاف المثنى عليهم من مقدمة الجيش حتى مؤخرته وكان

---

(1) أبو عبيد، الأموال، ص62.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص462.

يقف عند كل راية ويقول: "أيها الأبطال! إني لأرجو ألا تؤتى العرب من قبلكم"[1].

وكانت خطة المعركة في الجيش الإسلامي أن يكبر القائد ثلاث مرات، ففي التكبيرة الأولى/ يعد الجند الأسلحة والحراب وفي التكبيرة الثانية يمسكون الأسلحة بأيديهم ويهجمون في التكبيرة الثالثة، ولم يكن المثنى قد أطلق التكبيرة الثانية حتى هجم الفرس وبعد أن رأى المسلمون هذا الأمر لم يضبطوا أنفسهم وخرج بعضهم من الصفوف بسبب الحماس فغضب المثنى وأخذ يعض على لحيته ويصيح: "بالله لا تفضحوا الإسلام" فرجعوا إلى الوراء في صفوفهم بمجرد أن سمعوا نداءه وثبت كل واحد منهم في مكانه ثم حملوا عليهم بعد أن كبر المثنى التكبيرة الرابعة[2].

وتقدم العجم يرعدون كالرعد المدوى في ميدان المعركة، فصاح المثنى في الجند بألا يضطربوا فهذا ضجيج الفشل واستدعى القائدين النصرانيين اللذين كانا معه وقال لهما: "إنكم من العرب ومع أنكم لستم في ديننا إلا أن اليوم يوم العرب فعليكم أن تكونوا معي عندما أهجم على مهران فأجابوه وكان هذان ساعدى المثنى في الهجوم، وهجم على العدو وفي أول وهلة حطم ميمنة مهران ودخل قلب الجيش ثم استرد الفرس قوتهم وهجموا على المسلمين بشدة حتى تزلزلت أقدام المسلمين، وتركوا أماكنهم، فصاح المثنى وقال: "أيها المسلمون أين تذهبون هأنا ذا أقف" فرجعوا مع هذا النداء، وجمعهم المثنى مرة أخرى وحمل على العدو وفي نفس الوقت سقط مسعود أخو المثنى جريحاً وكان بطلاً مغواراً فظهر الاستياء بين الجند الذين كانوا تحت إمرته، فقال المثنى: "أيها المسلمون لا ضير أن مات أخي فهكذا يضحي الشرفاء بأنفسهم فخذوا حذركم وألا تنكس راياتكم وقال مسعود نفسه وهو يقع على الأرض لا يهولنكم مصرعي"[3].

واستمر القتال العنيف لفترة طويلة وظل القائد النصراني أنس بن هلال يقاتل

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص462-464.

(2) البلاذري، فتوح، ص155؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص465.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص466؛ الدينوري، الأخبار، ص135.

بثبات منقطع النظير حتى سقط قتيلاً، فنزل المثنى بنفسه من على جواده واحتضنه ووضعه بجوار أخيه مسعود، واستشهد كثير من القادة العظام من المسلمين ومع هذا استمرت دفة المعركة في صالحهم بسبب ثبات المثنى وقد قاتل قلب جيش العجم قتالاً شرساً لكنهم هلكوا وقتل "شهر براز" أحد القادة المشهورين على يد "قرط" ومع هذا ظل القائد مهران ثابتاً يقاتل بسيفه في شجاعة نادرة حتى قتله فتى من بني تغلب بسيفه، فعندما سقط مهران من على فرسه وثب الفتى عليه واستوى على فرسه وزجر قائلاً بصوت ملئ بالفخر "أنا الفتى التغلبي أنا قتلت المرزبان"[1].

وانتهت المعركة بمقتل مهران وهرب العجم في فوضى واضطراب فسابقهم المثنى إلى الجسر وسد الطريق أمامهم حتى لا يهرب العجم، وقد ذكر المؤرخون أنه لم يترك (الفرس) في أي معركة من المعارك هذا القدر الذي لا يحصى من الجثث والتي بقيت ذكرى لهم لزمن طويل، فعندما كان المسافرون يمرون هناك يجدون أكوام عظام في كل مكان. وكان لهذا النصر أثر خاص فقد زال الخوف من العجم والذي كان يخيم على العرب وتأكد لهم أن اليوم الأخير لمملكة كسرى قد قرب وعلى قول المثنى: "لقد قاتلت العجم مراراً في الجاهلية والله لمائة من العجم في ذلك الوقت كانوا أشد من ألف من العرب، لكن الآن عربي وأحد أشد بأساً من عشرة من العجم". وانتشر المسلمون بعد هذه المعركة في جميع مناطق العراق.

ففي المكان الذي توجد به مدينة بغداد الأن كانت تعقد به في تلك الأيام سوق كبير فأغار عليها المثنى يوم سوقها فهرب أصحاب السوق ونجوا بأرواحهم على غير هدى وهكذا وقعت في أيديهم أموال وأمتعة طائلة، وعندما وصلت هذه الأخبار إلى العاصمة قال الجميع بلسان واحد إن هذا كله نتيجة حكم المرأة والخلافات التي نشأت بيننا عندئذ أنزلوا بوران دخت من على العرش وأجلسوا عليه يزدجرد وكان شاباًفي السادسة عشرة من عمره[2]، وكان آخر ذكر بقى من أسرة كسرى. أما رستم وفيروز اللذان كانا

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص466-467.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص477-478.

ساعدى المملكة فقد كان كل واحد منهما يكن العدأوة للآخر، فقال لهم أهل البلاط لو أنكما لا تستطيعان القيام بالعمل بالتعأون فيما بينكما فنحن قادرون على القضاء عليكما، وخلاصة القول أن روح جديدة دبت في المملكة مع جلوس يزدجرد، واستعد أمراء الدولة وقادة الجيش لقيام بواجباتهم في أماكن العمل الخاصة بهم، وحصنت جميع القلاع ومعسكرات الجيش وعمت الثورة في المدن العراقية التي فتحت اعتماداً على العجم، وخرجت جميع الأماكن المفتوحة من أيدي المسلمين.

7- معركة القادسية :

في شهر محرم سنة 14هـ/ 635م.

ولاشك أن القادسية تقع على قمة قائمة المعارك الحاسمة في تاريخ العالم، فهي التي انفتحت على آثارها أبواب العراق، ومن وراء العراق فارس كلها، وهي التي من عندها استطرد نصر المسلمين، فاستطرد معه السقوط الساساني من الناحيتين الحربية والسياسة، والسقوط المجوسي من الناحية الدينية والعقائدية. ومن هنا انساح دين الإسلام في العالم شرقاً وغرباً ، ولولا ذلك لظل محصوراً في جزيرة العرب لا يتعدى القبائل الضاربة في صحاريها وحواضرها القليلة. كان الإسلام جديداً، فهو ما زال في فتوته، فإن لم يكسب المسلمون إنجازاتهم حينذاك، ودينهم حي في قلوبهم يصرف أعمالهم لأدرك أمتهم الهرم والشيخوخة، ولظلت السيطرة على العالم لجيرانهم من الفرس والروم من دونهم، ولأمكن حينذاك –ولو من الناحية التصورية البحتة للتاريخ- أن ينحسر ظل الإسلام فيضمر حيث حصره أصحابه، لولا أن الإسلام يفرض على المسلمين مجاهدة أعدائهم ومناجزتهم حتى يتم النصر عليهم.

في القادسية كسر المسلمون شوكة المجوس كسراً لم ينجبر بعدها أبداً ، فيها ألقى الفرس بكل طاقاتهم من سلاح وعتاد وأفيال كثيرة، وأعداد ضخمة من الجند، وبقيادة تمثلت في أحكم رجالهم وأشهرهم في الحرب والسياسة، وألقى المسلمون أيضاً بكل إمكانياتهم من وجوه المسلمين وبقيادة تمثلت في صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحد من السابقين الأوائل في الإسلام سعد بن أبي وقاص. كما نزلوا إلى

مواجهة أعداد الفرس وأفيالهم وعدتهم بسلاحهم الذي اختصوا به على عدوهم.

أزال انتصار العرب في معركة البويب بعض آثار نكسة الجسر، إذ دحروا فيها قوات فارسية مرسلة من المدائن وليس من القوات المحلية، وكان لهذا الأنتصار أثر معنوي كبير، ولا بد أنه شجع العرب على الصمود والثبات، كما عزز ثقة الخليفة عمر بن الخطاب بنجاح خطته في العمل على ضم العراق إلى الدولة الإسلامية.

غير أن انتصار العرب في البويب لم يكن حاسماً، فقد اقتصر على تأمين سيطرتهم على غربي الفرات وبعض نواحيه الشرقيه، ولم يتابعوا مطاردة الفرس الذين ظلوا محتفظين بعاصمتهم المدائن وبقوات كبيرة يمكن استخدامها ضد العرب[1].

ب- اختيار سعد بن أبي وقاص وتحركه من المدينة :

أدرك الخليفة عمر بن الخطاب أن القوات العربية العاملة في أطراف العراق غير كافية للقضاء على الفرس في المدائن، وكانوا لا يزالون محتفظين بإمكانيات كبيرة يمكنهم استخدامها لصد تقدم العرب، لذلك قرر إرسال قوة جديدة من المدينة ولي قيادتها سعد بن أبي وقاص وهو قرشي من بني زهرة، وابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من أوائل المسلمين في مكة، ثم هاجر إلى المدينة، وآخى عمرو بن معاذ، وشارك في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كافة، وقاد في الشهر التاسع للهجرة سرية إلى الخرار وكان بارعاً في رَمْي النبال[2]. وقبل أن يختاره عمر للقيادة كان يلي صدقات هوازن التي أسلمت بعد معركة حنين التي جرت بعد فتح مكة، ولم تُعرف له صلة بعشائر هضبة نجد أو شرقي الجزيرة[3].

يروي سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب سرح سعد بن أبي وقاص فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين فخرج سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف، ثلاثة آلاف منهم ممن قَدم عليه من اليمن والسراة. ويروي أيضاً أن عمر أمد سعداً بعد خروجه

---

(1) العلي، الفتوحات الإسلامية، ص91-92.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص481-482؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص284-286.

(3) البلاذري، فتوح، ص255؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص482؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص309.

بألفي يماني وألفي نجدي مؤْدٍ من غطفان وسائر قيس فَقَدِمَ سعد زرود في أول الشتاء[1].

كان سعد من كبار الصحابة، وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الناس يعترفون بشجاعته وبأسه لكن لا يطمئن إليه من ناحية قدرته على قيادة الجيش وإعداد خطط الحرب بناء على هذا تردد عمر لكن عندما أيد جميع الحاضرين رأي عبدالرحمن بن عوف وافق مضطرا ورغم ذلك أمسك بزمام أمور الجيش كلها على سبيل الحيطة لذا فإنه في هذه المعركة كان يرسل أوامره باستمرار فيما يتعلق بتحركات الجيش وإدارة الهجوم وتنظيم الجيش وتقسيم العسكر وغيرها من الأمور صغيرها وكبيرها ولم يكن يقدم على عمل دون نصائحه الخاصة حتى أن عمر كان قد قرر جميع منازل الجيش من المدينة وحتى العراق وقد ذكرها الطبري باسمائها[2].

وأعد سعد الجيش وسار من المدينة المنورة ووصل إلى "ثعلبة" بعد أن طوى ما بين سبعة عشر أو ثمانية عشر منزلاً، وعسكر هناك و "ثعلبة" منزل على بعد ثلاثة منازل من الكوفة وكان يقام بها سوق كل شهر لجمال المكان ووفرة المياه، فأقام هناك ثلاثة أشهر، أما المثنى فكان في ذي قار مع ثمانية آلاف من الرجال منهم ستة آلف من شباب بكر بن وائل ينتظر مجئ سعد لتقدموا معاً إلى الكوفة ولكن ساءت حالة الجروح التي أصابته في معركة الجسر وتوفى أخيراً بسببها ثم رحل سعد عن "ثعلبة" إلى "شراف" وخيم فيها وجاءه هناك المعنى أخو المثنى وأبلغ سعد وصايا المثنى الهامة، ولما كانت أوامر عمر تقتضي بأن يكتب إليه بجميع الأحوال في كل منازل الجيش لذا فقد كتب إليه بجميع أمور الجيش فأخبره بخريطة الموقع، وانتشار الجيش، وطريقة إقامته، وحالة المؤن، فجاءته الأوامر من هناك بالتفصيل ومن بينها العديد من النصائح وأسس ترتيب الجيش فقام سعد أولاً بتفقد الجيش طبقاً لهذه الأوامر، وكان قد قارب

(1) البلاذري، فتوح، ص255؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص484؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص307؛ ابن كثير، البداية، ج7، ص42.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص480-482؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص307.

عدده ثلاثين ألفاً، ثم قسم الجيش على الميمنة والميسرة وغيرها وعين على كل قسم منها قائداً كما يتضح من الجدول التالي فصائل الجيش المختلفة وقادتها بالتفصيل طبقاً لما ذكره الطبري [1]:

أقسام الجيش	إسم القائد	سيرة مختصرة له
المقدمة	زهرة بن عبدالله بن قتادة	كان ملكاً على البحرين في الجاهلية وجاء على رأس قومه وأسلم
الميمنة	عبدلله بن المعتصم	كان صحابياً
الميسرة	شرحبيل بن السمط	كان شاباً نال شهرة عظيمة في قتال المرتدين
الساقة	عاصم بن عمرو التميمي	
الطلائع	سواد بن مالك	
المجردة	سليمان بن ربيعة الباهلي	
الرجالة (المشاة)	حمال بن مالك الأسدي	
الركبان	عبدالله بن ذي السهمين	
قسمة الفيء والغنائم والقضاء	عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي	
الرائد المسئول عن المؤن	سلمان الفارسي	
المترجم	هلال الهجري	صحابي معروف من أهل فارس
الكاتب	زياد بن أبي سفيان	
الطبيب		

وكان من بين أمراء الأعشار سبعون من الصحابة الذين شهدو غزوة بدر وثلاثمائة منهم حضروا بيعة الرضوان ومثلهم ممن شهدوا فتح مكة، وسبعمائة من غير الصحابة لكنهم كانوا من أولاد الصحابة[2].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص255؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص485-489؛ ابن الأثيـر، الكامـل، ج2، ص308.

(2) البلاذري، فتوح، ص256؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص490؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص309.

وكان سعد في "شراف" عندما جاءه أمر آخر من عمر كان مضمونه "أن تقدم من شراف إلى القادسية وعسكر بها"[1] على أن تقيم خط دفاع راسخ بحيث تكون أرض العجم من أمامك وجبال العرب من خلفك، فإن كان النصر فلتتقدم كما تريد، ولا قدر الله لو تواجه الأمر الثاني (الهزيمة) تستطيع أن ترجع وتحتمي بهذه الجبال"[2].

وكانت القادسية أرضاً خصبة جداً وكانت محصنة بسبب الأنهار والجسور القائمة عليها، وقد مر عمر على معظم هذه الأماكن في أيام الجاهلية وكان على علم بحالة هذا المكان وهيئته لذا فإن الأمر الذي وصل سعداً كان مذكوراً في موقع القادسية أيضاً – وإن كانت هذه المعلومات قديمة- فكتب لسعد: "بعد أن تصل القادسية فلتكتب إلي بالمعلومات الكاملة عن أرضها فإنني لم اذكر بعض الامور الهامة لأنني لم أعرف حالة المكان معرفة تامة"[3]. فكتب إليه سعد بالتفاصيل الدقيقة عن موقع الحرب وحدودها، ثم جاء الأمر من دار الخلافة بالتحرك فسار سعد من "شراف" ونزل في "العذيب" وكان هذا المكان مخزن أسلحة العجم. فاستولوا عليه بلا قتال، وعندما وصلوا القادسية أرسل سعد العيون في كل مكان ليأتوا بأخبار العدو، وعندما رجعوا ذكروا أن رستم "ابن فرخ زاد" صاحب أرمينية قد تولى أمر الحرب وأنه قد قدم من "المدائن" ونزل في "ساباط" فكتب سعد لعمر بالخبر فجاءه الرد من هناك "فلتبعث إليهم رجالا قبل الحرب ليدعوهم إلى الإسلام فاختار سعد أربعة عشر رجلاً معروفاً من زعماء القبائل والذين لم يكن لهم مثيل بين العرب في أعمالهم ومهنهم وهم: عطار بن حاجب، والأشعث بن قيس، وحارث بن حسان، وعاصم بن عمر وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة وكانوا مشهورين بين العرب جميعاً بمهابتهم وقاماتهم الفارهة. وأما النعمان بن مقرن وبسر بن أبي رهم وحملة بن جوية وحنظلة بن الربيع التميمي وفرات بن

---

(1) كانت القادسية مدينة صغيرة تبعد عن الكوفة 35 ميلاً.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص490؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص316.

(3) الطبري، تاريخ ، ج3، ص490 ؛ البلاذري، فتوح، ص251-258.

حيان العجلي وعدي بن سهيل والمغيرة بن زرارة فلم يكن لهم قرين في رجاحة العقل والحزم والحكمة والتدبير والسياسة[1].

كانت اصطخر عاصمة الساسانيين في قدم الزمان، لكن أنوشيروان جعل من المدائن عاصمة له، وهكذا أصبحت المدائن العاصمة منذ ذلك الوقت، وكانت تقع على بعد ثلاثين أو أربعين ميلاً من معسكر سعد أي القادسية، فامتطى السفراء الخيل واتجهوا إلى المدائن فكان يحتشد الناس في الطريق لرؤيتهم في الطرقات التي يمر منها هؤلاء الناس حتى وصلوا بالقرب من باب العاصمة بهذا المظهر الخارجي: فلم يكن هناك سروج على الخيول ولم يكن في ايديهم سلاح بالرغم من هذا كانت الجرأة والشجاعة تتعطر من وجوههم وقد تركت أثراً على المحتشدين، والخيول التي يركبونها كانت هزيلة وكانت تخرج من تحت أفخاد الراكبين، وتضرب الأرض بحوافرها باستمرار حتى وصلت أصوات وقع حوافر الخيل إلى مسامع يزدجرد، فسأل ما هذه الأصوات؟ فعلم أن سفراء الإسلام قد حضروا وبعد أن سمع هذا الخبر زين البلاط على أكمل وجه واستدعى السفراء فدخلوا البلاط وهم يرتدون البرود العربية وكانت الأردية اليمنية على عواتقهم والسياط بأيديهم والنعال في أرجلهم وكانت المعارك السابقة قد بثت الرعب في إيران كلها، وعندما رأى يزدجرد السفراء على هذه الحالة هاله الخوف[2].

وكان من عادة الفرس أنهم يتفاءلون بكل شيء، فسأل يزدجرد مإذا يسمون هذه الأردية في اللغة العربية؟ قالوا: "البرد" قال معناها بالفارسية "جهان برد"، أي القضاء على العالم، ثم سأل عن المعنى العربي للسوط، قالوا: "سوط" ففهمها "سوخت" أي حرق، قال: "بارس راسوختند" أي احرقوا فارس. فغضب كل من في البلاط على هذا الفأل السيئ لكن لم يقل أحد شيئاً مراعاة للآداب الملكية ثم سأل ماذا جاء بكم إلى هذه البلاد؟ فتقدم النعمان بن مقرن للإجابة وكان رئيس الوفد فبين في البداية رسالة الإسلام

---

(1) الطبري ، تاريخ، ج3، ص495-496؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص316.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص496؛ البلاذري، فتوح، ص251-255.

باختصار ثم قال نحن نقدم للعالم شيئين : الجزية أوالاسلام ، أو السيف[1].

قال يزدجرد ألا تذكرون أنه لم يكن هناك على وجه الأرض أمة كانت أشقى وأسوأ منكم، وعندما كنتم تتمردون علينا كنا نأمر حكام الضواحي وهم يقضون على قوتكم فصمت الجميع أمام هذه الجريمة لكن المغيرة بن زرارة لم يستطع أن يتحمل فقال وقال: هؤلاء الناس "وأشار إلى رفاقه" هم رؤوس العرب ويستحيون من الكلام بسبب حلمهم ووقارهم وقد أعظموا الذي قلت، وقالوا كل ما كان جديراً بالقول ومع هذا فقد بقيت بعض الأحاديث الجديرة بالذكر وأنني أسردها أمامك، حقاً لقد كنا بائسين ضالين نتعارك فيما بيننا ونئد بناتنا أحياء، فبعث الله فينا رسولاً حسبه خير أحسابنا، فلم يجبه أحد أول الأمر فصدق وكذبنا وزاد ونقصنا، وبالتدريج أثر كلامه في قلوبنا فما قال لنا هو حكم الله، وما أمرنا به فهو أمر الله وأنه قد أمرنا أن نقدم هذا الدين للناس كافة، فمن قبل الإسلام فله من الحقوق ما لنا ومن أبى الإسلام وقبل الجزية فهو في حمى الإسلام، ومن رفض كلا الأمرين فليس له إلا السيف، فقال يزدجرد وقد تملكه الغضب: لولا أن الرسل لا تقتل ما تركت منكم أحداً حياً، وقال ائتوني بوقر من تراب، ثم قال: من أشرفكم؟ فتقدم عاصم بن عمر، وقال: "أنا" فوضع الخدم وقر التراب على رأسه/ فحمله فأتوا بعد سعداً مسرعين على خيولهم وقالوا: "أبشروا فقد أعطانا العدو أقاليد ملكهم"[2].

وبعد هذه الواقعة ظل الهدوء سائداً كلا الجانبين، وكان رستم المكلف من قبل فارس لهذه المهمة مع جيشه في مدينة ساباط وكان يماطل في الحرب رغم اصرار يزدجرد وتأكيده. ومن ناحية أخرى كان المسلمون يهاجمون القرى القريبة من معسكراتهم ويستولون على الماشية لمؤنهم. وفي هذه الأثناء تحول بعض أمرائهم إلى المسلمين من هنا وهناك وكان من بينهم "جوش ماه" المفوض بكتابة أخبار الحدود، وعندما استطالت هذه الحالة وصلت الرعايا أفواجاً على يزدجرد يستغيثون وقالوا:

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج3، ص496-497؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص316.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص500-501؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص324-337.

عليكم أن تقوموا بحمايتنا الأن وغلا سنطيع العرب لذا اضطر رستم أن يتقدم للمعركة وخرج من ساباط ومعه جيش يبلغ ستين ألف رجل ووصل القادسية وخيم بها، أما الجيش فقد كان يبطش بجميع المناطق التي يمر بها بلا رحمة وكان جميع القادة يشربون الخمر ويأتون باعمال مشينة ولا يبالون بشيء حتى أعراض الناس وهذه الأمور قد تسببت في شيوع هذه الفكرة في البلاد وهي أن دولة العجم قد أشرفت على الفناء[1].

وأرسل سعد عيونه في كل مكان وفي اليوم الذي خرج فيه رستم بجيشه من ساباط كانت تصل إليه الأخبار لحظة بلحظة وعين قادة من الجيش للتعرف على أحوال جيش العدو وخططه وجهة الأنزال وفي هذا العمل كان الأمر يصل أحياناً إلى المواجهة. وحدث ذات مرة أن دخل طلحة معسكر جيش رستم في الليل متنكراً، فرأى جواداً أصيلاً مربوطاً في ارحد أركان الاصطبل فقطع زمامه بالسيف وربطه مع زمام فرسه وفي هذه الأثناء استيقظ الناس وتعقبوه وكان فارس الجواد قائداً مشهوراً يعد بألف فارس فرماه بالرمح بعد أن اقترب منه فتفاداه ووقع على الأرض فانحنى طلحة فضربه برمحه فأنفذه في صدره، وكان معه فارسان آخران، قتل أحدهما بيده وطلب الثاني الأمان شريطة أن يذهب معه كأسير، وفي هذه الأثناء ساد الاضطراب والفوضى في الجيش وتدفقت جموع الناس من كل جانب لكن طلحة خرج سالماً وهو يقاتل وبقى الجيش المكون من ستين ألف فارس في حيرة من أمره. وقد أسلم الأسير عندما مثل أمام سعد، وقال إن الفارسين الذين قُتلا على يد طلحة كانا ابنى عمي ويعد كل وأحد منهما بألف فارس، وسمى الأسير "مسلم" بعد أن أسلم وعن طريقة\ه عرفوا أموراً كثيرة عن جيش العدو والتي لا يمكن معرفتها بأي طريقة أخرى وظل يشارك في جميع المعارك فيما بعد وأثبت مهارته بفداء وتضحية في كل معركة[2].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص257؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص501-502؛ ابن الأثيـر، الكامـل، ج2، ص330.

(2) البلاذري، فتوح، ص258؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص513-514.

ولأن رستم كان يتثاقل عن القتال فإنه سعى إلى الصلح مرة أخرى، فأرسل رسالة إلى سعد ليرسل له رجلاً من المسلمين يعتمد عليه لكي يحدثه حديث الصلح فكلف سعد ربعي بن عامر بهذه المهمة فسار إليه في هيئة غريبة فتدرع بمعرقة وشد رأسه بمعرجته وربط على خصره بسلب ولف حول غمد سيفه ثوباً خلقاً وركب الفرس وتوجه إليهم بهذا الشكل الغريب. ومن ناحية أخرى كان الفرس قدزينوا البلاط ببسط الحرير والوسائد الذهبية والستائر الحريرية وفي الصدارة العرش المرصع، فجاء ربعي بالقرب من الفرس ونزل عن الجواد وربط زمامه في الوسائد[1].

ومع أن أصحاب البلاط لم يتحدثوا غير مبالين به لكنهم أرادوا أن يضع السلاح طبقاً للقواعد المتعبة قال: أنتم دعوتموني فإن آبيتم أن آتيكم هكذا أرجع، فأخبر أهل البلاط رستم فإذن له، فتقدم بتهاون شديد غير مبال نحو العرش وكان يزج بنصل الرمح الذي كان يستعمله كعصا في النمارق المصفوفة حتى تمزقت البسط الثمينة وتقطعت السجاجيد التي فرشوها، فلما دنا من العرش ضرب الأرض بالرمح حتى نفذ من السجاد وغرس في الأرض، قال رستم: ما جاء بكم؟ قال: "لنخرج من نشاء من عبادة العباد إلى عبادة الله" قال رستم: سوف اتشأور مع أركان المملكة ثم أجيبك، وأقبل أهل البلاط على ربعي مرارا ينظرون إلى سلاحه ويقولون أتريد فتح إيران بهذا العتاد؟ لكن عندما أخرج ربعي السيف من غمده كان يلمع في عيونهم كالبرق، وعندما قدموا تروسهم من أجل تجربة مدى صلاحية قطعه قام ربعي بتقطيعها أرباً ورجع ربعي بينما استمرت الرسائل المتبادلة بينهما[2].

وفي السفارة الأخيرة التي ذهب بها المغيرة إليهم زين الفرس بلاطهم في ذلك اليوم بكل فخامة وفرشوا المفارش من السنجاب والديباج في خيامهم وجلس الندماء والقادة على الكراسي وعلى رؤوسهم التيجان الذهبية ووقف الخدم والمسؤولون في أماكنهم في صفين، ونزل المغيرة من على فرسه واتجه مباشرة نحو صدر المجلس،

---

(1) البلاذري، فتوح، ص259؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص515-516.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص519-521؛ البلاذري، فتوح، ص260.

وجاس مع رستم على عرشه وفخذه على فخذ رستم فغضب جميع البلاط لهذه الوقاحة ووثب عليه الحراس وجذبوه من ساعده وأنزلوه من على العرش فخاطب المغيرة أهل البلاط قائلاً: "لم آتكم بنفسي ولكنكم دعوتموني ولا يليق هذا السلوك مع الضيف فلا نسلك مثل هذا السلوك مع الناس ولا يجلس فينا –مثلكم- أحد كالإله يحني الناس رقابهم أمامه كالعبيد" وكان المترجم يدعى "عبود" من أهل الحيرة قد ترجم هذه الخطبة فتأثر بها جميع البلاط وقال بعضهم لبعض لقد أخطأنا عندما اعتبرنا هؤلاء القوم إذلاء[1].

وخجل رستم فقال ليمحوآثار الخجل "إن هذا كله كان من أعمال الخدم ولم يتم شيء منه بأمري وايمائي ثم أخرج السهام من جعبة المغيرة بلا تكلف وأمسكها بيده وقال: مإذا تستفيد من هذه المغازل ؟ قال المغيرة ما ضر الجمرة ألا تكون طويلة؟ وعندما رأى رستم غمد سيفه قال: ما بال غمد سيفك رثاً هكذا؟ قال نعم هو رث الكسوة حديد المضربة، وبعد هذا الحوار اللإذع بدأ الحديث الجاد وذكر رستم عظمة مملكته ثم قال على سبيل المن والاحسان لو ترجعوا الأن (إلى بلادكم) فلسنا متضايقين سوف نمنحكم العطايا، فوضع المغيرة يده على قبضة سيفه وقال: "إن لم تقبل الإسلام والجزية فسيكون الحكم للسيف". فاستشاط رستم غضباً وقال قسماً بالشمس لأبيدن العرب غداً أجمعين ونهض المغيرة وانصرف وانتهت كل آمال الصلح والمهادنة[2]

معركة القادسية والنصر: محرم سنة 14هـ/635م

كان رستم لا يزال حتى الآن يتثاقل عن الحرب لكن حديث المغيرة أثار فيه الحمية والغيرة، فاصدر أوامره بالاستعداد فوراً، وكان النهر حائلاً بينهما فأمر بردمه ورصف عليه الطرق حتى الصباح، وفي الصباح أنجزت هذه المهمة واجتاز الجيش النهر قبيل الظهر ثم أعد نفسه للمعركة ولبس درعين ذهبيين ووضع الخوذة على رأسه وحمل أسلحته   وطلب جواده الخاص به وقال في حماس : "غداً سأدق العرب دقّاً" فقال رجل من جيشه : "إن شاء الله" فقال : "وإن لم يشأ" وجهز الجيش تجهيزاً دقيقاً وأعد

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص522-523.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص522-523.

ثلاثة عشر صفّاً الواحد تلو الآخر، وأقام كتائب الفيلة في مؤخرة قلب الجيش كالحصن الحصين ووضع المحاربين المدججين بالسلاح في هوادج الفيلة ووضع الأفيال أيضاً على هيئة قلاع خلف الميمنة والميسرة، ووضع الرجال على مسافات قصيرة لتوصيل أخبار المعركة إلى العاصمة وكان إذا حدث أمر يصيح أحدهم به بأعلى صوته منادياً فيلتقطه آخر وهكذا حتى يصل الخبر إلى المدائن(1).

وكان في القادسية قصر ملكي قديم، يقع على جانب ميدان المعركة ولأن سعداً كان يشتكي من عرق النسا وكان عاجزاً عن الحركة والمشي فلم يشترك مع الجيش بل كان يستند على وسادة ويشرف على ميدان المعركة من غرفة بأعلى القصر وأحل خالد بن عرفطة قائداً محله ومع ذلك فقد كان يدير دفة الحرب، فكان يرمي بالرقاع فيها أوامره لخالد كما يقتضيه الموقع وكان خالد يغير خطة المعركة من مكان لآخر طبقاً لهذه التعاليم وإن تقدم فنون القتال إلى هذا الحد إلى العصور الأولى للحضارة مثير للعجب وشاهد على ذكاء العرب ومهارتهم القتالية.

وتأهبت الجيوش وخرج شعراء العرب وخطباؤهم إلى الصفوف وألهبوا حماس الجيش بخطبهم النارية فكان من الشعراء : السماح والحطيئة وأوس بن المغراء وعبده الطيب وعمرو بن معد يكرب(2)، ومن الخطباء : قيس بن هبيرة وغالب بن الهزيل الأسدي ويسر بن أبي وهم الجهمي / وعاصم بن عمرو وربيع السعدي وربعى بن عامر الذين وقفوا يخطبون في الميدان وكأن أحداً يلقى بسحره على الجيش، وهناك عبارات من هذه الخطب جديرة بالذكر، قال ابن هزيل الأسدي : "يا معشر سعداً اجعلوا حصونكم السيف، وكونوا عليهم كأسود الأجم وادرعوا العجاج وغضوا الأبصار وإذا كلت السيوف فأرسلوا الجنادل فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد"(3).

---

(1) البلاذري، فتوح، ص260-261؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص530؛ المسعودي، مروج، ج1،ص321 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص450 .

(2) البلاذري، فتوح، ص260-261؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص533.

(3) البلاذري، فتوح، ص261؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص534.

وإلى جانب الشعراء والخطباء خرج القراء إلى ميدان القتال وبدءوا يقرءون سورة الجهاد بصوت عذب مؤثر واهتزت القلوب بتأثيرها واحمرت العيون[1].

وأطلق سعد ثلاث تكبيرات طبقاً للخطة وفي الرابعة بدأت المعركة وفي البداية نزل أحد الفرس إلى أرض المعركة مهيب الهيئة يرتدي ديباج ولبس مئزر ذهبي، ووضع في يده أسأور من ذهب فخرج عمرو بن معد يكرب للقائه فوضع (الإيراني) السهم في القوس وأطلقه على عمرو لكن سهمه أخطأ نحو قيد شعره فنجا منه وتقدم نحوه بجواده واقترب منه وجذبه من مئزره ودفعه فألقاه على الأرض وقطع رأسه بسيفه واتجه للجيش مخاطباً : "هكذا نحارب" وقال الجند : كيف يمكن أن يكون كل شخص معد يكرب[2].

ثم خرج بعده العديد من الأبطال من الجانبين فأبدوا شجاعتهم، ثم نشبت الحرب الشاملة ووجه الفرس الأفيال إلى الوجه التي تحارب فيها كتيبة بجيلة وكانت أفضل كتيبة، ولم تكن جياد العرب قد رأت هذه الجبال السود ففرت وانتشرت، أما مشاة الجيش فقد حاربوا بثبات وجلد لكن سيول الفيلة قضت عليهم، ورأى سعد ما أصاب بجيلة فأرسل إلى بني أسد ليذبوا عنهم فخاطب طلحة –زعيم القبيلة وبطلها المغوار- قبيلته قائلاً : "واعشيرتاه إن سعد يستغيثكم" فثار حماس القبيلة فأطلقوا أعنتهم وأخذوا الرماح بأيديهم وحملوا على الأفيال وبشجاعتهم هدأت هذه العاصفة العاتية قليلاً إلا أن الفرس عادوا وحملوه بقوة على بجيلة فأرسل سعد إلى قبيلة تميم وكانت مشهورة بالإقدام والطعن بالرماح فقال : ألا تستطيعون أن تدبروا حيلة لهذه الفيلة، فعندما سمعوا هذا الكلام تقدموا وأمطروهم بوابل من السهام حتى قتلوا ركبانها واقتربوا منها فقلبوا عنها الهوادج والمحفات، واستمرت هذه المعركة حتى المساء وعندما ساد الظلام رجع

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص536.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص536-537.

كل فريق من ميدان المعركة، وكانت هذه أولى معارك القادسية ويطلقون عليها في العربية إسم "يوم الأرماث"(1).

بينما كان سعد يشرف على القتال وهو جالس في شرفة القصر وزوجته سلمى جالسة إلى جانبه، وكان سعد يتململ ويجزع عندما يتقدم الفرس بأفيلتهم ويتقهقر المسلمون ويتقلب ذات اليمين وذات الشمال وعندما رأت سلمى هذه الحالة صاحت "واأسفاه لو كان بيننا المثنى اليوم" فلطم سعد وجهها وقال : لو كان المثنى هنا فماذا كان يفعل ؟ قالت سلمى "سبحان الله أغيرة وجبنّا" وفي هذا الكلام تعريض وطعن لأن سعداً لم يشترك في المعركة(2).

وفي اليوم الثاني كان أول عمل قام به سعد هو أنه أمر بحمل جثث الشهداء من ميدان القتال لدفنها وفوض للنساء تضميد الجرحى ثم أمر الجيش بالاستعداد ولم يكن القتال قد دار بعد حتى ثار النقع من ناحية الشام وعندما انقشع مثار النقع عرفوا أن كتائب الجيش التي أرسلها أبو عبيدة للنصرة قد وصلت، ففي الوقت الذي كان عمر يستعد فيه للهجوم على العراق كتب إلى أبي عبيدة الذي كان مكلّفاً بمهمة فتح الشام في تلك الفترة يأمره بأن يلحق بجيش سعد الجيش الذي أرسل إليه من العراق، فوصل هذا الجيش في الوقت المناسب وقد عد هذا الأمر كأنه تأييد من الغيب، وكانوا ستة آلاف جندي منهم خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألفان من أهل الحجاز وكان على رأسهم هاشم بن عتبة (أخو سعد) وعلى مقدمته القعقاع وعندما وصل القعقاع خرج من بين الصفوف ينادي أليس في الفرس من يبارز ؟ فخرج إليه بهمن وعندما رآه ذكّره القعقاع بموقعة الجسر فصاح قائلاً : "لن يجد قاتل أبوعبيد مفراً" وتبارز الخصمان بالسيف وقتل بهمن بعد فترة قصيرة من المبارزة، وظل الشجعان مدة طويلة ينزلون إلى أرض المعركة من الجانبين ليظهروا قوة بأسهم على انفراد فقُتل شهربراز أمير سيستان على يد الأعور بن قطبة، وقتل يزرجمهر الهمداني أحد الأبطال المشهورين بعد أن تبارز مع

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص536-540؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص469.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص542.

القعقاع، وفقد جيش الفرس أكثر أبطاله المشهورين قبل بداية الحرب الشاملة، وبالرغم من ذلك فقد حارب الجيشان حرباً شرسة[1]. وقد قسم القعقاع جيش النجدة حين خروجه من الشام إلى كتائب عديدة بحيث عندما تصل كتيبة إلى أرض المعركة كانت الأخرى تظهر على مرمى البصر وهكذا استمرت الحركة في الجيش طوال اليوم، وبالتالي خيمت الرهبة على الفرس[2].

وكانت كل فرقة من الفرق تتقدم إلى ميدان المعركة تكبر الله أكبر وتحمل على العدو ومعهم القعقاع وقد احتال القعقاع على الفيلة بهذه لحيلة فجال الإبل وبرقعها وجعلها مهيبة المنظر كالفيلة، فأخذت خيول الفرس تنفر من هذه الفيلة المصنوعة حينما اتجهت ولم يستطع الفرسان السيطرة عليها[3].

ووصل رسل عمر أثناء المعركة، ومعهم أسياف ثمينة وخيول عربية أصيلة، فنادوا بين الناس لقد أرسل أمير المؤمنين هذه المكافأة لأولئك الناس الذين يستطيعون أداء حقها لذا أعطى القعقاع الأسياف لـ حمال بن مالم وربيل بن عمرو وطليحة بن خويلد وعاصم بن عمرو التميمي وأعطى الخيول لأبطال قبيلة يربوع الأربعة وأنشد ربيل مرتجلاً هذا البيت مفتخراً :

لقد علم الأقوام أنا أحقهم   إذا حصلوا بالمرهفات البواتر[4]

وحين كانت الحرب محتدمة، كان أبو محجن الثقفي الذي كان شاعراً معروفاً وفارساً قد سجنه سعد بتهمة شرب الخمر، يراقب سير المعركة من نافذة باب السجن، وكان ينتابه حماس الشجاعة وفي النهاية عندما لم يتحمل أتى إلى سلمى[5] (زوجة سعد) وقال لها : بالله أطلقي سراحى وإن سلمنى الله في المعركة أعد وأضع نفسي في القيود، فرفضت سلمى فرجع مكتئباً ينشد ويردد هذه الأبيات في لهجة حزينة :

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص542-543.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص542-543.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص542-543.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص544-545.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص575.

كفى حزناً أن تردى الخيـل بالقنا   وأتـرك مشـدوداً على وثاقـيا

إذا قمت عناني الحديـد وأغلـقت   مصاريع من دوني تصم المناديا[1]

فتأثر قلب سلمى لهذه الأبيات وفكت قيوده فذهب فوراً إلى الاصطبل وشد السرج عن فرس لسعد تدعى البلقاء وانطلق إلى ميدان المعركة وقد أمسك الرماح بيده وأخذ يركض من الميمنة حتى الميسرة وحمل عليهم بقوة وكلما يتجه إلى ناحية يقلب الصفوف فيها واندهش الناس جميعاً وتساءلوا : "من يكون هذا البطل المغوار ؟" وتعجب سعد كذلك وكان يقول في نفسه إنها طريقة هجوم أبي محجن لكنه حبيس في السجن. وفي المساء أقبل أبو محجن ووضع نفسه في الأصفاد وروت سلمى لسعد كل ما حدث فأطلق سعد سراحه[2]، وقال : والله إن الشخص الذي يضحي من أجل المسلمين لا أستطيع عقابه، وقال أبو محجن والله لن أقرب الخمر أبداً بعد اليوم[3].

وقد شاركت في هذه المعركة الخنساء شاعرة العرب المعروفة ومعها أبناؤها الأربعة، وقالت لأبنائها عندما نشب القتال : "لكم تنب بكم البلاد ولم تقحمكم السنة، ثم جئتم بأمكم عجوزاً كبيرة فوضعتموها بين أيدي أهل فارس والله إنكم لبنو رجل وأحد كما أنكم بنو إمرأة وأحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره".

فانطلق الأبناء معاً وانقضوا على الأعداء، وعندما تغيبوا عن الأنظار رفعت الخنساء يدها واتجهت إلى السماء وقالت "اللهم احفظ أبنائي"[4].

وقتل وجرح في هذا اليوم من الفرس عشرة آلاف ومن المسلمين ألفان وبالرغم من هذا لم يصل الأمر إلى النصر أو الهزيمة، وعرفت هذه المعركة بإسم (يوم أغواث).

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص575؛المسعودي، مروج، ج1، ص323.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص549-550.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص18، 31.

(4) الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص76-109.

واشتهر اليوم الثالث للمعركة بإسم (يوم العماس) [1] وبات القعقاع يسرب الجند جماعات وكتائب من الفرسان والمترجلة وأمرهم أن يبتعدوا عن المعسكر إلى ناحية الشام ويقبلوا مع طلوع الشمس مائة مائة من الفرسان مسرعين على خيولهم نحو ميدان المعركة وأن يستمروا هكذا في المجيء، وهكذا وصلت أول كتيبة مع طلوع الصباح فكبر الجيش جميعاً وعم الضجيج وقالوا جاءت النجدة وبدءوا الهجوم، ومن محاسن الصدف أن هاشم الذي أرسله أبو عبيدة بالنجدة من الشام قد وصل أيضاً إلى أرض المعركة ومعه سبعمائة فارس وكانت الأخبار تصل يزدجرد لحظة بلحظة وكان يرسل الجيوش باستمرار وخطب هاشم في الجيش وقال : " إن إخوانكم قد فتحوا الشام وفتح فارس الذي وعد به الله سوف يتم على أيديكم " ، وطبقاً للعادة بدأت المعركة بخروج أحد الأبطال من جيش الفرس يزأر كالأسد إلى ميدان المعركة وبعد أن رأى الجند ضخامة هيئته تثاقلوا عن لقائه، ومن الصدف العجيبة أنه قتل على يد جندي هزيل[2].

وأحاط الفرس الفيلة بالمشاة بعد أن عركتهم التجربة، وقال عمرو بن معد يكرب لرفاقه: "إني سأهجم على الفيل الذي أمامي فلازموني ولو قتل عمرو بن معد يكرب فلن يولد معد يكرب آخر" قال هذا واستل سيفه وهجم على الفيل لكن الرجالة الملتفين حوله انفضوا عليه فثار النقع وحجبه عن الأنظار وعندما رأى أصحابه هذا حملوا عليهم وتقهقر العدو بعد معركة شرسة وتغير جسم عمرو بن معد يكرب تماماً وعلى جسمه طعان الرماح ومع ذلك كان السيف في قبضة يده واليد كانت في حركة دائبة وإذا بفارس إيراني قد مر بجانبه في هذه الحال فأمسك بذيل[3] جواده فأخذ الإيراني يركض حصانه مراراً لكنه لم يستطع أن يحركه من مكانه فنزل عنه فوثب عمرو بن معد يكرب واعتلى صهوة الفرس.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص477؛ المسعودي، مروج، ص325-326.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص550.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص551-554.

ولما رأى سعد أن الفيلة كانت توقع الفرقة بين الكتائب حينما كانت تتجه استدعى "ضخم" و "سلم" وغيرهما من الفرس الذين أسلموا وسألهم ما علاج هذا البلاء الأسود ؟ قالوا عليكم بمشافر الفيلة وعيونها وكان في السراب فيلان أشد ضرأوة ومهابة وكأنهما قائدان لكل الفيلة كان الأول معروف باسم "الأبيض" والثاني "الأجرب"، فاستدعى سعد القعقاع وعاصم وحمال وربيل وقال هذه مهمتكم فأرسل القعقاع في البداية مجموعة من الفرسان والرجالة ليحاصروا الفيلة، ثم أخذ الرمح وصوبه نحو الفيل الأبيض ومعه عاصم فأطلق الإثنان رمحيهما معاً فأصابا عيني الفيل فانتفض الفيل وتراجع فضربه القعقاع بالسيف ففصل مشفره عن جبهته ومن ناحية أخرى هجم حمال والربيل على الفيل الأجرب فأصاباه فهرب وتبعه الفيلة كلها وانقشعت هذه السحابة السوداء بعد فترة وجيزة[1]. وقد سنحت الفرصة للشجعان لاختبار هممهم.

واشتدت المعركة واهتزت الأرض من رعد الصيحات والهتافات الحماسية ولذا أطلقوا على هذه المعركة "ليلة الهرير"[2]، وأعاد الفرس ترتيب الجيش ترتيباً جديداً وأقاموا ثلاثة عشر صفّاً يمين القلب ويساره وجمع المسلمون الجيش في ثلاثة صفوف من الأمام وللخلف، فجعلوا كتيبة الفرسان في المقدمة والرجالة من بعدهم والرماة في المؤخرة وأمر سعد أن يبدءوا الهجوم مع التكبيرة الثالثة، لكن عندما بدأ الفرس يطلقون وابلاً من سهامهم لم يتحمل القعقاع فانقض مع من في ركابه على العدو ومع أن هذا العمل يعد عصياناً في القوانين العسكرية، لكن عندما رأى سعد حماس القعقاع وسير الحرب قال : "اللهم اغفر له واغفر له وانصره" وانقضت قبائل نخع وبجيلة وكِنْدة عندما رأوا بني أسد الذين كانوا بدورهم قد انقضوا عندما رأوا القعقاع، وكان سعد يقول مع زحف كل قبيلة "اللهم اغفر لهم وانصرهم" وانقضت كتيبة الفرسان على مقدمة الجيش لكن الفرس ظلوا صامدين أمامهم كالحائط، وقاتلوا ببسالة وإقدام فلم تستطع

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص555-556.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص479.

خيول (المسلمين) التقدم وعندما رأى المسلمون هذا قفزوا من على الجياد وحلوا عليهم مترجلين.

وهجمت قبيلة حميضة على احدى الكتائب الفارسية المدرعة بالحديد تدرعاً كاملاً فلم تعمل السيوف في الدروع فصاح فيهم سيد القبيلة قالوا: لا تنفذ فيهم السيوف، فتملكه الغضب وحمل على أحد الفرس فدق ظهره بالرمح فلما رأى الآخرون هذا الصنيع تجرءوا وحاربوا ببسالة حتى قضوا على الكتيبة كلها[1].

وظل القتال محتدماً طوال الليل حتى أنهكتهم المعركة وتوقفت أيديهم وأرجلهم عن العمل عندما غشيهم النعاس وحينما لم يصل الأمر إلى النصر أو الهزيمة اختار القعقاع جماعة من رؤساء القبائل أولي بأس شديد معروفين ببسالتهم واتجه نحو قائد الجيش (رستم) ومعه قيس بن الأشعث وعمرو بن معد يكرب وابن ذي البردين وكانوا سادة قبائلهم فقالوا لأصحابهم "لا يكونوا هؤلاء أجد في أمر الله منكم"[2]. وزعماء القبائل الأخرى الذين بجانب بسالتهم كانوا من الفصحاء واالبلغاء وقفوا أمام قبائلهم يخطبون بحماس حتى أضرموا نار الحماس في الجيش كله ونزل الفرسان بين جنودهم ورموا السهام والأقواس واستلوا سيوفهم وتقدم الجيش كله كالسيل العرم ودفعوا الفيروزان والهرمزان إلى الوراء واقتربوا من رستم الذي كان جالساً على محفة العرش يقود جيشه في المعركة وعندما رأى هذه الحالة قفز من فوق عرشه وظل يقاتل بشجاعة فترة من الزمن وعندما أثخن بالجراح ولى هارباً تعقبه أحد الجنود وهو هلال بن علفة التميمي فإذا بحافة النهر أمامهم فرمى رستم بنفسه فيها وحاول أن ينجو بنفسه عائماً فاقتحمه عليه هلال وجره من رجله وخرج به إلى الشاطئ وأجهز عليه بالسيف ورمى هلال بجثته تحت حوافر البغال ثم صعد على محفته وصاح لقد قتلت رستم[3] وعندما

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص132؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص559-562.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص563.

(3) البلاذري، فتوح، ص258-259.

رأى الفرس عرش القائد خالياً من القائد فر الجند جميعاً واقتفى المسلمون أثرهم لمسافات طويلة وفرشت آلاف الأشلاء ميدان المعركة(1).

وظل عدد من القادة أصحاب الإمارات يحاربون بثبات في ميدان القتال بعد الهزيمة ومنهم من ضحى بنفسه برجولة مثل : شهريان وابن الهريد وفرخان الأهوازي وخسروشنوم الهمداني، أما الهرمزان وأهود وقارون (من القادة والفرس) فقد فروا هاربين، وكان قتلى الفرس بلا حصر بينما استشهد من المسلمين ستة آلاف على الأقل.

وكتب سعد إلى عمر رسالة عن الفتح وذكر فيها تفاصيل القتلى من الجانبين، وكان عمر منذ ذلك اليوم الذي بدأت فيه القادسية كان يخرج كل صباح بعد طلوع الشمس إلى ظاهر المدينة وينتظر مجيء الرسول (صلى اله عليه وسلم)، فخرج ذات يوم حسب العادة فرأى راكباً على ناقة قادماً نحوه فتقدم عمر وسأله من أين جئت ؟ وكان هو رسول سعد جاء ببشرى النصر وعندما علم أنه قاصد سعد بدأ يسأل عن أحواله وأخباره. فقال : لقد نصر الله المسلمين وعمر يحب معه ويستخبره حتى دخل المدينة فرأى القاصد أن كل رجل يأتي أمامه يسلم عليه ويناديه بلقب أمير المؤمنين، فارتجف خوفاً وقال "لماذا لم تخبرني أنك أمير المؤمنين فلا ارتكب هذه الحماقة" قال لا بأس عليك ولا تكف عن الكلام وهكذا وصل إلى المنزل وهو يمشي في ركابه، في المدينة ألقى ببشرى الفتح على الملأ وخطب فيهم خطبة مؤثرة، كانت فقرتها الأخيرة : "أنا لست ملكاً حتى استعبدكم فأنا نفسي عبد الله، وقد وضع عبء الخلافة على عاتقي، فمن سعادتي أن أقوم بعملكم وتنامون بسكينة في منازلكم ولو تكون رغبتي أن تحضروا على بابي فإن في هذا شقائي، وهذا ما أريد أن أعلمكم إياه بالعمل لا بالقول"(2).

وفي معركة القادسية التي حارب فيها العجم العرب المسلمين كان من بينهم من لا يريدون الحرب مطلقاً، لكنهم ألحقوا بالجيش كرهاً وقسراً وكثيراً منهم تركوا منازلهم وهربوا فجاء هؤلاء الناس بعد النصر إلى سعد وطلبوا منه الأمان فكتب سعد إلى باب

(1) ابن خياط، تاريخ، ص131-133؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص562.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص576.

الخلافة فاستدعى عمر الصحابة ليستشيرهم فوافقوا جميعاً على هذا الأمر وعلى هذا أعطى الأمان للمملكة كلها ورجع أولئك الذين تركوا منازلهم وهربوا من ديارهم ليسكنوها مرة أخرى وقد زاد الارتباط بالرعية حينما تزوج بعض الناس منهم[1].

وبعد فرار الفرس من القادسية أقاموا في بابل فقد كانت هذه المدينة مكاناً حصيناً أعدوا فيها جميع عتاد الحرب بكل طمأنينه وجعلوا الفيروزان على رأس الجيش، فأراد أن يذهب سعد إلى بابل سنة 15هـ/636م لاستئصالهم فأرسل عدة قادة في الطليعة لكي يمهدوا الطريق للجيش فسد بصيرى طريقهم عند برس وقد جرح في ميدان المعركة وفر إلى بابل وصالح بسطام رئيس برس وأقام لهم الجسور حسب المواقع حتى بابل لكي تمر عليها الجيوش الإسلامية بسهولة، وبالرغم من أن كبار قادة العجم مثل : نخيرجان وهرمزان ومهران ومهرجان وغيرهم قد اجتمعوا في بابل إلا أنهم ولوا هاربين في بداية المعركة، وقد أقام سعد نفسه في بابل وأرسل بعض القوات إلى الأمام بقيادة زهرة وجيش العجم الهارب من (بابل) قد أقام في (كوثى) وكان شهريار ابن الأمير قائداً لهم، وحينما مر زهرة بـ (كوثى) تقدم شهريار للقائه ونزل أرض المعركة ونادى أما من فارس مغوار منكم يخرج إلي، قال زهرة كنت أود أن أبارزك لكن بعد أن سمعت دعواك هذه فسيخرج إليك عبد وبعد أن قال هذا أومأ إلى نائل الذي كان عبداً لقبيلة تميم تقدم بفرسه أما شهريار فكان ضخم الجثة كالمارد، وعندما رأى نائل ضعيفاً ألقى الرمح في يده ولف يده حول رقبته فسحبه بقوة وألقى به على الأرض وقعد على صدره، وبالصدفة وقعت إبهام شهريار في فم نائل فعضه بقوة فتململ شهريار وانتهز نائل الفرصة وصعد على صدره وجلس عليه وبقر بطنه بالسيف وكان شهريار مزيناً بالأسلحة وفي حلة فاخرة فجرده نائل من درعه وسلبه وحملها ووضعها أمام سعد، فأمر سعد أن يأتي نائل متزيناً بتلك الملابس والأسلحة للعبرة والعظة فخرج على الجميع بعد

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص575-576.

أن تزين بأسلحة شهريار وملابسه الفاخرة فجالت في عيون الناس صورة لتقلب الدهر وتغير الأحوال[1].

و(كوثى) مكان تاريخي وفي ذلك المكان سجن النمرود فيه ابراهيم عليه السلام وكان لا يزال هذا السجن حتى تلك الأيام (أيام سعد) وذهب سعد لزيارته بعد ما ألقى التحية والصلاة ثم قرأ هذه الآية ﴿وتِلْكَ الأيام نُداولُها بَيْن الناس﴾[2]، وبعد (كوثى) كانت هناك مدينة بهره شير قريبة من العاصمة وتقيم بها كتيبة من الكتائب الملكية التي كانت تقسم كل يوم بأن "لا يزول ملك فارس ما عشنا"، وكان لكسرى هناك أسد[3] مستأنس لهذا كانوا يطلقون على هذه المدينة إسم بهره شير وعندما اقترب جيش سعد خرج ذلك الأسد في هياج فضربه هاشم قائد المقدمة بسيفه بمهارة فائقة فأرداه قتيلاً وقد قبّل سعد جبينه على هذه الشجاعة[4].

وتقدم سعد وحاصر بهره شير وانتشر الجيش في كل مكان وأسروا الآلاف، وقال شهرزاد دهقان "ساباط" لسعد ما الفائدة من أسر هؤلاء الفلاحين البسطاء؟ فدون سعد إسماءهم في الدفاتر وأطلق سراحهم، وقبل جميع الدهاقين الجزية لكنه لم يستول على المدينة فأستمر حصارها لمدة شهرين، وكان الفرس يخرجون من القلعة يقاتلون المسلمين، وذات يوم زاد حماسهم وتأهبوا للموت وخرجوا وهم يطلقون السهام فتصدى لهم المسلمون وكان زهرة أحد مشاهير القادة في مقدمة المعارك، وقد تحطمت حلقات درعه في أحد الأماكن فطلب إليه أن يغير درعاً جديدة بدلا من هذه الدرع، فقال : لست أنا من حسن الإقبال حتى أن يدع سهم العدو الجميع ويصيبني فإذا بأول سهم قد أصابه في المعركة ، وأراد المسلمون أن يخرجوه فرفض وقال "أنا حي ما دام هذا السهم موجود في جسدي" وتقدم للهجوم في هذه الحالة وقتل "شهربراز" أحد القادة المشهورين

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص138؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص620.

(2) سورة آل عمران، آية 140.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص622.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص622.

وفر الفرس بعد فترة وجيزة من القتال ورفع أهل المدينة راية الصلح[1].

وكان نهر دجلة هو الحائل بين بهرشير والمدائن، عندما تقدم سعد إلى بهرشير كان دجلة أمامه وقد حطّم الفرس الجسور التي أقاموها من قبل وجعلوها غير صالحة، وحينما وصل سعد إلى شاطئ دجلة فلم يكن هناك جسر أو قارب يحملهم فخاطب الجيش وهو يقول : "يا أخوة الإسلام إن العدو قد اعتصم منكم بالنهر فلو انتصرتم في هذه المعركة فلا عوائق بعدها" وبعد أن قال هذا ألقى بجواده في النهر فتجرأ الآخرون بعد أن رأوا هذا وقد ألقى الجميع بجيادهم في النهر مرة وأحدة، وعلى الرغم أن النهر كان هائجاً متموجاً، إلا أن الحماس والعزيمة قد منحت نفوسهم قوة التحدي فكانت الأمواج ترتطم بجيادهم وهم سائرون يواكب كل منهم الآخر فلم يحدث أي خلل في صفوف الميمنة والميسرة في الترتيب، وعلى الضفة الاخرى كان الفرس ينظرون إلى هذا المنظر المثير للعجب، وعندما اقترب الجيش من الشاطئ ظنوا أن هؤلاء ليسوا بشراً بل من الجان فلإذوا بالفرار وهم يقولون : "ديوان آمدند، ديوان آمدند"[2]، إلا أن القائد خرزاد قد صمد مع قليل من الجيش وعين كتائب من الرماة على المناهل ونزلت جماعة منهم في النهر لتسد طريقهم إلا أن المسلمين كانوا يتقدمون كالسيل فأزاحوا الرماة عن طريقهم كالغثاء وعبروا طريقهم للضفة، وكان يزدجرد قد أرسل النساء والأسرة الملكية إلى حلوان من قبل ولما سمع هذا الخبر غادر هو بدوره المدينة وعندما دخل سعد المدائن وجد الصمت سائداً في جميع أطراف المدينة فاعتبر وجاءت هذه الآيات على لسانه تلقائياً كم تركوا من جناتٍ وعيون، وزروعٍ ومقامٍ كريم، ونَعْمةٍ كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين [3].

ونصبوا المنبر مكان العرش الملكي في إيوان كسرى، وصلوا فيه صلاة الجمعة فكانت أول جمعة أقيمت بالعراق، ويتعجب فقهاؤنا من أن سعداً مع أنه كان من كبار

(1) ابن خياط، تاريخ، ص139-141؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص622-623.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص140-141؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص5-6.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص140؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص15-16.

الصحابة وظل سنوات في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم ينتهج نهج السلطان محمود (الغزوني) وعالمكبر عندما أبقى جميع التماثيل التي كانت في الإيوان[1].

3.4 فتح المدائن صفر سنة 16هـ/637م

أقام سعد بن أبي وقاص بالقادسية شهرين ليرتاح جيشه ولينتظر أمر الخليفة عمر ثم أجمعوا أمرهم على المسير إلى قاعدة ملك المدائن، فتوغل سعد في بلاد العراق واستولى على بهرشير وهي المدائن الدنيا على دجلة الغربية وهرب رؤساء الفرس فسار الهرمزان نحو الأهواز، والفيرزان إلى نهاوند وبقية الفرس إلى المدائن. وبعد فتح بهرسير توجه نحو المدائن فتركها أهلها وهرب منها يزدجرد وذهب بعياله إلى حلوان، أما بقية أهل المدائن من بقي فيها فأقاموا فيها راضين بالجزية والذمة بعد دخول المسلمين إليها، وكان هؤلاء في القصر الأبيض، وقد نزل سعد القصر الأبيض وصلى فيه صلاة الفتح وجعله مسجداً ودخله وهو يقول :" كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين"، وغنم منها المسلمون غنائم كثيرة من بينها بساط كسرى[2].

استمر الفتح في بلاد الفرس، ولم يستطع يزدجرد أن يلم شعث جنده ويستعد لملاقاة المسلمين من جديد إلا بعد مرور وقت طويل. وقد جرت الأحداث بعد فتح المدائن كالآتي :

معركة جلولاء سنة 16هـ/ 637م شمال المدائن :

أ- استعدادات كسرى: (يزدجرد بن شهريار) : لما هرب يزدجرد من المدائن إلى

---

(1) الطبري، تارريخ، ج4، ص15-16.

(2) البلاذري، فتوح، ص262؛ ابن خياط، تاريخ، ص133؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص8-10؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص356-361.

حلوان أعد جيشاً كبيراً ووضع عليه القائد مهران الرازي، وسار يزدجرد إلى حلوان وأرسل الجيش الذي جمعه إلى جلولاء فأقام فيها وحفروا حولها خندقاً كبيراً، وأحاطوه بمسك الخشب ثم استبدلوه بحسك الحديد. وأقاموا في العدد وآلات الحصار.

ب- استعدادات المسلمين : كتب سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر يخبره بما قام به الفرس، فكتب عمر إليه : أن يقيم سعد في المدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذي سيرسله لمقاتلة الفرس في جلولاء. ويكون على المقدمة : القعقاع بن عمرو وعلى الميمنة سِعر بن مالك، وعلى الميسر أخوه عمر بن مالك، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني. ففعل سعد وسار الجيش وتعداده 12 ألف.

جـ- أحداث المعركة : سار جيش المسلمين بقيادة هاشم بن عتبـة إلـى جلـولاء وحاصروا الفرس فيها. فأخذ الفرس يخرجون من جلولاء يقاتلون قتالاً شديداً ثـم يعودون إلى داخل الحصن والأسوار، وأخذ كسرى يرسل المدد إليهم، واسـتمر القتال على هذا النحو، وأخذ سعد يرسل المدد لابن أخيه هاشم المرة تلو الأخرى فأرسل إليهم مددا فيه: طليحة بن خويلد، وقيس ابن مكشوح، وعمرو بـن معـد يكرب، وحجر بن عدي وحمي القتال واضطرمت نار الحرب بين الطرفين، وقد تعاهد الفرس وحلفوا بالنار أنهم لا يفرون أبداً حتى يفنوا العرب. وشـد علـيهم القعقاع في آخر يوم من أيام القتال حتى وصل خندقهم وأحاط بهم المسلمون وفر الفرس وأخذهم المسلمون من كل وجه حتى قتلوا من الفرس مائة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى فلذلك سميت جلولاء وانهزم الفرس. وتبع القعقاع بن عمرو من انهزم من الفرس حتى تمكن من قتل مهران وهو هارب عند خانقين(1). وظل الفيرزان هارباً حتى وصل إلى يزدجرد فأخبره ما كان من خبر جلولاء.

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص136؛ البلاذري، فتوح، ص264؛ الطبري، تـاريخ، ج4، ص24-34؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص361-364.

فتح حلوان سنة 16هـ/637م

أ- على أثر معركة جلولاء هرب يزدجرد إلى الري، وأقام هشام بن عتبة بجلولاء عن أمر الخليفة عمر بن الخطاب في كتابة إلى سعد بن أبي وقاص.

ب- سار القعقاع بن عمرو إلى حلوان عن أمر عمر أيضاً لمساعدة المسلمين هنالك ومرابطاً لكسرى حيث هرب بعد أن عين على الفرس في حلوان "خُسْر وشنوم"، فتقدم إليه القعقاع وتقابل معه خارج حلوان وقاتله قتالاً شديداً انهزم على أثره الفرس وانتصر المسلمون ودخل حلوان وفرضوا الجزية على من حولها من البلدان بعد أن أبوا إلا الجزية بعد عرض المسلمين عليهم الإسلام أو الجزية. وبقي القعقاع فيها إلى أن تحول سعد بن أبي وقاص إلى الكوفة، وهرب خسر وشنوم إلى همذان(1).

فتح تكريت والموصل سنة 16هـ/637م

أ- وصلت الأخبار إلى سعد بعد فتح المدائن أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له : الأنطاق، فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب في أمر الموصل، فأمره عمر أن يرسل إليهم جيشاً لحربهم بقيادة عبد الله بن المعتم وأن يضع على مقدمته ربعى بن الأفكل العنزي، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلي، وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلي، وعلى الساقة هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة.

ب- سار عبد الله بن المعتم في خمسة آلاف إلى تكريت فحاصرها أربعين يوماً وكان قد اجتمع مع أهلها جماعة من الروم ومن نصارى العرب من أياد وتغلب والنمر، وقد انتصر المسلمون وقتلوا جميع أهلها من الفرس والروم ما عدا من أسلم من اياد وتغلب والنمر.

---

(1) خليفة بن خياط، تاريخ، ص139؛ البلاذري، فتوح، ص299؛ الطبري، تـاريخ، ج4، ص13؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص361-364.

جـ- بعد فتح تكريت سار ربعي بن الأفكل إلى الموصل بناء على أوامر الخليفة عمر، فحاصرها حتى وافق أهلها على الصلح فوقع الصلح وضربت عليهم الجزية(1).

فتح ماسبذان "وهي من أرض العراق على طريق همذان" سنة 16هـ/637م

تجمع الفرس في ماسبذان بقيادة إذين بن الهرمزان، فأرسل سعد بن أبي وقاص إليهم جيشاً بقيادة ضرار بن الخطاب بناء على أمر الخليفة عمر، فخرج ضرار من المدائن وعلى مقدمته ابن الهذيل الأسدي، فالتقى المسلمون مع إذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه فكر ابن الهذيل الفرس وأسر إذين ابن الهرمزان فقتله وهرب الفرس وتبعهم المسلمون إلى ماسبذان وهي مدينة كبيرة فأخذها عنوة. وضرب على من لم يسلم من أهلها الجزية(2).

فتح قرقيسياء وهيت سنة 16هـ/637م

(قرقيسياء على نهر الخابور. وهيت على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار). اجتمع أهل الجزيرة في هيت، فأرسل إليهم سعد بن أبي وقاص جيشاً بقيادة عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، فحاصرهم حيناً فلم يظفر بهم لأنهم كانوا قد حفروا خندقاً حول مدينة هيت، فترك على الجيش الحارث بن زيد، وسار هو إلى قرقيسياء فأخذها عنوة ودفعوا الجزية، ولما علم أهل هيت بفتح قرقيسياء وافقوا على الصلح مقابل الجزية(3).

فتح الجزيرة سنة 17هـ-18هـ/638-639م

(يراد بالجزيرة : الأرض ما بين دجلة والفرات من جهة الشام. وتشمل ديار بكر، ومضر، ومن مدنها الكبيرة : حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص141؛ البلاذري، فتوح، ص327؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص35-36؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص363-364.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص150؛ البلاذري، فتوح، ص304؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص37.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص37-40؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص366-367.

والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل) [1].

أ- سبب الإسراع في فتحها :

1- مساعدة عرب الجزيرة للروم بجنود كثيرة ضد المسلمين الذين كانوا يقاتلون الروم جهة حمص.

2- أراد الخليفة عمر أن يشغلهم عن مساعدة الروم بمهاجمتهم وفتح بلادهم.

ب- طلب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من سعد بن أبي وقاص في العراق إرسال جنود إلى الجزيرة وطلب منه أن يوجه الجيوش على النحو التالي:

1- أن يرسل سهيل بن عدي إلى الرقة من الجزيرة.

2- أن يرسل عبد الله بن عتبان إلى نصيبين وحران والرها.

3- أن يرسل الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ.

4- أن يرسل عياض بن غنم إلى الجزيرة مع أمراء الجيوش وإن حصل قتال أن يكون عياض أميراً على جميع الجيوش.

5- نفذ سعد بن أبي وقاص وصية الخليفة عمر وأرسل الجيوش إلى الجهة المعينة له. ولما سمع أهل الجزيرة بتحرك قوات المسلمين نحوهم تفرقوا عن الروم إلى بلدانهم، وعلى هذا الوجه فتحت الجزيرة على الصلح[2].

معركة نهاوند "فتح نهاوند" سنة 21هـ/641م

جمع يزدجرد جنود الفرس من كل أنحائها يريد إعادة الكرة بهم لاستعادة ملكه. "ونهاوند من بلاد الجبل ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان". جنوبي همذان. فكتب الخليفة عمر إلى النعمان بن مقرن يوليه محاربة المجتمعين بها وحشد إليه الجنود من البصرة والكوفة، فلما وصلت إليها الجنود رأوا بها جمعاً متحصناً في حصون قوية ولا يخرجون إلا إذا شاؤوا. فلما طال عليهم المطال جمع النعمان رجال النجدة والرأي في الحروب من جيشه واستشارهم في أمر قتال الفرس. فتكلم أكبرهم سناً عمر بن

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص53-56.

(2) ياسين، عبد علي، تاريخ صدر الإسلام، ص309.

تُبى[1] فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم ولا تخـرجهم وطـاولهم وقاتل من أتاك منهم، فرد رأيه. وتكلم عمرو بن معد يكرب مشيراً بمناهدتهم فقـالوا : إنما تناطح بنا الجدران والجدران لهم أعوان علينا. وتكلم طليحة الأسدي : فقال أرى أن نبعث خيلاً تُحدِقُ بهم ثم يرمونهم لينشبوا القتال ويحمسوهم فإذا استحمسوا واختلطـوا بهم وأرادوا الخروج برزوا إلينا استطراداً، فإننا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلنـاهم، إنا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذاك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها. فخرجـوا فحادونـا وجاددناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب. فقبل منه رأيه وأمر النعمان القعقـاع أن ينشب القتال ففعل، وتم ذلك الترتيب الحربي المتفق عليه، فخرجـت الفـرس يتبعونـه وحينذاك أمر النعمان بالهجوم فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً. وفي أثناء الموقعـة قتـل النعمان رئيس جند المسلمين فاخفوا موته واستلم الراية خليفته من بعده حذيفة بن اليمان ولم يأت آخر النهار حتى تمت الهزيمة للفرس واتبعت فصائل عليها القعقاع الهـاربين إلى همذان فدخلها المسلمون وملكوها وجاءهم رؤساء البلاد من الفرس وصالحوهم على همذان. أما نهاوند فإن المسلمين دخلوها عقب الهزيمة واحتلوا ما حولها. وكان يسمونه فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يكن بعده كبير حرب. ولما جاء البريد إلى عمر بـالفتح وباستشهاد النعمان بن المقرن بكى عليه بكاءً شديداً. وقد حدثت هـذه المعركـة سـنة 21هـ/641م، وقيل سنة 18هـ/639م ويرجح أنها سنة 21هـ ـ/641م والله أعلـم. وكانت قوات الفرس 150 ألف مقابل 30 ألف للمسلمين[2].

وبعد الأنتهاء من هذه المعركة إذن عمر بالأنسياح في بلاد الفرس كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس، فعين قادة الجيوش التي تذهب لافتتاح البلاد وأرسل بالألوية إلى أصحابها وهم :

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص147؛ البلاذري، فتوح، ص300-303؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص114؛ ابن كثير، البداية، ج7، ص120.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص147-148؛ البلاذري، فتوح، ص296-303؛ الطبـري، تـاريخ، ج4، ص138-139؛ ابن كثير، البداية، ج7، ص116-124.

1- الأحنف بن قيس التميمي وجهه إلى خراسان.
2- مجاشع بن مسعود السلمي ووجهه إلى اردشير خُرة وسابور.
3- عثمان بن أبي العاص الثقفي ووحهه إلى اصطخر.
4- سارية بن زنيم الكناني ووجهه إلى فَسَاودار بجرد.
5- سهيل بن عدي ووجه إلى كرامان.
6- عاصم بن عمرو ووجه إلى سجستان.
7- الحكم بن عمرو التغلبي ووجهه إلى مكران(1).

نتائج معركة نهاوند :

1- انتصار المسلمين وهزيمة الفرس وقتل قائدهم الفيرزان على يد القعقاع أثناء اللحاق به قرب همذان واستشهاد قائد المسلمين النعمان بن مقرن. وبجانب قائدهم الفيرزان قتل معه في المعركة وأثناء مطاردتهم بعد هزيمتهم ما يقرب من المائة ألف.
2- تعتبر هذه المعركة فاصلة في تاريخ فتح بلاد فارس حيث لم تقم للفرس بعدها قائمة وسار المسلمون بعدها يفتحون بلاد الفرس البلد تلو الأخرى ولم يقوا الفرس على مقاومتهم.
3- سميت هذه المعركة فتح الفتوح لعظمتها وما نتج عنها، ولعدم قيام حرب كبيرة بعدها وفتح المسلمون نهاوند عنوة ودخلوها بعد المعركة.
4- سمح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد هذه المعركة بالأنسياح في بلاد الفرس لفتحها وعين القادة والجهة التي سيتجه كل واحد منهم لفتحها.

وقد تم في عهد الخليفة عمر فتح الجزيرة سنة 18هـ/639م على يد عياض ابن غنم، وكان يقصد بالجزيرة ما بين دجلة والفرات من جهة الشام. فقد فتح حران والرها والرقة ونصيبين وسنجار والخابور وغيرها من المدن والبلدان. وتم فتح قم وقاشان وأصبهان صلحاً على يد عبد الله بن بديل. وفتحت الري على يد عروة بن زيد الخيل الطائي وفتحوا قومس صلحاً، وصالح أهل جرجان سويد بن مقرن كما صالحه أهل

(1) ابن خياط، تاريخ، ص147؛ البلاذري، فتوح، ص303؛ الطبري، تاريخ، ج4، 139 .

طبرستان وفتح المغيرة بن شعبة سنة 22هـ/642م اذربيجان عنوة واستمرت الفتوحات في هذه البلاد طيلة فترة خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما . كما تم فـتح قـزوين والديلم أيضاً[1]. أما ملك الفرس يزدجرد الثالث فقد ظل المسلمون يطاردوه ويـستولون على بلاده حتى أنه اضطر إلى الفرار إلى أقصى الحدود الشرقية متنقلاً بـين الـبلاد، وما زال أمره يضعف حتى قتل بخراسان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنـه سنة 31هـ/651م. وبموت يزدجرد زالت الدولة الساسانية وتحققت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملك الأكاسرة[2].

وقد رحب الفرس بالمسلمين حباً في الخلاص من ظلم حكامهم أولاً، ورغبة فـي إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانياً، ثم أملاً في تمتعهم بالحرية الدينية أخّر الأمر مقابل أن يدفعوا الجزية للمسلمين. ورحب سكان المدن من الصناع وأصحاب الحِرف والطبقة العاملة بالدين الإسلامي واعتنقه عدد عظيم منهم في حماسة كبيرة، وهم الـذين كـان ينظر إليهم باحتقار وازدراء. ولما يترتب على اعتناقهم الإسلام من تـركهم أحـراراً ومسأواتهم في الدين. وتبع سقوط الأسرة الساسانية تدهور الكنيسة، حتى أنه لـم يعـد لاتباعها مركز يجتمعون حوله فوجدوا السبيل سهلاً ميسوراً لاعتناقهم الإسلام. وبـذلك انتشر الإسلام ببلاد الفرس في سرعة مدهشة.

وعامل المسلمون من بقي من الفرس على دينه معاملة حسنة وظل هؤلاء يتمتعون بقسط وافر من الحرية الدينية بعد الفتح الإسلامي. كما كانت الدولة الإسـلامية تحـول دون التعرض لمعابدهم. وقام المسلمون بحماية الأهالي مقابل دفع مبلغ معين يؤديه كل فرد قادر على القتال يسمى الجزية أو جزية الرؤوس وهي ضريبة شخصية يدفعها أهل الذمة لقاء اعفائهم من خدمة الجيش. وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا الإسلام.

---

(1) البلاذري، فتوح، ص302-322.

(2) المصدر نفسه، ص307-309.

4.4 الفتوحات نحو الشرق :

بعد انتصار المسلمين في موقعة نهاوند لم يقم للفرس أمر، وانساح المسلمون في بلاد العجم وإذن لهم عمر في ذلك فافتتح المسلمون بعد نهأوند مدينة جَي، وهي مدينة أصبهان بعد قتال كثير وأمور طويلة، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفراً إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين، وفي سنة أحدى وعشرين افتتح أبو موسى قُم وقاشان، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان[1].

فتح الري:

أكبر قصبة من قصبات إقليم الجبل[2]، تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبل[3]. وقد تشاهد أطلالها على مسيرة خمسة أميال تقريباً إلى الجنوب الشرقي من طهران، وترجع الأهمية الجغرافية لهذه المدينة إلى وقوعها في المنطقة الخصبة بين الجبال والصحراء كما كانت منذ أقدم الأزمنة طريقاً للمواصلات بين غرب ايران وشرقها، وتتجه عدة طرق من مازندران إلى الري عند طرفها الشمالي[4]، ومن أشهر رساتيق الري رستاق روذة وفيه قرية كبيرة بهذا الإسم ورامين ولشادية وقوسين وهي عبارة عن مدن صغيرة، ومن أهم الأنهار التي تسقي الري : نهر موسى وهو وادي عظيم يأتي من بلاد الديلم، ونهر كرجة[5].

وبعد أن فتح العرب نهاوند وقسموا الغنائم كتب الخليفة عمر إلى عمار بن ياسر وكان والياً على الكوفة يأمره أن يبعث عروة بن زيد الطائي الخيل لفتح الري ودستين[6]، فخرج عروة على رأس ثمانية آلاف

---

(1) ابن الفقيه، مختصر، ص166؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص134.

(2) ياقوت، البلدان، ج6، ص30.

(3) ياقوت، البلدان، ج2، ص892؛ لسترنج، الخلافة الشرقية، ص249.

(4) مينورسكي "مادة الري" دائرة المعارف الإسلامية.

(5) ياقوت، البلدان، ج2، ص894؛ ليسترنج، الخلافة، ص251-253.

(6) ياقوت، البلدان، ج4، ص580.

مقاتل[1]. من أهل الكوفة، فتوجه عروة نحو حلوان ثم إلى همذان وأقاموا بها أياماً ثـم توجهوا بعد ذلك إلى الري وبساوة وكان في الري أمير من أمـراء الأعـاجم يـدعى داورين ازدهان وكان على رأس جيش يتألف من خمسين ألف، عشرة آلاف من أهـل بساوة، وعشرون ألف من الري، ومثلها من الديلم وعندما وصل المسلمون الري نزلوا على بعد ثلاثة فراسخ منها. وحمل المسلمون بأجمعهم على أهل الري والديلم فقتل من جيشهم[2] في المعركة زهاء سبعمائة وفر الباقون فبعث ملك الري يطلب الصلح علـى جزية سنوية قدرها ثلاثون ألف درهم على أن يدفع مقدما مائتي ألف درهم فوافق عروة على ذلك. وكان ذلك سنة أحدى وعشرين هجرية[3].

وبعد أن أتم عروة فتح الري أبقى رجلاً من عبد القيس يقال له ذكاء بن مـصعب فيها لأخذ الجزية كما أبقى معه ثلاثمائة فارس من أهل الكوفة لحفظ الأمن في المدينـة وسار عروة بالمسلمين إلى قم وقاشان وكان حاكم قم يومئذ وسنان فانهزم إلى قاشان ثم هرب منها إلى أصفهان وفيها يزدجرد ملك الفرس فتقدم المسلمون واحتلوا قم وقاشـان دون مقاومة وهرب يزدجرد إلى أصفهان[4]. ويذكر البلاذري عن أبي مخنف أنه بعـد ان انتصر عروة على الري وأهل الديلم ترك محله حنظلة بن زيد أخاه ورجـع إلـى الكوفة واستاذن عمار بن ياسر أن يتوجه إلى الخليفة عمر بن الخطاب ليخبره بالنـصر لأن عروة سابقاً أتى الخليفة عمر بن الخطاب بخبر واقعة الجسر فأحب أن يأتيه هـذه المرة بخبر النصر فلما بشره بالنصر سماه البشير[5]. ويظهر أن رواية أبـي مخنـف اختصرت الحوادث ولم تشر إلى فتح قم وقاشان، ويظهر أن عروة بعـد أن فـتح قـم

(1) البلاذري، فتوح، ص313؛ ابن الفقيه، مختصر، ص268-269.

(2) ابن أعثم، كتاب الفتوح، حيدر أباد، الـدكن 1968م، ج2، ص64-66؛ الـبلاذري، فتـوح، ص313؛ ابن الفقيه، مختصر، ص269؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص24.

(3) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص64-66.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص66.

(5) البلاذري، فتوح، ص313.

وقاشان رجع إلى الكوفة واستاذن ياسر بالسفر إلى المدينة لإخبار الخليفة عن الفتح.

بينما يذكر الطبري : أن نعيم بن المقرن كان في همذان وعندما سـمع أن أهـل الري، واذربيجان والديلم قد جمعوا جيشاً كبيراً لقتال العرب خرج نعيم على رأس جيش من واج روذ[1]، عدده اثنا عشر ألف جندي والتقى مع أبي الفرخان الزينبي أحد أمراء الفرس، وكان على رأس جيش من أهل الري واقبل اسفندياذ أخو رسـتم علـى رأس جيش من أهل اذربيجان وخرج هوثا على رأس جيش من الديلم وملك والري يومـذاك سيأوخش بن مهران بن بهرام شوبين، واشتبك الجيشان في سفح جبل الـري واقتتلـوا قتالاً شديداً وكان الزينبي في خلاف مع الملك فقال الزينبي لنعيم : "ان القوم كثيـرون وأنت في قلة، فابعث معي خيلاً ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به فبعث نعيم خيلاً عليها ابن أخيه المنذر بن عمرو فدخلوا المدينة عبر المسالك الجبلية ليلاً مباغتـة فلم يشعر أهل الري إلا بالتكبير من ورائهم وهكذا تمكن العرب من فتحها وأعطى نعيم بن المقرن الزينبي الأمان لأهل الري ومن معهم على أن يدفعوا مـائتي ألـف درهـم سنويا، وخرب نعيم بن مقرن مدينتهم القديمة وهي التي يقال لها العتيقة[2]. بينما يـذكر البلاذري أن حذيفة أعطى الأمان للزينبي على أهل الري ووومس على أن يكونوا ذمـة يؤدون الجزية والخراج ويدفعوا خمسمائة ألف درهم على أن لا يقتل مـنهم أحـداً ولا يسبيهم ولا يهدم لهم بيت نار وأن يكون أسوة مع أهل نهأوند في خـراجهم وصـالحه أيضاً على أهل دستبي الرازي وكانت دستبي قسمين قسماً رازياً وقـسماً همـذانياً[3]. ويمكن التوفيق بين رواية الطبري والبلاذري، إذ أن حذيفة أرسل نعيم ابن المقرن على رأس مدد لمساعدة عروة ابن زيد الطائي وجاء لفتحها مرة أخرى بعد أن نكث العهـد لأن الري انتفضت عدة مرات.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص148-149؛ العسلي، فن الحرب ص390.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص150؛ بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ، منشورات الأعلمي، بيروت، 1956، ج2، ص980-981؛ العسلي، فن الحرب، ص391-392.

(3) البلاذري، فتوح، ص314.

وبعد أن عزل الخليفة عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة وولى المغيـرة بن شعبة[1]، عين المغيرة كثيـر بن شهـاب الحارثي على الري ودستبي، فلما وصل وجد أهلها قد نقضوا العهد فقاتلهم حتى رجعوا إلى الطاعة ودفعوا الجزية والخـراج، وغزا الديلم وأخضعهم وغزا البير والطيلسان[2].

وفي ولاية سعد بن أبي وقاص في الكوفة في المرة الثانية أتى الري وكانت ثائرة فأصلحها وغزا الديلم وذلك في أول سنة خمسة وعشرين. ولم تزل الري منذ أن فتحت أيام حذيفة تنتفض وتفتح حتى كان آخر من فتحها[3] قرظة ابن كعب الأنـصاري فـي ولاية أبي موسى للكوفة على عهد عثمان فاستقامت[4]. ومات قرظة في عهد الخليفـة علي فولي علي بن أبي طالب على الري حجبة بن عامر بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة، فكسر الخراج فحبسه علي، ولما خرج من السجن لحق بمعاوية. ولما اسـتتب الأمـر لمعاوية ولي الري كثير بن شهاب مرة ثانية[5]. ولما ولي زياد الكوفة أبقى كثيراً على الري فغزا الديلم وكان معه عبد الله بن الحجاج التغلبي؛ وبما أن مقاتلة الكوفة هم الذين فتحوا الري لذا فهي مرتبطة بالكوفة إدارياً. وأن خراج منطقة الري كـان قبـل أيـام المأمون اثنى عشر مليون درهم ولا نعرف فيما إذا كان هذا الرقم قد استقر منذ الفتح أم في بداية الدولة العباسية. وعندما مر المأمون بها اسقط عنهم مليوني درهـم فأصـبح خراجها عشرة ملايين درهم[6].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص314؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص143-144.

(2) البلاذري، فتوح، ص314-315؛ العسلي، فن الحرب، ص392.

(3) البلاذري، فتوح، ص315؛ العسلي، فن الحرب، ص392.

(4) البلاذري، فتوح، ص315؛ اليعقوبي، تـاريخ، ج2، ص166-167؛ الطبـري، تـاريخ، ج4، ص150.

(5) البلاذري، فتوح، ص315؛ ابن الأثير، الكامل، ج4ن ص413-414.

(6) اليعقوبي، تاريخ، ص40؛ ابن الفقيه، البلدان، ص270.

أذربيجان :

إقليم جبلي، بارد كثير الأمطار والثلوج يجري فيه ثلاثة أنهار: نهر الرس، ونهـر الملك، ونهر الكر. وفي وسطها بحيرة كبيرة تسمى بحيرة ارمية (جيجن) تكثـر فيهـا الإسماك وفي وسطها جزيرة كبوذان فيها مدينة صغيرة يـسكنها الملاحـون، وحـول البحيرة قرى ورساتيق(1).

ومن أشهر مدنها : أردبيل، المراوعة، ونيريز، وأرمية، وكانت المراوغـة هـي العاصمة القديمة للإقليم(2). وهي مركز للزردشتية لأن المجوس يعتقدون أن صـاحبهم زردشت منها وبها بيت نار إذرجشنس وهو عظيم القدر عند المجوس(3).

حدودها : يحدها من الشرق بلاد الجبل والديلم وبحر الخزر "قزوين" ومن الجنوب العراق والجزيرة ومن الغرب حدود الآرمن واللات وقسم من الجزيرة ومـن الـشمال فاللات وجبل الغبق(4)، يكثر فيها الابريـسم لكثـرة دودة القـز، والكتـان والرقيـق، والزعفران والبغال والفاكهة وخاصة البلوط لكثرة الغابات(5).

وكان خراج إذربيجان ألفا ألف درهم(6). وقد احتلها المسلمون بدافع التوسع فبعـد أن احتلوا الري ونهاوند أصبح ضرورياً أن يحتلوا إذربيجان؛ لأن الفرس بعد انسحابهم من الري تجمعوا بها. ولأنها مركز معهـم للزردشـتية؛ لأن المجـوس يعتقـدون أن زردشت منها وبها بيت نار للمجوس(7)، وهو مهم جداً عند المجوس فلا بد من فتحهـا

---

(1) المقدسي، أحسن، ص378-389؛ ليسترنج، الخلافة، ص193.

(2)أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، تحقيق رينود وماك كـوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850م، ص387؛ بن حوقل، أبو القاسم بن حوقل العـصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص287؛ العسلي، فن الحرب، ص377.

(3) ابن الفقيه، البلدان، ص285-286؛ المقدسي، أحسن، ص373-374.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض، ص285؛ أبو الفداء، تقويم البلدان ، ص386.

(5) المقدسي، أحسن، ص380؛ ليسترنج، الخلافة، ص194.

(6) ابن الفقيه، البلدان، ص286.

(7) ابن الفقيه، البلدان، ص285-286.

لأنها تكون مركزاً خطراً للمجوس على حدود الدولة الإسلامية.

فتح أذربيجان

بعد أن فتح العرب الري كتب أهل الكوفة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يـشكون عمار بن ياسر ويطلبون عزله، فعزله الخليفة وعين المغيرة بن شعبة والياً عليهـا(1). ولما قدم المغيرة إلى الكوفة كان معه كتاب من الخليفة موجه إلى حذيفة اليماني يـأمره بالسير نحو اذربيجان لفتحها(2). وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين للهجرة وكـان حذيفـة يومئذ في نهاوند، فسار إلى إذربيجان وكان مرزبانها قد جمع إليه المقاتلة مـن أهـل باجروان وميمذ والزير والميانج والسراة والشيز فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ثم طلـب المرزبان الصلح من حذيفة على ثمانمائة ألف درهم واشترط أن لا يقتل أحد مـنهم ولا يسبي وأن يترك لهم حرية العبادة ولا يهدم لهم بيت نار ولا يتعرض لأكراد أبيلاسجان وسبلأن وساترودان فصالحه حذيفة على هذه الشروط(3).

ثم عزل الخليفة عمر حذيفة وولى عتبة بن فرقد السلمي فلما وصلها وجد أهلها قد نقضوا العهد فغزاها وأخضعها مرة أخرى وغنم وكان معه عمرو بن عتبة الزاهد(4).

بينما ذكر الطبري أن الخليفة عمر كتب إلى نعيم بن مقرن في الـري أن يرسـل سماك بن خرشة الأنصاري مع مدد إلى بكير بن عبد الله من إذربيجان فخرج سـماك ومعه عتبة بن فرقد، واشتبك العرب مع الفرس، وكان الفرس بقيادة مهـران، ومعـه اسنفندياذ، فانهزم مهران وأسر اسفندياذ(5)، ويظهر أن سماك بن حرشة ومعه عتبة بن فرقد ذهبا مع مدد بأمر الخليفة عمر أو المغيرة وإلى الكوفة أبي بكير بن عبد الله إلـى جانب القوة التي أرسلت من نهاوند بقيادة حذيفة ابن اليمان وعندما عزل الخليفة حذيفة

---

(1) البلاذري، فتوح، ص314؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص156-157؛ ابـن أعـثم، فتـوح، ج2، ص81؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص153-154.

(2) البلاذري، فتوح، ص321-322.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1، ص124-125.

(4) البلاذري، فتوح، ص322؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص982.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص153؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص27.

وعين عتبة بن فرقد بعد أن انتفضت إذربيجان مرة أخرى استطاع عتبة أن يهزم مهران. بينما يذكر الواقدي "أن المغيرة بن شعبة غزا اذربيجان من الكوفة سنة اثنتين وعشرين وفتحها عنوة ووضع عليها الخراج"[1]. ويظهر أن الواقدي اعتبر المغيرة مسؤولاً عن فتحها لأنه كان والياً على الكوفة ومقاتلة الكوفة هم الذين فتحوها وفتحت في عهده.

ولما ولي الخليفة عثمان بن عفان عزل عتبة عن اذربيجان وعين محله الوليد بن أبي معيط فنقض أهل اذربيجان العهد فحاربهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمة جيشه عبد الله بن شبل الأحمس فطلبوا الصلح وصالحهم على شروط الصلح مع حذيفة نفسها[2].

بينما يذكر ابن خياط : أنه في سنة خمس وعشرين للهجرة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولى محله الوليد بن عقبة بن أبي معيط[3]، وربما كان الوليد أميراً على الكوفة فلما نقضت إذربيجان العهد توجه إليها وأخضعها بنفسه ومعه الأشعث بن قيس.

ويذكر ابن خياط أيضاً أن اذربيجان ثارت مرة أخرى سنة ثمان وعشرين فأرسل أمير الكوفة الوليد بن عقبة بن عبد الله بن شبل فصالحهم على شروط حذيفة نفسها[4].

ويظهر أن الوليد أرسل عبد الله بن شبل مع مدد للأشعث بن قيس فأخضعهم وصالحهم على نفس شروط حذيفة وعتبة بن فرقد وأسكنها ناساً من العرب وأمرهم بنشر الإسلام[5].

وفي خلافة علي بن أبي طالب عين سعد بن سارية الخزاعي على إذربيجان ثم

(1) ابن الفقيه، البلدان، ص284؛ البلاذري، فتوح، ص322؛ اليعقوبي، البلدان، ص36.
(2) البلاذري، فتوح، ص323؛ بن دحلان، أحمد، الفتوحات الإسلامية، مكتبة السعادة، القاهرة، 1970، ج1، ص167.
(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص132.
(4) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص135.
(5) البلاذري، فتوح، ص324.

عزله، فعين الأشعث بن قس فلما قدمها وجد أهلها قد أسلموا وهدأت الحالةبها فبنى لها مسجداً وأسكنها عرباً من المصريين ومن أهل الشام وامتلكـوا الأراضـي واشـتغلوا بالزراعة[1] واستقرت الحالة في إذربيجان ولم نسمع بعد ذلك بقيام ثورة. أما وارداتهـا فمقدارها ألف ألف درهم[2].

فتح فارس :

سميت فارس بإسم ملكها فارس بن طهومرت[3]. وتقع بلاد فارس شرق العـراق وتحيط ببلاد فارس من جهة الغرب خوزستان ومن الشمال أصفهان ومن الجنوب البحر العربي ومن الشرق كرمان[4] ويجري فيها عشرة أنهـار ويتخللهـا خمـس بحيـرات مالحة[5]. تتألف من خمس كور : اصطخر وسابور، واردشير، ارجان، دار بجر[6].

كانت موطن الدولة الأخمينية وقاعدة حكومتها[7]. و ظهرت الدولـة الـساسانية بها واعتمدت عليها وركزت الدين الزردشتي بها، فهو الإقليم الرئيس الذي يعتمد عليـه الساسانيون وأهلها متمسكون بالساسانية فلما فتحها المسلمون بقيت متعصبة للساسانيين فثارت عليهم عدة مرات وهي إقليم صحراوي شديد البرودة شتاء وحار صيفاً[8]، وقـد قسم جغرافيوا العرب إقليم فارس إلى قسمين هما الأرض الحارة والأرض الباردة إلـى الجروم والصرود ويفصل بينهما خط يمتد شرقاً وغرباً[9]. وفيهـا جبـال وعـرة[10]،

(1) البلاذري، فتوح، ص322-325.

(2) ابن الفقيه، مختصر، ص286.

(3) ابن الفقيه، مختصر، ص195-196.

(4) أبو الفداء، تقويم، ص321؛ ابن حوقل، صورة، ص234.

(5) شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيـق أ. مهران، ليبسك، 1923، ص179.

(6) البلاذري، فتوح، ص379؛ ليسترنج، الخلافة الشرقية، ص284.

(7) ليسترنج، الخلافة، ص84.

(8) ابن الفقيه، البلدان، ص198.

(9) ابن الفقيه، البلدان، ص421؛ ليسترنج، الخلافة، ص284.

(10) الاصطخري، المسالك، ص98، 113؛ المقدسي، أحسن، ص435؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص821.

وطواصلاتها رديئة ومع ذلك فلها أهمية كبيرة لوقوعها على طريق الهند[1].

لما فتح العرب أصفهان انهزم يزدجرد إلى كهرمان واستعد الفرس لقتال العرب، فجمع شهرك مرزبان اصطخر مائة وعشرين ألفاً لقتال العرب حيـث كـان الجـيش العربي الذي كان يقوده سوار بن همام العبدي سبعة عشر ألـف مقاتـل بـين فـارس وراجل[2] وكانت نتيجة المعركة أن قتل قائد الفرس شهرك وانهزم الفرس، ثـم ولـى عثمان بن عفان بن عامر على البصرة فأكمل فتح كور فارس[3]. وفي خلافة علي بـن أبي طالب عندما قتل الحضرمي في البصرة واختلاف الناس على علي بن أبي طالـب طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج وأخرجوا سهل بن حنيف مـن فـارس وكان عاملاً عليها لعلي بن أبي طالب فولى عبد الله بن عباس بأمر على زيـاداً واليـاً على فارس فضبط فارس وكرمان[4] وبقي في فارس إلى أن صالحه معاوية سنة ثلاث وأربعين[5].

ولما تولى زياد على البصرة ولي عبد اله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص علـى فارس[6]. أما وارداتها فكانت 33 ألف ألف درهم[7].

فتح خراسان :

تعني خراسان البلاد الشرقية وكان هذا الإسم يطلق بوجه عام في القرون الوسطى على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى جبال الهند[8]، وخراسان في مدلولها الواسع هذا كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي، ما عدا

(1) ابن الفقيه، البلدان، ص197.
(2) البلاذري، فتوح، ص379؛ ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص73.
(3) البلاذري، فتوح، ص380؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص286.
(4) البلاذري، فتوح، ص380؛ اليعقوبي، التاريخ، ج2، ص166-167.
(5) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص422.
(6) الزبيدي، نسب قريش، ص188.
(7) ابن خرداذبة، المسالك، ص48.
(8) ليسترنج، الخلافة، ص423.

سجستان وقوهستان في الجنوب. وهكذا تكون حدودها الخارجية صحراء الصين والبامير من ناحية آسيا الوسطى، وجبال هند كوش من ناحية الهند[1]. وتقع خراسان في أقصى الشمال الشرقي من الدولة الإسلامية وهي تتصل ببلاد الترك والصين، يحدها شمالاً خبو وشرقاً أفغانستان وغرباً الغز وجرجان ومن الجنوب صحراء فارس وولاية قومس – العراق العجمي – وهي بلاد خصبة جداً[2]. وتمر بها أهم الطرق التجارية البرية المؤدية إلى الصين، كما تمر بها طرق التجارة إلى روسيه[3]، وهي غنية بمنتوجاتها[4].

وقد ذكرت المصادر منهم ملك نيسابور كنار، ملك مرو ماهويه، ملك سرخس راذويه، ملك ابيورد بهمنه، ملك نسا ابراز، ملك غرشستان بزاربنده، ملك مرو الروذ كبلان، ملك زابلستان فيروز، ملك كابل كبلشاه، ملك فرغانه اخشيد، ملك الريوشاران الريوشار، ملك الجوزجان كوزكان حداه[5]. وكثيراً ما كانت تحصل المنازعات بين هؤلاء الأمراء مما ساعد المسلمين على فتحها بسهولة ولكنهم لم يستطيعوا أن يسيطروا عليها في أول الأمر لبعدها عن البصرة، كذلك لا تبقى فيها القوات الإسلامية مدة طويلة بل تعود إلى قاعدتها في البصرة خاصة في فصل الشتاء تاركة حامية صغيرة غير قادرة على ضبطها، مما يؤدي إلى قيام ثورات خاصة في المقاطعات الجنوبية في فصل

---

(1) ليسترنج، الخلافة، ص423.

(2) ابن حوقل، صورة الأرض، ص358؛ سليم، المعجم الجغرافي، ص189.

(3) أهم الطرق التجارية التي تمر بها :

من مرو – طور – نيسابور – الري – همدان – كرمنشاه – حلوان – بغداد. ومن مرو طريق يجتاز الصحراء فيعبر نهر جيجون عند آمل ثم بخارا ثم سمرقند ثم ينشطر شطرين الأيسر يتجه إلى الشاش والثاني إلى زامين ثم فرغانة ثم يقطع نهر سيحون وينتهي أخيراً إلى صحراء الصين. انظر : ابن ا لفقيه، البلدان، ص25-29؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص25-027؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص341؛ ليسترنج، الخلافة الشرقية، ص423.

(4) خراسان غنية بالمعادن والمنتوجات الزراعية. انظر : اليعقوبي، البلدان، ص43؛ ابن حوقل، الأرض، ص365-368؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان، ص446.

(5) ابن خرداذبة، المسالك، ص29-30؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص296.

الشتاء. وما أن يأتي الصيف حتى يتقدم الجيش الإسلامي مرة أخرى للقضاء على هـذه الثورات(1). وقد استمرت هذه الحالة حتى نقل إليها زياد خمسين ألفا من مقاتلة البصرة والكوفة(2).

وتذكر المصادر العربية أن خراسان كانت مقسمة إدارياً إلى أربعة أرباع(3).

الربع الأول: نيسابور، قهستان، الطبسبي، هراة، بوشنج، بادغيس، طوس.

الربع الثاني: مرو الشاهجان، وسرخس، ونسان وبيـورد، مـرو الـروذ، الطالقـان، خوارزم، زم وآمل وهما على نهر جيجون.

الربع الثالث: وهو القسم الجنوبي ويشمل الفارياب والجوزجان، وطخارستان العليا وهي الطالقان والختل.

الربع الرابع: من شرق بلخ ما وراء النهر، بخـارا، الـشاش، الطرابنـد، والـصغد، والرويستان، اشروسنه، فرغانه، سمرقند(4).

ويظهر أن هذا التقسيم جاء متأخراً، في الفترة الأموية المتأخرة لأن ما وراء النهر لم تكن في أيام حكم زياد ضمن خراسان وهي تختلف عن خراسان جغرافيـاً وحـضارياً ولكن بعدما فتحها المسلمون اعتبرت ادارياً من خراسان.

وقد أدرك المسلمون أهمية خراسان فما أن تم فتح فارس وسجستان في عهد الخليفة عثمان بن عفان حتى تقدم عبد الله بن عامر والي البصرة لفتحها بنفسه نظـراً لأهميتهـا وذلك في سنة ثلاثين هجرية(5)، فاتجه ابن عامر إلى الطيسين يريد نيسابور، فـتم فـتح

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص297-300؛ فلهاوزن، تاريخ، الدولة العربية، ص416.

(2) البلاذري، فتوح، ص400؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص489.

(3) ابن الفقيه، البلدان، ص321؛ ابن خرداذبة، المسالك، ص18؛ يـاقوت، البلـدان، ج4، ص49؛ شيخ الربوة، نخبة، ص223؛ ليسترنج، الخلافة، ص424.

(4) ابن الفقيه، البلدان، ص321-322؛ ابن خرداذبة، المسالك، ص18-19؛ ياقوت، البلدان، ج2، ص409-410؛ ليسترنج، الخلافة، ص476.

(5) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص158؛ ابن قتيبة، المعارف، ص568؛ البلاذري، فتـوح، ص394؛ اليعقوبي، البلدان، ص44؛ المقدسي، البدء، ج5، ص195.

نصف نيسابور عنوة وطلب أهلها الصلح فصالحهم على ألف ألف درهم، وبعد أن فتح بن عامر نيسابور ولي عليها قيس بن الهيثم السلمي، واتجه هو لفتح نسا وابيورد ففتحها صلحاً على ثلاثمائة ألف درهم. وصالح ابن عامر طوس على ستمائة ألف درهم، وطلب مرزبان هراة الصلح من ابن عامر فصالحه على أهل هراة وبوشنج وبادغيس على ألف ألف درهم(1).

وأرسل ابن عامر قائده عبد الله بن خازم إلى سرخس فلما وصلها طلب زادويه مرزبانها الصلح فصالحها على مائة وخمسين ألفاً . كما أرسل ابن عامر قائده حاتم بن النعمان إلى مرو فلما وصلها طلب أهلها الصلح فصالحهم على ألفي ومائتي درهم(2).

ووجه ابن عامر قائده الأحنف إلى همستان ففتحها وبعدها توجه إلى مرو الروذ فقاتل أهلها ثم طلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم، ثم اتجه الأحنف لمحاربة طخارستان فوصل إلى موضع صار يسمى فيما بعد –قصر الأحنف- فصالحه أهلها على ثلاثمائة ألف درهم(3).

حاول أهل طخارستان نكث العهد وجمعوا جيشاً كبيراً من ثلاثين ألف مقاتل من أهل جوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم، وجاء أهل الصغانيان لمساعدتهم فتوجه إليهم الأحنف مع أربعة آلاف مقاتل من العرب وألف من المسلمين الموالي وحدثت مقاومة عنيفة فاضطر إلى الرجوع إلى مرو الروذ ثم فتح الأحنف الطالقان صلحاً على سبعمائة ألف وفتح بلخ صلحاً على أربعمائة ألف ثم وجه الأحنف الأقرع بن حابس التميمي إلى الجوزجان ففتحها عنوة وهناك سرايا صغيرة أخرى قامت بغزو المناطق المجاورة

---

(1) البلاذري، فتوح، ص394؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص167؛ المقدسي، البدء، ج5، ص195-198؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص124.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص140-141؛ البلاذري، فتوح، ص394؛ المقدسي، بدء، ج5، ص198.

(3) البلاذري، فتوح، ص394؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص167-168؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص124-125.

فاحتلت سمنجان التي تقع على حدود طخارستان ثم اتجه إلى خوارزم(1).

ولكن لم يستقر حكم العرب في بلخ أو في بلاد ما وراء النهر في هذه الفترة نظـراً لبعدها ووعورة مسالكها ولكن استقر حكمهم في هذه المناطق النائية بعد في زمن قتيبة بن مسلم الباهلي.

ثم رجع ابن عامر إلى البصرة وولى خراسان قيس بن الهيثم(2). وبعد عـودة ابـن عامر ثار أهل الطيسين وبادغيس وهراة وقهستان بقيادة قارن ولكن قيس ابن الهيثم عـاد إلى البصرة لسبب من الأسباب وترك في محله ابن خازم فاستطاع أن يقاتل قارن بجـيش لا يتجاوز الأربعة آلاف مقاتل بينما يقال أن جيش قارن كان أربعين ألفاً وكانت النتيجة أن قتل قارن وانهزم جيشه وأصاب المسلمون سبايا كثيرة، وكتب ابن خازم إلى ابن عـامر بالأنتصار فأقره على خراسان(3).

وقيل ان ابن عامر جعل خراسان بعد عودته بين ثلاثة الأحنف بن قيس وحاتم بـن النعمان الباهلي وقيس بن الهيثم(4).

وربما جعل الأحنف بن قيس وحاتم بن النعمان يديرون شؤون القبائل العربية إدارياً وقيس بن الهيثم تولى الأمور العسكرية، أو قسم خراسان بين القواد الثلاثة.

ولما اضطربت الأمور بعد مقتل عثمان واشتدت الحروب الأهلية بين علي بن أبـي طالب ومعاوية اضطربت الحالة في خراسان ولم يستطع المسلمون إرسال جـيش كبيـر إليها مما اضطر الحامية العربية التي كانت هناك إلى الأنسحاب للمشاركة فـي الحـرب الأهلية وتركت حامية صغيرة. وقد أدى انسحاب القوات العربية من خراسان أن يـستقل عدد كبير من الأمراء المحليين، وامتنعوا عن دفع الجزية وبذلك أصبحت خراسان مستقلة

(1) البلاذري، فتوح، ص399؛ اليعقوبي، تـاريخ، ج2، ص167-168؛ الطبـري، تـاريخ، ج4، ص296.

(2) البلاذري، فتوح، ص399؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص300.

(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص143-144؛ البلاذري، فتوح، ص369.

(4) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص142؛ البلاذري، فتوح، ص399.

عن الدولة الإسلامية[1].

وبعد أن استقرت الأمور واستتب الأمر لمعاوية أبن أبي سفيان استعمل قـيس بـن الهيثم بن الصلت السلمي على خراسـان وكان أهل بادغيس وهراة وبوشنج وبلخ[2]، وقد نكثوا العهـد، فلم يتعرض لأهل النكث، وحتى أهل الصلح وكان عليها حوالي سنة فلـم يستطع أن يسيطر على الثائرين ولم يتمكن من إعادة السيطرة العربية على خراسان ممـا اضطر معاوية لعزله، وولي خالد بن معمر عليها فلما مات الأخير بقصر مقاتل[3].

ونظراً لأهمية خراسان فقد كان معاوية يعين ولاة خراسان أي أنـه جعـل نفـسه المشرف المباشر عليها[4]، غير أن الاضطرابات التي استمرت أقنعته بوجـوب ربطهـا بالبصرة وجعل والي البصرة مسؤولاً عنها. وهكذا أصبح ابن عامر مرة ثانيـة مسؤولاً عن تعيين أمراء خراسان، ومن المعلوم أن ابن عامر هو الذي قام بفتحهـا أول مـرة[5]، ولذلك اكتسب معرفة بأحوالها وأوضاعها واستطاع إدارتها لقربها من البـصرة كمـا أن مقاتلة البصرة هم الذين فتحوا هذه البلاد لذلك كانوا مسؤولين عن إدارتها منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان[6]. ولذلك كانت واردات خراسان تذهب إلى البصرة[7]، وما أن أصـبح ابن عامر مسؤولاً عن خراسان حتى عين قيس بن الهيثم عليها فكان أهل بادغيس وهراة وبوشنج وبلخ قد نكثوا العهد فسار قيس إلى بلخ وضرب نوبهارها فطلبوا الصلح فصالحهم

---

(1) البلاذري، فتوح، ص399؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص314.

(2) البلاذري، فتوح، ص399.

(3) البلاذري، فتوح، ص399.

(4) البلاذري، فتوح، ص399؛ فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص393.

(5) خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص140-141؛ اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص166؛ الطبـري، تاريخ، ج4، ص314-315.

(6) البلاذري، فتوح، ص399؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص166-167.

(7) البلاذري، فتوح، ص399.

وفي هذا الوقت الحرج رجع قيس إلى البصرة عندما علم بقدوم أبن خازم إلى خراسان[1] ظناً منه أن ابن عامر قد أرسله لمحاسبته على تأخير الخراج، فغضب ابن عامر على قيس لتركه خراسان، ويظهر أن ابن عامر لم يرسل خازم لمحاسبة قيس لأنها ثائرة وعليـه أن يسيطر عليها ولأن المسلمين في هذا الوقت كانوا لا يهتمون بالخراج قدر اهتمامهم بفـتح البلاد والسيطرة العسكرية وضبط الأقاليم.

وعند غياب قيس عن خراسان تولى ابن خازم مسؤولية إدارة خراسان وأخضع أهل هراة وبوشنج وبادغيس[2]. ولكن يروي أبو مخنف : "أن ابن عامر أرسـل بـن زرعـة الكلابي إلى خراسان لما عزل قيس بن الهيثم"[3].

في هذه الفترة انشغل العرب بإدارة خراسان وضبط الأمن والاستقرار وهذا يتطلب جهداً كبيراً لذلك لم يحصل أي تقدم عسكري.

في هذا الوقت الذي يتطلب ضبط الأمن والاستقرار في خراسان عين زياد والياً على البصرة لذلك نجده يعير اهتماماً كبيراً لمنطقة خراسان ونظراً لبعد هذا الإقليم عن القواعد الإسلامية في البصرة والكوفة وصعوبة إرسال البعوث سنوياً فقد قرر زياد إنشاء قواعـد ثابتة تقيم فيها القوات الإسلامية بصورة دائمة لتسيطر على أقاليم الـشرق وتـدافع عـن الحدود وتقوم بتوسيع رقعة الدولة الإسلامية [4].

وعندما تولى زياد البصرة سنة خمس وأربعين للهجرة[5]، كانت خراسـان تابعـة

---

(1) البلاذري، فتوح، ص400؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص314-315.

(2) البلاذري، فتوح، ص400.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص314.

(4) الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنـصار، القـاهرة، 1977، ص175.

(5) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص192؛ ابن قتيبة، المعارف، ص211؛ وكيع، محمد بن خلف بـن حيان (ت 306هـ)، أخبار القضاة، ج1، ص291؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص229.

للبصرة فاختار لها الحكم بن عمرو الغفاري[1]. وهو من قـدماء المـسلمين وذو كفـاءة ومقدرة عسكرية[2].

ونظراً لأهمية خراسان ولزيادة الإشراف عليها لم يكتف زياد بتعيين الوالي فقط بل كان يعين حكاماً للمقاطعات الصغيرة والكور ليضمن السيطرة عليها، فولى أمير بن أحمد اليشكري مرو فكان أول من وطن العرب مرو[3]. ثم ولّى زياد بعده حارثة بن بـدر بـن غدان، وخليد بن عبد الله الحنفي ابرشهر – نيسابور – ونافع بن خالد الطاحي على هـراة وبادغيس وبوشنج وقاوس. وقيس بن الهيثم على مرو والطالقان والفاريات[4].

ويظهر أن الأمراء الذين عينهم زياد على خراسان مع الحكم الغفـاري كـانوا إمـا مسؤولين عن الخراج أو لمساعدة الحكم على إدارة بعض المقاطعات وفي الوقت نفـسه يكونون مسؤولين عن الفتوحات في مناطقهم. وهكذا يكون الحكم بن عمرو قائداً عاماً أما بقية القواد فكانوا تابعين له على الرغم من أن زياد هو الذي عينهم.

وفي سنة سبع وأربعين هجرية فتح الحكم بن عمرو جبال الغور وفرأوندة عنوة وغنم غنائم كثيرة وسبايا. ثم غزا الحكم جبل الأشل وقد لاقى المسلمون صعوبة كبيرة بفتحهـا كادت تؤدي إلى هلاكهم[5].

وحمل الحكم بن عمرو الغفاري المهلب مسؤولية الحرب واستطاع الأخير بحيله أن يخرج من هذه الأزمة إذ قبض على أحد عظمائهم فدلهم على طريق اسـتطاعوا بهـا أن يخرجوا من الوادي الضيق ويحتلوا الجبل، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة ثم رجع الحكم إلى مرو ومات بها. ولما حضرته الوفاة استخلف انس بن أبي أناس، ولكن زياداً كتـب

---

(1) البلاذري، فتوح، ص400؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص229.

(2) الطبري، تاريخ، ج2، ص224.

(3) البلاذري، فتوح، ص400؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص226.

(4) البلاذري، فتوح، ص400؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص285-286؛ الريس، الخراج، ص175.

(5) البلاذري، فتوح، ص400؛ الطبـري، تـاريخ، ج5، ص229؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، ج3، ص455-456.

إلى خليد بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان[1].

ثم ولى زياد بعد ذلك الربيع بن زياد الحارثي[2]، وهو من أهل اليمن ومن أبرز قواد المسلمين وكان قد قاتل مع عبد الله بن عامر في خلافة عثمان بن عفان ثـم قـام بنفـسه بإكمال فتح سجستان وكرمان[3].

ويروي المدائني أنه عندما عين زياد الربيع على خراسان نقل معه خمـسين ألـف مقاتل مع عائلاتهم وأسكنهم خراسان، وهم خمس وعشرون ألفاً من أهل البصرة و مثلهم من الكوفة وعلى رأس أهل البصرة الربيع وعلى رأس أهل الكوفة عبد الله بـن عقيـل وعلى الجماعة الربيع بن زياد الحارثي[4].

بينما يذكر البلاذري : "أن زياداً حول خمسين ألفاً من عائلاتهم من أهل المـصرين إلى خراسان"[5]. دون أن يعين نسبة كل منهما.

ويبدو أن رواية المدائني في البلاذري أعلاه ضعيفة؛ لأنه كان في خراسـان زمـن قتيبة (حوالي 96هـ/794م) خمسون ألفاً من العرب، منهم عشرة آلاف فقط مـن أهـل الكوفة وكانوا وحدة قائمة بذاتها. أما الباقون فكانوا من أهل البصرة وهم مقسمين أخماساً كتقسيم البصرة[6]، وليس هناك أي دليل على أن أهل الكوفة انسحبوا بعد زياد[7].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص400؛ البلاذري، أنساب، ج4، قسم 1، ص192؛ الطبري، تـاريخ، ج5، ص226.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص110؛ البلاذري، أنساب، ج4، قسم1، ص162؛ البلاذري، فتوح، ص400.

(3) البلاذري، فتوح، ص385-396.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص226؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص489.

(5) البلاذري، فتوح، ص400؛ النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، بيروت، 1963، ص231.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص512.

(7) العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البـصرة فـي القـرن الأول الهجـري، بيروت، 1969، ص44.

وكان التنظيم على أساس الأخماس[1] فضلاً عن أن مقاتلة البصرة هم الذين فتحوها[2]. فهي إدارياً تتبع البصرة لذلك كانت خراسان وثيقة الصلة بالبصرة. وكان لهذا الاستيطان أهمية كبيرة فقد أصبح هناك حامية ثابتة من خراسان، كما ثبت الحكم العربي فيها وكذلك عمل على صد الثورات وقمعها[3]. فلقد كان العرب يقومون بالفتح في الربيع والصيف وتعود قواتهم إلى قواعدها في الشتاء[4] كما ذكرنا سابقاً لذلك لم يستطع العرب السيطرة التامة على خراسان؛ لأن سحب القوة منها في الشتاء وترك حامية صغيرة كان يشجع على قيام الثورات باستمرار.

إن نقل زياد هذا العدد الكبير إلى خراسان أدى إلى تثبيت الحكم واستطاع بسهولة قمع أي ثورة تحدث وذلك لوجود حامية قوية. كما أن وجود هذا العدد الكبير من الجيش العربي جعل من خراسان قاعدة للتوسع نحو المشرق فمنها كانت تجهز الجيوش وترسل إلى فتح بلاد ما وراء النهر[5]. وأدى استيطان العرب في هذه المنطقة إلى نشر الدين الإسلامي حيث احتك بأهل البلاد المفتوحة وعمل على نشر الدين الإسلامي فيها، كما أدى إلى نشر اللغة العربية[6]، والثقافة العربية حيث بنيت المساجد وقامت هذه المساجد بتعليم القرآن والحديث والعلوم العربية الأخرى[7]. ولكن لم يسد في خراسان سلام قط. فقد كان العرب في صراع مستمر مع الفرس والترك وفي فترات الهدوء كانوا يحاربون بعضهم بعضا فأصبحت خراسان أشبه بجزيرة عربية ثانية مع فرق أن هذه كانت أرض الأعداء وظروفها أكثر تعقيداً وأحداثها أوسع نطاقاً[8]. واستمرت العصبية القبلية بينهم مما أدى

(1) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص44.
(2) البلاذري، فتوح، ص394.
(3) الريس، الخراج، ص175.
(4) البلاذري، فتوح، ص400؛ النص، العصبية، ص225.
(5) البلاذري، فتوح، ص401.
(6) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص416-417.
(7) المصدر نفسه، ص435.
(8) المصدر نفسه، ص394.

إلى زعزعة الدولة الأموية[1].

وعندما وصل الربيع خراسان مع هذا العدد الكبير من العرب أسكنهم دون النهر، والربيع أول من أمر الجند بالتناهد، ولما بلغه مقتل حجر بن عدي الكندي حزن حزناً شديداً ومات بعد فترة قليلة وكانت إمارته على خراسان سنتين وأشهر وكان موته سنة ثلاث وخمسين، واستخاف ابنه عبد الله بن الربيع وكان قد قاتل أهل آمل وزم ثم صالحهم[2]. ورجع إلى مرو ومات بها بعد أن ولي شهرين، واستخاف عندما حضرته الوفاة خليد بن عبد الله الحنفي، ومات زياد وخليد أمير على خراسان، غير أن معاوية ولى عبد الله بن زياد على خراسان وكان عمره خمساً وعشرين سنة فقطع النهر في أربعة وعشرين ألفاً، واتجه إلى بخارى وكانت خاتون ملكتهم في مدينة بخارى فاستنجدت بالترك ولكن المسلمين استطاعوا أن يهزموهم فطلبت خاتون الصلح فصالحهم على ألف ألف درهم ودخل المدينة. ويقال أن عبيد الله هاجم بيكند، ولكن لم يستقر حكم العرب فيها، إلا أن قتيبة الباهلي فتحها فيما بعد[3].

أما واردات خراسان فكانت 44.846.000 درهم في السنة[4].

فتح سجستان :

تقع إلى الجنوب من بلاد ما وراء النهر وإلى الشرق من خراسان إذ يحدها من الغرب خراسان ومن الجنوب المفازة بين فارس وكرمان ومن الشرق المفازة التي بين مكران والسند ومن الشمال الهند[5]. ومن مدنها زالق، كركويه، وزرنج، وروشت، وباسورد والقرنين[6]. وقد تم فتحها في خلافة عثمان بن عفان، فعندما توجه بن عامر لفتح

---

(1) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص394.

(2) البلاذري، فتوح، ص400.

(3) المصدر نفسه، ص401.

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص39.

(5) ابن حوقل، الأرض، ص347؛ أبو الفداء، تقويم البلدان ، ص340.

(6) ابن خرداذبة، المسالك، والممالك، ص50.

خراسان نزل في طريقه كرمان وأرسل الربيع بن زياد الحارثي إلى سجستان لفتحها فنزل الربيع في الفهرج ثم قطع المفازة ونزل قرب مدينة زالق التي تبعد خمسة فراسخ عن سجستان[1]. فهاجمها إلا أن دهقانها طلب الصلح على مقدار من الذهب والفضة، ويذكر ابن خياط أن الربيع صالحهم على ألف درهم[2]، ومن المحتمل أن دهقانها صالحة على مقدار من الذهب والفضة وألف درهم.

ثم نزل قرية "كركويه" التي تبعد خمسة أميال عن زالق فطلب أهلها الصلح فصالحهم ولم يقاتلهم، ثم إنه اتجه إلى زرنج فنزل زرشت التي تبعد ثلثي ميل خارج زرنج فقاتله أهلها قتالاً شديداً حتى اضطر المسلمون إلى التراجع ثم هاجموها مرة أخرى فأجبروهم على التقهقر داخل المدينة ثم توجه الربيع إلى ناشروز فقاتل أهلها وانتصر عليهم ثم اتجه إلى قرية شرواذ فانتصر عليهم أيضاً وبعدها حاصر مدينة زرنج وبعد أن قاتل أهلها قتالاً عنيفاً طلب مرزبانها الصلح فصالحه الربيع على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب فدخل الربيع المدينة وأقام بها سنتين ونصف[3].ويقال أنه سبى فيها أربعين ألف رأس[4]، وبعد أن نكث أهل زرنج العهد أرسل بن عامر عبد الرحمن بن سمره بن حبيب إلى سجستان فحاصر مرزبانها في قصره فصالحه على ألفي ألف درهم وألفي عبد ثم استولى عبد الرحمن على الطريق ما بين زرنج وكش من ناحية الهند وغلب على الطريق المؤدي إلى بلاد الدوار حتى حاصروها فطلبوا الصلح فصالحهم وكان مع عبد الرحمن ثمانية آلاف فأصاب كل مقاتل من الغنائم أربعة آلاف. ثم فتح بست وزابل[5]. وعندما اضطربت الأمور في الأيام الأخيرة في عهد عثمان رجع إلى البصرة وترك محله أمير بن أحمد اليشكري. ولما اشتدت الفتنة بعد مقتل عثمان طرد أهل زرنج أمير اليشكري

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص140؛ البلاذري، فتوح، ص385؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص43.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص140؛ البلاذري، فتوح، ص386.

(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص140؛ البلاذري، فتوح، ص386؛ اليعقوبي، البلدان، ص45.

(4) البلاذري، فتوح، ص386.

(5) البلاذري، فتوح، ص386؛ اليعقوبي، البلدان، ص45.

وأغلقوا المدينة[1]، واشتغل حسكة بن عتاب الحبطي وعمران بن الفضل فخرجا في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق وقد نكث أهلها فحاربوهم وأصابوا مالاً فخافهم مرزبانها، لذا طلب مرزبانها الصلح فصالحوه ودخلوا المدينة[2]. فبعث الخليفة علي بن أبي طالب عبد الرحمن الطائي فقتله حسكة، فكتب علي إلى عبد الله بن عباس أن يولي سجستان رجلا في أربعين ألف فارس فأرسل ربعى بن الكحاس العنبري على رأس جيش يتألف من أربعة آلاف مقاتل فلما وصلوا إلى سجستان خرج إليهم حسكة وعمران فقاتلوهم قتالاً شديداً فقتل حسكة وضبط ربعي البلاد[3].

ولما استتب الأمر لمعاوية ولى على سجستان عبد الرحمن بن سمرة لمعرفته بطبيعة المنطقة لأنه سبق وأن شارك في فتحها في أيام الخليفة عثمان بن عفان كما ذكرنا سابقاً، فرجع إليها مرة ثانية وبقى أميراً عليها[4]، حتى ولى زياد البصرة فأقره عليها أشهراً ثم عزله وولى الربيع بن زياد على سجستان[5]، وهو أول من فتحها في خلافة عثمان[6]. وقاتل الربيع رتبيل في بست فهزمه وأتبعه حتى أتى الرخج وقاتله بالرخج فهزمه وسار حتى بلاد الدوار[7]، ثم عزل زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي عن سجستان وولى محله عبيد الله بن أبي بكرة فطلب رتبيل الصلح عن بلاده وبلاد كابل على ألف ألف ومائتي ألف درهم، فرجع عبيد الله إلى زياد فأعلمه بذلك فوافق على الصلح فرجع عبيد الله إلى سجستان وعقد الصلح مع رتبيل، وبقى أميراً عليها إلى أن مات زياد فولى معاوية

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص159؛ البلاذري، فتوح، ص386؛ العسلي، فن الحرب، ص418.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص161؛ البلاذري، فتوح، ص387؛ العسلي، فن الحرب، ص419.

(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص183؛ البلاذري، ص387؛ العسلي، فن الحرب، ص419.

(4) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص189؛ البلاذري، ص388؛ العسلي، فن الحرب، ص420.

(5) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص192؛ البلاذري، ص388.

(6) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص140؛ البلاذري، فتوح، ص385؛ .

(7) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص192-193؛ البلاذري، فتوح، ص389؛ العسلي، فن الحرب، ص422.

محله عباد بن زياد[1]. وفي سنة ثلاث وخمسين غزا قندهار حتى وصل بيت الذهب فجمعت له الهند قوة كبيرة فقاتلهم وهزمهم ولم يزل على سجستان حتى مات معاوية، فلما ولى يزيد بن معاوية عزل عباد عن سجستان وعين محله سلم بن زياد[2].

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص205؛ البلاذري، ص389.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص206؛ البلاذري، ص389.

الفصل الخامس

العراق بعد الفتح الإسلامي

1.5 موقف سكان العراق من الفتح الإسلامي :

1- الفرس:

قاوم الفرس وهم حكام العراق الجيوش الإسلامية مقاومة عنيفة وحشدوا الجيوش الكبيرة للوقوف في وجه العرب ولكن هذه المقاومة لم تلبث إلا قليلاً حتى انهارت أمام ضربات المسلمين القوية فاندحر الفرس في القادسية والمدائن وجلولاء وفي جلولاء جمعوا مل كا تبقى لهم من قوة وحاولوا محاولة أخيرة استرجاع العراق ولكنهم فشلوا وتم للعرب تحرير أرض السواد كلها ولكن الفرس لم ييأسوا بل حاولوا محأولة ثانية في نهأوند وحشدوا كل ما تبقى لهم من قوة ولكنهم منوا بهزيمة منكرة لم تقم لهم بعدها قائمة فتحطمت قواهم وزال نفوذهم وخضع العراق للحكم العربي.

هذا ما كان من الدولة الفارسية أما الفرس من سكان العراق الذين فضلوا البقاء في أملاكهم وأراضيهم فقد دخل كثير منهم منذ بدء الفتح في الصلح مع العرب ودخلوا الدين الإسلامي ومنهم من بقى على دينه بدفع الجزية للمسلمين(1)، فقد أسلم بعد معركة جلولاء بعض الدهاقين من الفرس وهم جميل بن بصهري دهقان الفلاليج، والنهرين، وبسطام بن نرس دهقان بابل، وخطرنيه، والرفيل دهقان العال، وفيروز دهقان نهر الملك، وكوثى وغيرهم فلم يتعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الأرض من أيديهم وأزال الجزية عن رؤوسهم وفرض لهم العطاء(2).

لم يكن هؤلاء الدهاقين وحدهم قد سارعوا إلى مصالحة العرب والدخول في دينهم بل سبقتهم فئات من الجنود الفارسية. ففي معركة القادسية انضم إلى جيش المسلمين جماعة من الفرس وقاتلوا الفرس معهم فمنهم من أسلم قبل القتال ومنهم من أسلم بعد

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص268.

(2) البلاذري، فتوح، ص265.

القتال[1]. وبعد القادسية انضم إلى جيش سعد بن أبي وقاص أربعة آلاف من الديلم كانوا قد تخلفوا عن الجيش الفارسي وطلبوا من سعد أن يسمح لهم بالأنضمام إلى جيش المسلمين بعد أن يدخلوا الإسلام فوافق سعد على طلبهم واشتركوا مع المسلمين في معركة جلولاء وسكنوا الكوفة بعد تمصيرها[2]، وانضم إلى العرب كثير من الفرس الذين ساعدوهم ولم يكونوا قد أسلموا فلما رأوا انتصارهم وانهزام الفرس وقتل رستم، استجابوا للمسلمين ودخلوا الدين الإسلامي. قال الديلم ورؤساء المسالح الذين استجابوا للمسلمين وقاتلوا معهم على غير الإسلام "إخواننا الذين دخلوا في هذا الأمر من أول الشأن أصوب منا وخير لا والله لا يفلح أهل فارس بعد رستم إلا من دخل في هذا الأمر فأسلموا"[3]. وآخرون أسلموا بعد أن رأوا قوة المسلمين وانتصاراتهم على الفرس وأن الدولة الفارسية على حافة الأنهيار فراسلوا العرب وطلبوا إليهم الدخول معهم في الإسلام من هؤلاء سيان الاسواري وكان على مقدمة جيش يزدجرد فقد أرسل إلى أبي موسى الأشعري يعلمه أنهم أحبوا الدخول في الإسلام واشترط على ذلك شروطاً قال : "أنا قد أحببنا الدخول معكم في دينكم على انه أن نقاتل معكم عدوكم من العجم على أن وقع بينكم اختلاف لن نقاتل بعضكم مع بعض وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا وأعنتمونا عليهم على أن ننزل بحيث شئنا من البلدان ونكون فيمن شئنا منكم على أن نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الأمير". فلم يرض أبو موسى الأشعري وكتب إلى عمر بأمره، فأمر عمران أن يعطيعهم كل ما طلبوه ونزلوا بعد ذلك البصرة[4]، وأسلم كثير من الأسرى الذين وقعوا بأيدي العرب وسكنوا العراق وارتبطوا مع العرب المسلمين برباط الولاء ورباط الدين[5]. أضف إلى ذلك أن كثيراً من الموظفين الفرس

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص12.

(2) البلاذري، فتوح، ص27.

(3) المصدر نفسه، ص134.

(4) المصدر نفسه، ص366.

(5) فلهاوزن، الدولة العربية، ص391.

الذين بقوا في مراكزهم مفضلين ذلك على خروجهم فلما خضعوا للعرب أبقوهم في مراكزهم بإبقاء العرب النظام الإداري والمالي على حال ما وجدوه فأدى ذلك إلى إسلام كثير منهم تقرباً من السلطة الحاكمة[1]. ومنهم من بقي على دينه ولم يجبر على الإسلام، ذكر صاحب الأموال أن رجلاً قال لعبد الله بن عمر بن الخطاب "أندفع صدقات أموالنا إلى عمالنا، فقال : نعم، فقال : أن عمالنا كفار"[2]. وأخاص هؤلاء الموظفون في أعمالهم ونفذوا أوامر أمير العراق لتثبيت سلطانه واستندوا عليه لما قد يحصلون عليه من رواتب ومنافع مادية أخرى. استعمل زياد بن أبيه الموالي في جباية الخراج[3]. كما أفرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفصحين وكان يقول "ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج"[4]. ولم يقتصر استخدام الفرس على أمور الخراج والأعمال الإدارية الأخرى بل كانت غالبية الشرط في الكوفة والبصرة منهم[5].

تمتع الموالي بحرية التملك فكان منهم من يملك الملايين من الدراهم ويمتلك القرى والضياع. ذكر الطبري أن الحجاج سأل فيروز حصين وكان قد اشترك في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث أن يكتب له أمواله فذكرها ألف ألف ألفي ألف وذكر مالاً كثيراً فقال الحجاج أين هذه الأموال قال عندي[6].

وصفوة القول أن موقف الدولة الإسلامية من الفرس في العراق من أسلم منهم ومن لم يسلم كان في غاية التسامح ولين المعاملة فكانت لهم الحرية الشخصية في عقيدتهم وتعبدهم وأدت هذه السياسة إلى اندفاع الفرس إلى اعتناق الإسلام وكان

---

(1) فلهاوزن، الدولة العربية، ص32.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص549.

(3) اليعقوبي، التاريخ، ج2، ص209.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص158.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص158.

(6) المصدر نفسه، ج8، ص34.

إسلامهم أول الأمر بدافع الرغبة الذاتية والمصلحة الشخصية، ولم يكن عن عقيدة وإيمان لما قد يحصلون عليه من وراء دخولهم من منافع مادية. ومجاراة للسلطة الحاكمة قال فلهأوزن جذب الإسلام الفرس أول الأمر للمنافع التي يجلبها أكثر من جذبه لذاته واستعملوه للتقرب من الطبقة الحاكمة لمشاركتها في مزاياه ولتعريب أنفسهم اتخذوا إسماء عربية ودخلوا في القبيلة العربية وتزلف للعرب الأفراد الطامعون منهم[1].وقول فلهأوزن هذا ينطبق على الذين دخلوا الإسلام في بدء عملية الفتح ولكن الحال تغيرت بعد أن ثبتت أقدام المسلمين الفاتحين فجذب الإسلام الفرس واعتنقوه عن رغبة صادقة وإيمان ورغبة.

2- النبط :

انصرف النبط وهم عامة سكان قرى السواد منذ خضوعهم للفرس إلى الاشتغال بالزراعة فلم يكن لهم رأي في إدارة البلاد والدفاع عنها وتركوا الأمور تسير حيثما شاءت فقد عولوا على أن يكونوا سامعين مطيعين لكل حاكم فهم كما قال أحد زعماء الحيرة لخالد بن الوليد "ما نحن إلا كعلوج السواد عبيد لمن غلب"[2].

وقف هؤلاء أول الأمر من الفتح الإسلامي موقفاً ينم عن ولائهم للفرس ولكنه في الحقيقة لم يكن ولاء بل كان احتماء بهم من هذه الجيوش التي جاءتهم من الجزيرة العربية، فقد جفل هؤلاء أمام تلك الجيوش والتفوا حول الفرس يساعدونهم في حربهم ضد المسلمين وتحصنوا في حصونهم؛ ولكن ذلك لم يمنع بعضهم من الدخول في الصلح مع المسلمين كأهل بانقيا وأليس وبارسما[3]. وقد نقض هؤلاء عقد الصلح لما رأوا اجتماع الفرس على يزدجرد واتحاد كلمتهم وعزمهم على مناهضة العرب فثاروا ضد المسلمين فاضطر المسلمون إلى التراجع إلى أطراف السواد، واضطر المثنى أن يكتب إلى عمر بن الخطاب مستعجلاً المدد فلما وصلت أخبار نقض أهل السواد الصلح

---

(1) فالهاوزن، الدولة العربية ، ص391.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص94.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص94.

وتجمع الفرس جهز عمر بن الخطاب جيشاً عهد بقيادته إلى سعد بن أبي وقاص، فلما اقترب ذلك الجيش وشعر النبط بالخطر أرسلوا إلى الفرس يطلبون حمايتهم ويستنجدون بهم وإلا سلموا ما بأيديهم فكتبوا إلى يزدجرد "إن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم ما بأيدينا"(1).

من هذا يتبين أن النبط لم يوالوا الفرس أو يساعدوهم حباً في بقاء سلطانهم وإنما احتماء بهم من هذه الجيوش القادمة ظناً منهم أن هذه الجيوش ما هي إلا غارات للسلب والنهب لما تعودوه من سكان الجزيرة قبل الإسلام. إلا أن موقف النبط قد تغير بعد أن خضعوا للعرب ورأوا عظم الفارق بينهم وبين حكامهم السابقين فرحبوا بهم واطمأنوا لحكمهم(2).

اعتبر المسلمون النبط وهم نصارى أهل ذمة عليهم أن يدفعوا الجزية من رؤوسهم والخراج عن أراضيهم ولم يجبروا أحد على ترك دينه(3).

2.5 موقف القبائل العربية من فتح العراق :

اختلفت القبائل العربية في موقفها من الفتح الإسلامي فمنهم من وقف موقف الحياد كأهل الحيرة(4)، ومنهم من عاون العرب واشترك في عملية الفتح كقبيلة بني شيبان(5)، والقسم الأكبر منهم عاون الفرس في حروبهم ضد المسلمين كقبيلة بني تغلب والنمر واياد وبكر بن وائل(6).

وأول القبائل التي اعتنقت الإسلام هي قبيلة بني شيبان وقسم كبير من تنوخ

---

(1) اليعقوبي، التاريخ، ج2، ص121.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص314.

(3) المصدر نفسه، ص7.

(4) المصدر نفسه، ص7.

(5) المصدر نفسه، ص9

(6) ابن الاثير، الكامل، ص314 .

وربيعة[1]، وكثر دخول العرب في الإسلام بعد انتصارات العرب المسلمين في القادسية والمدائن وجلولاء وزوال نفوذ الفرس[2].

من هذه القبائل جماعات من قبائل النمر واياد وتغلب فقد أسلمت عندما حاصر العرب تكريت سنة 16هـ/637م، وكانت بها حامية من الروم والعرب فلما طال الحصار أرسل العرب إلى قائد المسلمين عبد الله بن المعتم يسألونه السلم وأخبروه أنهم استجابوا له فأرسل إليهم "إن كنتم صادقين فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" وقرأوا ما جاء من عند الله فوافقوه وأعلموه أنهم على الإسلام وساعدوه على فتح تكريت[3].

هذه فئات من مختلف القبائل العربية دخلت الإسلام في بدء عملية الفتح، أما القسم الأكبر فقد بقي على عقيدته المسيحية منهم عرب الحيرة وبنو تغلب والنمر واياد، ورفضوا الدخول في الدين الإسلامي. حتى اضطرت قبيلة اياد إلى الخروج إلى بلاد الروم مفضلة الهجرة عن ديارها على ترك دينها[4]. أما بنو تغلب فكانوا شديدي التمسك بعقيدتهم ورفضوا أن يدفعوا الجزية فصالحهم عمر بن الخطاب على أن يدفعوا ضعف صدقة المسلم[5].

يتضح مما قدمنا أن عرب العراق لم يدخلوا الدين الإسلامي جملة واحدة وفي وقت واحد فمنهم من دخل منذ عملية الفتح ومنهم من دخل بعد الفتح بعد أن ثبتت أقدام المسلمين وكان يرغبهم كما يقول أرنولد في الدخول وخاصة النصارى فقد فهم المثل الأعلى الذي يهدف إلى أخوة المؤمنين كافة في الإسلام، كما أن الأنتصارات التي أحرزها المسلمون والنجاح الواسع النطاق المنقطع النظير قد زعزع عقيدة الشعوب

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص13.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص316.

(3) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص48.

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص198.

(5) البلاذري، فتوح، ص186.

المسيحية التي أصبحت تحت حكمهم ورأت أن هذه الفتوح قد تمت بعون الله وأن المسلمين قد جمعوا بين النعيم في الدنيا وبين التوفيق الإلهي وأن إله الحرب كما زعموا لم يجعل النصر إلا في أيدي عباده المختارين وهكذا ظهر نجاح المسلمين دليلاً على نجاح دينهم[1]. وقد سهل على هؤلاء الداخلين لغتهم العربية وتجانسهم في القومية أضف إلى ذلك التسامح الذي أظهره العرب تجاه هؤلاء وحسن معاملتهم، واحترام أماكن عبادتهم فقد صالح خالد بن الوليد زعماء الحيرة على أن لا يهدم لهم كنيسة ولا بيعة ولا قصرا[2]. واستخدم العرب في الوظائف فكان كاتب أبي موسى الأشعري في ولايته على البصرة نصرانياً[3]، وفي ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة في خلافة عثمان بن عفان كان على سجن الكوفة نصراني فأدخل في السجن جندب بن كعب قاتل الساحر الذي ظهر أيام الوليد فرأى هذا النصراني جندباً يصوم النهار ويقوم الليل فقال : "والله هذا شرهم لقوم صدق" ثم أسلم[4]. واتخذ الوليد بن عقبة الشاعر أبا زيد الطائي نديماً له وكان نصرانياً فأسلم على يده[5]، وفي ولاية خالد بن عبد الله القسري (105-120هـ/719-724م) في خلافة هشام بن عبد الملك أكثر من الاستعانة بالنصارى واستخدمهم في الوظائف وبني البيع والكنائس[6]، أمام هذا التسامح ولين المعاملة واستخدامهم في الوظائف اندفع كثير من عرب العراق إلى اعتناق الإسلام رغبة منهم في المحافظة على وظائفهم ومجاراتهم للدولة الحاكمة أضف إلى ذلك التخلص من المضايقات الاجتماعية التي كانت مفروضة عليهم والتي كان بعض الخلفاء يتشدد في فرضها وبعضهم يتغاضى عنها ففي خلافة عمر بن الخطاب فرضت عليهم قيوداً في الزي والمسكن ومنعوا من بناء كنائس جديدة فقد أمر عثمان بن حنيف (أن يختم في

---

(1) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص70.

(2) البلاذري، فتوح، ص244.

(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص43.

(4) الأصفهاني، الأغاني، مجلد 5، ص131.

(5) المصدر نفسه، م5، ص131.

(6) الطبري، تاريخ، ج8، ص243.

رقاب أهل السواد في وقت جباية رؤسهم حتى يفرغ من عرضهم ثم يكسر هذه الخواتم إذ سألوه كسرها وأمر أن لا يترك أحداً منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته وأن يؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنار مثل الخيط الغليظ يعقد في أوساطهم وأن تكون قلأنسهم مضربة وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القاربيس مثل الرمانة من خشب وبأن يجعلوا أشراك نعالهم مثنية ولا يحذوا على حذوا المسامين وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ويمنعوا من أن يحدثوا بيعة لهم أو كنيسة إلا ما كانوا صولحوا عليه وصاروا ذمة . وتركو لهم مساكنهم وأسواقهم يبيعون ويشترون ولا يبيعون خمراً ولا خنزيراً ولا يظهرون الصلبان في الأمصار ولتكن ملابسهم طوالاً مضربة وأمر أن يأمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي حتى يعرف زيهم من زي المسلمين[1]. وأضاف عمر بن الخطاب إلى شروطه هذه شروطاً أخرى كتب إلى عمال الأمصار في أهل الكتاب "أن يجزوا نواصيهم وأن يربطوا الكستيجاء" و (الكستيجاء : خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه دون الزنار مصرب كستي والكستيج كالحزمة من الليف). في أوساطهم وأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام[2]. وأن يركبوا على الأكف وأن يركبوا عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وأن يوثقوا المناطق[3]. هذه الشروط التي أوردتها المصادر التاريخية التي حددها عمر بن الخطاب تعود فتذكر ثانية في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أعادها وأخذ بها أهل الذمة ولم تشر المصادر إلى أي خليفة آخر من الخلفاء الراشدين أو الأمويين اشترط مثل هذه الشروط مما يدل على أن الخلفاء لم يكونوا كلهم يهتمون بها ولم يلزموا أحداً باتباعها ولم يدققوا في محاسبة أهل الذمة عليها فلما ولي الخليفة عمر بن عبد العزيز أعاد هذه الشروط وألزم بها أهل الذمة وأبعدهم عن الوظائف واستبدلهم بموظفين من المسلمين كتب إلى عماله "أما بعد إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلداً فيها أهل الشرك يستعينون

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص117.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص53.

(3) المصدر نفسه، ص53.

بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير فكانت لهم في ذلك مدة فقد قضاها الله بأمير المؤمنين فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً فإن محق أعمالهم محق أديانهم"[1]. وأضاف عمر بن عبد العزيز إلى ذلك أن فرض على أهل الذمة نفس الشروط التي كان عمر بن الخطاب قد اشترطها عليهم وكتب إلى عماله "أن انظر فلا يركبن نصراني على سرج ويركبون بالأكف ولا تركبن امرأة من نساءهم راحلة وليكن مركبها على الأكاف ولا يفحجوا على الدواب وليدخلوا أرجلهم من جانب وتقدم في ذلك إلى عمالك حيث كانوا واكتب إليهم كتاباً بالتشديد ولا قوة إلا بالله"[2]. وكتب إلى عماله مرة أخرى "أن لا يمشين نصراني إلا مفروق الناصية ولا يلبس قباء ولا يمشي بزنار من جلود ولا يلبس صليباً ولا سرأويل ذات خرمة ولا نعلاً لها عذبة ولا وجد في بيته سلاحاً إلا انتهب"[3].

هذه الشروط التي فرضت على أهل الذمة جعلتهم في المرتبة الدنيا من المسلمين وشعروا بمرارة ذلك التفريق والتمييز وربما كانت هذه المضايقات عاملاً كبيراً دفعتهم إلى الدخول في الإسلام بالإضافة إلى أن نصارى العراق من عرب ونبط لم يكن لهم كنيسة تشرف على أمورهم الدينية يحتمون بها وتكون لهم رمزاً يسعون للالتفاف حولها مع قلة كبار رجال الدين من قساوسة ورهبان. كما كان الحال في مصر يشجعونهم ويبثون بهم روح الثبات على دينهم. كما أن الرابطة بين نصارى العرب والنبط لم تكن وثيقة لاختلاف القومية واللسان فقد أدى التفكك بين عامة النصارى إلى أندفاع كثير منهم إلى الدخول في الدين الإسلامي.

---

(1) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن الخطاب، ص136.

(2) المصدر نفسه، ص136.

(3) المصدر نفسه، ص136.

3.5 القبائل المشاركة بالفتح:

استمرت بكر بن وائل وتميم بشن الغارات على قرى العراق بعد ذي قار[1]، وزاد نشاطها عندما تولت بوران بنت كسرى عرش الدولة الساسانية (9هـ/630م) بعد أن علمت القبائل العربية في المنطقة بضعف حال الدولة الساسانية[2].

وترد الإشارة إلى قادة من بكر بن وائل وتميم يغيرون على العراق بقبائلهم المثنى بن حارثة، ومذعور بن عدي العجلي في ناحية الحيرة[3]، وسويد بن قطبة[4]، وقطبة بن قتادة[5] بناحية الأبلة، وهؤلاء من بكر بن وائل ويرد ذكر حنظلة بن الربيع الأسـيدي، وحرملة بن مريطة، وسلمى بن القين، وهم من تميم والرباب[6]. وكان أشـهر هـؤلاء القادة زيد بن حارثة. وهذا يعني أن الغارات اقتصرت على القبائـل الموجـودة فـي البوادي القريبة من العراق.

بدأ تدخل الخلافة بإقرار أبي بكر للمثنى بن حارثة على المقاتلين في هذه المنطقة بعد إسلامهم سنة 11هـ/632م[7]. وبعد الأنتهاء من بني حنيفة وجه أبو بكر خالداً إلى العراق سنة 12هـ/633م ليتولى الأمر، وينظم الغارات الاستطلاعية[8]. ويذكر أنه

---

(1) الدينوري، الأخبار، ص111؛ ابن أعثم، فتوح، ج1، ص89؛ الطبري، تـاريخ، ج3، ص498؛ العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص34.

(2) الدينوري، الأخبار، ص111.

(3) البلاذري، فتوح، ص295؛ ابن أعثم، فتوح، ج1، ص89، 133؛ ابن الأثيـر، الكامـل، ج2، ص385.

(4) البلاذري، فتوح، ص296، 418-419؛ ابن أعثم، فتوح، ج1، ص89.

(5) ابن سعد، الطبقات، ج7، قسم1، ص153؛ البلاذري، فتـوح، ص296؛ العلـي، التنظيمـات، ص34.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص347؛ ياقوت، البلدان، ج4، ص796، 923؛ ابن خلـدون، تـاريخ، ج2، ص452.

(7) البلاذري، فتوح، ص295؛ الدينوري، الأخبار، ص111؛ ابن أعثم، فتـوح، ج1، ص89-90؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص592.

(8) ابن أعثم، فتوح، ج1، ص90.

توجه للعراق ومعه أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار وأتباعهم[1]. وانضم إليه وهو متوجه للعراق متطوعون من طيء[2] وبني ضبة[3]، وبني أسد[4].

قام خالد بغارات سريعة على المواقع والمسالح في جهة الأبلة والفرات، واستولى على الحيرة وبانقيا وأليس والأنبار وعين التمر[5]. وينتظر أن يكون لأنتصاراته أثر ايجابي في تشجيع القبائل في البوادي على الاقبال إليه خاصة بكر بن وائل وتميم، حيث تشعر الروايات بكثرة المقاتلين معه في أواخر أيامه في العراق[6]. ثم تحول خالد بن الوليد إلى الشام سنة 13هـ/634م وبقي المثنى ابن حارثة على رأس المقاتلة.

واستنجد المثنى بالمدينة لقلة قواته، وكانت الخلافة مشغولة عنه بالشام. وولي عمر بن الخطاب سنة 13هـ/634م، فأرسل مقاتلة من المدينة وما حولها بقيادة أبو عبيدة الثقفي، وكانوا حوالي ألف مقاتل[7]، أكثرهم من ثقيف والمهاجرين والأنصار[8]. وانضم إليه وهو في طريقه للعراق متطوعون فيذكر البلاذري "فأقبل أبو عبيد لا يمر بقوم من العرب إلا رغبهم في الجهاد والغنيمة، فصحبه خلق كثير"[9].

وكانت معركة الجسر سنة 13هـ/634م، كارثة للمسلمين، قتل فيها أبو عبيد،

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص153.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص153.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص380.

(4) المصدر نفسه، ص369.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص150-154؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص343.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص347، 357-358، 394، 411، 414؛ ابن الأعـثم، فتـوح، ج1، ص133.

(7) البلاذري، فتوح، ص307؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص447.

(8) البخاري، تاريخ، ج4، قسم1، ص361؛ ابن أعثم، فتوح، ج1، ص164-165؛ كمال، الطريق إلى المدائن، بيروت 1972، ص409-410.

(9) البلاذري، فتوح، ص307؛ الدينوري، الأخبار، ص113.

وخسر فيها المسلمون أكثر من ثلثي الجيش(1)، وكان لها أثرها السلبي في المدينة(2)، وعند القبائل العربية، ويشعر بهذا اجماع القبائل عن التوجه للعراق وعدم انتداب عمر للناس مباشرة، بل بقي سنة بعد المعركة دون توجيه أية قوات إلى العراق(3).

وكان لهذا أثر في تغيير خطة الخلافة بالنسبة لأهل الردة، إذ رأى عمر رفع الحظر عن أهل الردة للمشاركة في الفتوح(4)، نتيجة الحاجة إلى قوات كبيرة تتطلبها الجبهة، وهو يقدر أن توسع الفتوح يتطلب كل القوى العربية الإسلامية. كما شجع بعض القبائل بأن وعدها بمنافع مادية مثل بجيلة(5). وأرسل عمر في سنة 14هـ/635م قوات جديدة إلى العراق أكثرهم من بجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البجلي(6). وأثر ذلك حصلت معركة البويب سنة 14هـ/635م واشترك فيها كل من : كنانة، والأزد، وخثعم، وطيء، وبني ضبة، والرباب، وشم بن سعد، وبني عمرو وبني حنظلة من تميم، وبكر بن وائل خاصة بني شيبان، وبني عجل، وقيل كان لبني عجل راية خاصة بهم، وعبد القيس برئاسة قرط بن جماع العبدي، واشترك نصارى من تغلب والنمر بن قاسط وكان هدفهم الأكبر الغنائم(7).

كان لأنتصار العرب في البويب أثر معنوي لدى القوات الإسلامية، فزادت غاراتهم على السواد، يذكر البلاذري : "لما انتصر المسلمون في البويب تمكن

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص110؛ ابن أعثم، فتوح، ج1، ص164-165؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص458؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص440.

(2) ابن أعثم، فتوح، ج1، ص171؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص458.

(3) البلاذري، فتوح، ص310؛ الأصفهاني، تاريخ، ص124.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص448-449، ج4، ص25؛ ابن الجوزي، سيرة عمر بـن الخطـاب، ص64،

(5) البلاذري، فتوح، ص310؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص460-463، 469.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص34؛ أبو عبيد، الأموال، ص87؛ الدينوري، الأخبار، ص122.

(7) البلاذري، فتوح، ص310؛ الدينوري، الأخبار، ص114؛ الطبري، تاريخ، ج3 ، 460-463؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص388.

المسلمون من الغارة على السواد، وانتفضت مسالح الفرس، واجترأ المسلمون عليهم وشنوا الغارات[1]. ثم ما لبث الفرس أن قاموا بعدة هجمات على المسلمين أرجعوهم فيها إلى الوراء.

وجهت الخلافة جهودها إلى العراق، بعد أن خفّ ضغط الجبهة الشامية، وأخذت تبعث المقاتلة إلى ناحية الأبلة والحيرة خاصة بعد الأنتصار بمعركة البويب[2]، فركزت على هذه الجبهة ، وجعلت قيادتها لسعد بن أبي وقاص، وأرسلته على رأس قوة من المقاتلة، وأمدته وطلبت إليه أن ينتدب قوات من القبائل على طريقه إلى العراق[3]. وفي سنة 15هـ/636م وقعت معركة القادسية، وشاركت فيها القبائل التالية : مذحج (النخع، ومراد، وزبيد، وبنو الحارث، وبجيله ، وصداء، وجنب، ومسلية)، وبجيله، والأزد، وكندة (السكون)، وطيء، وقضاعة (حضرموت، وعذرة والصدف)، وبكر بن وائل، وتميم، والرباب، وبنو ضبة، وبنو أسد، وتغلب، والنمر بن قاسط، وقيس عيلأن سليم، وبأهلة، وغطفان، وهوازن، وثقيف، ومن المدينة وما حولها (تيم بن مرة، والأوس، وبنو الحارث، وكنانة، وخثعم)[4]. ويلاحظ اشتراك اليمانية بشكل ملحوظ في معركة القادسية[5]. كما وتبدو كثرة بكر بن وائل وتميم وأسد من بين القبائل الشمالية[6]. وكانت

(1) البلاذري، فتوح، ص311-312؛ الدينوري، الأخبار، ص115؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص470-473؛ ياقوت، البلدان، ج1، ص679.

(2) البلاذري، فتوح، ص418-419؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص590-591.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص487، 512.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص34؛ أبو عبيد، الأموال، ص87؛ الـبلاذري، فتـوح، ص314؛ الـدينوري، الأخبار، ص114، 120-125؛ ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص172، 270؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص46، 484-488، 538-539، 544، 563، 568، 572، 588؛ الأصـفهاني، الأغـاني، ج15، ص215-217، 244؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص451-452؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص92؛ ابن حجـر، الإصابة، ج3، ص19.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص484-486؛ الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص215؛ ابن حجـر، الإصـابة، ج3، ص19.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص482، 486، 538-540.

الشمالية أكثر عدداً من القبائل الجنوبية.

وهناك اختلاف في عدد المقاتلة الذين اشتركوا في القادسية، فيذكر سيف أن سعداً خرج من المدينة في أربعة آلاف مقاتل[1] ويورد سيف إشارات تبين ازدياد قوات سعد، وذلك عندما ذكر "كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس، ألا يمر بماء من المياه بذى قوة ونجدة ورياسة إلا شخصه، فإن أبي انتخبه"[2]، ويذكر أيضاً أنه بعد وصول سعد أطراف العراق أرسل إليه عمر "ألا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات، ولا فارساً إلا أجتلبتموه، فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه"[3]. ويوضح سيف عدد القوات التي انضمت لسعد وطبيعتها فيذكر أن عمر أمده بألفي مقاتل يماني، وألفين من غطفان وقيس، وانضم إليه قرب من حدود العراق سبعة آلاف من مضر، وثمانية آلاف من ربيعة، ثم انضم إليه أربعة آلاف من بجيلة وطيء وقضاعة، وهم الذين كانوا مع جرير بن عبد الله البجلي[4]، أي أن جيش سعد بن أبي وقاص أصبح 27 ألف مقاتل. ويبين في رواية أخرى انضمام جيش خالد بن الوليد، الذي جاء من الشام، وكان عدده عشرة آلاف[5]. ويذكر في رواية أخرى "فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً"[6]، ولعل ابن أعثم اعتمد على روايات سيف عندما جعل من اشتراك في القادسية أربعين ألفاً[7]، وكذلك المسعودي عندما جعلهم ثمانية وثلاثين ألفاً[8].

وترد إشارات تبين وصول إمدادت إلى سعد قبيل القادسية وأثناءها، من البصرة ما

---

(1) الطبري، تاريخ، ص484- 487 .

(2) المصدر نفسه، ص512.

(3) المصدر نفسه، ص487.

(4) الطبري ، تاريخ ، ج3 ، ص486.

(5) المصدر نفسه، ص440- 441.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص787؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص452.

(7) ابن أعثم، فتوح، ج1، ص201.

(8) المسعودي، مروج، ج2، ص312.

بين 400 إلى 800 إلى 1500 مقاتل(1)، ومن الشام ما بين 1000 إلى 2000 مقاتل(2).

وترد روايات أخرى تختلف عن روايات سيف في عدد من شارك في القادسية، فيذكر ابن اسحق أن سعداً خرج من المدينة في ستة آلاف، واشترك بالقادسية ما بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف(3). ويقول أبو وائل (توفي سنة 83هـ) أنهم كانوا ما بين سبعة آلاف إلى ثمانية آلاف(4)، ويذكر البلاذري أنهم ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف(5)، ويقدرهم شريك بحوالي أحد عشر ألفاً(6).

وبالرغم من هذا الاختلاف الكبير في الروايات، لكنه يمكن القول أن أرقام سيف يتعذر قبولها، إذا لاحظنا عدد مقاتلة الكوفة عند اختطاطها إذ كانوا عشرين ألفاً(7)، إلا أن أرقامه لا تخلو من دلالة نسبية، خاصة أن مضر وربيعة كانت كثيرة في البوادي المحيطة بالعراق، إضافة إلى وجود قوات جرير بن عبد الله، والتي انضمت إلى سعد، ثم الامدادات التي وصلت لسعد من البصرة ومن الشام. ويستبعد أيضاً قبول رواية ابن اسحق التي تضع زيادة ألف من المقاتلة لسعد بعد خروجه من المدينة، وكذلك رواية أبي وائل، ولعل قول البلاذري وشريك أقرب إلى الواقع من غيرهما. ويمكن الميل إلى أحدى روايات سيف، التي يلاحظ أنها أقرب إلى الدقة، وذلك أنه حاول تفسير الخلاف بين الرواة، بتتبعه قوات سعد من المدينة حتى تنظيمها في شراف قبيل المعركة، إذ يقول: "فمن قال أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة، ومن قال ثمانية آلاف

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص120؛ البلاذري، فتوح، ص314.

(2) البلاذري، فتوح، ص315؛ الدينوري، الأخبار، ص120؛ المسعودي، مروج، ج2، ص312.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص496.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص31؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص119؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص496.

(5) البلاذري، فتوح، ص314.

(6) ابن أعثم، فتوح، ج1، ص201.

(7) البلاذري، فتوح، ص339؛ ياقوت، البلدان، ج4، ص324.

فلاجتماعهم بزرود، ومن قال تسعة آلاف فللحاق بالقيسيين، وأمر سعد بالإقدام. فأقدم، ونهض وجمع الناس بشراف، وقدم عليه مع قدومه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة مقاتل من أهل اليمن"[1]، وهكذا يتوقع أن يكون عدد من اشترك في القادسية حوالي أربعة عشر ألفاً من المقاتلة. وهذا يتوافق مع عدد من نزل الكوفة ابتداء (20 ألفاً)، وهذه الزيادة متوقعة من الروادف الذين جاءوا ما بين القادسية (سنة 15هـ/635م) ونزول الكوفة (سنة 17هـ/637م).

ويتوقع بعد انتصار القادسية، ودخول المدائن، أن يزداد عدد المقاتلة العرب، ويبين سيف ذلك عندما ذكر أن فيء القادسية قسم على ثلاثين ألفاً، وفيء المدائن على ستين ألفاً[2]، ولو أن في هذا مبالغة إلا أنه يعطي دليلاً على ازدياد المقاتلة. ولعل أخبار معركة جلولاء تشعر بزيادة المقاتلة أيضاً، فإن سعداً بعث هاشم بن عتبة من المدائن إلى جلولاء في إثنى عشر ألفاً[3]، ثم أمده بقوات جديدة[4]. كما أن مجموعات من قبائل اياد وتغلب والنمر بن قاسط، التي كانت حول تكريت، أسلمت واشتركت في فتح تكريت مع عبد الله ابن المعتم (سنة 17هـ/637م) [5].

أما في منطقة الابلة فقد بعث عمر بن الخطاب سنة 14هـ/635م، بعد معركة البويب، شريح بن عامر أحد بني سعد بن بكر على رأس مجموعة صغيرة[6]، ثم بعث في نفس الفترة عتبة بن غزوان مع حوالي ثلاثمائة مقاتل ليكونوا رداء للمسلمين[7]، ولمشاغلة القوات الفارسية في المنطقة وعدم السماح لها بإمداد الفرس في منطقة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص487.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص60.

(3) البلاذري، فتوح، ص324؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص24-26؛ المقدسي، بدء، ج5، ص178.

(4) ابن أعثم، فتوح، ج1، ص272؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص27.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص35.

(6) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص113؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص593.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج7، قسم1، ص138؛ ابن قتيبة، المعارف، ص577؛ الطبـري، تـاريخ، ج3، ص590.

الحيرة[1]، قال عمر لعتبة حين وجهه "يا عتبة ان أخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها ... وقد بعثتك في هذا الجيش فاقصد قصد أهل الأهواز، فاشغل أهل تلك الناحية أن يمدوا أصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقاتلهم مما يلي الأبلة"[2].

كان المقاتلة مع عتبة بن غزوان من : ثقيف، وسليم، وبلي، ومازن، ويشكر[3]، هذا بالإضافة إلى جماعات من تميم وبكر كانوا في المنطقة، ويظهر أن تميم شاركت بشكل ملحوظ بعد وصول عتبة إلى المنطقة[4]. ولم تتجأوز فتوح عتبة الابلة وما حولها ابتداء، ثم فتحت كور دجلة زمن المغيرة بن شعبة (سنة 16-17هـ/636-637م) [5].

4.5 اختيار مواطن الاستقرار

نزل العرب المدائن لعائلاتهم بعد الفتح، فيذكر الشعبي أن سعد بن أبي وقاص قام بقسمة دور الفرس فيها بين العرب[6]. ويقول الهيثم بن عدي "أقام المسلمون بالمدائن واختطوها، وبنو المساجد فيها"[7]. وبعد معركة جلولاء سنة 17هـ/637م أمر سعد بن أبي وقاص باتخاذ دار هجرة المسلمين، بالتوقف في الفتوح مؤقتاً[8].

راعى العرب في اختيار موقع كل من البصرة والكوفة من النواحي الآتية :

---

(1) البلاذري، فتوح، 418-419؛ ياقوت، البلدان، ج1، ص638.

(2) الدينوري، الأخبار، ص116.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص594؛ العلي، تنظيمات، ص38.

(4) ابن الفقيه، مختصر، ص187؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص591.

(5) العلي، تنظيمات، ص38-39.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص20-21.

(7) البلاذري، فتوح، ص340.

(8) الطبري، تاريخ، ج3، ص579.

المناخ، المراعي، والموقع. فلم يوافق العرب على جو المدائن بعد نزولها، "فاجتووها الناس"[1]، ويعبر الهيثم بن عـدي عـن ذلك "ثم ان المسلمين استوخموها واستبؤوها"[2]، ويروي هشام الكلبي ومشايخ الكوفيين أن الذباب والبعوض إذاهم[3]. ويقول محمد بن اسحق "فاجتووها فأصابتهم الحمى"[4]. ويفهم من روايات أخرى أن هذا حصل للعرب عند نزولهم في كل من الأنبار[5]، وكويفة ابن عمرو ولكثرة المستنقعات حولها[6].

يبدو أن العرب، وهم الذين تعودوا جو البادية الجاف، لم تكن لتلائمهم المناطق التي تكثر فيها المياه والأشجار، مما يضفي رطوبة على الجو، كما أن ارتباط أكثر القبائل العربية آنذاك بتربية الحيوانات خاصة الإبل يجعل هذا المناخ غير ملائم لها، ويوضح عمر ذلك في قوله عن المدائن "هل تصلح بها الإبل، قالوا : لا، لأن البعوض بها، فقال عمر: ان العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل"[7].

وهكذا كان لابد لسعد بن أبي وقاص من اختيار موقع مثل الكوفة على طرف البادية حيث تتصل مباشرة بها من جهة الغرب[8]. ويوضح حصين بن وائل ذلك حين روى أن عبادياً قال لأصحاب سعد "أنا أدلكم على أرض ارتفعت عن البقة، وتطأطأت عن السبخة، وتوسطت الريف، وطعنت في أنف البرية، قالوا : "أرض بين الحيرة

---

(1) أبو يوسف، الخراج؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص129؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص41.

(2) البلاذري، فتوح، ص340.

(3) المصدر نفسه، ص338؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص41.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص579؛ المقدسي، أحسن، ص175.

(5) البلاذري، فتوح، ص338؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص579.

(6) البلاذري، فتوح، ص124-341؛ الـدينوري، الأخبـار، ص124؛ الطبـري، تـاريخ، ج3، ص579.

(7) أبو يوسف، الخراج، ص32؛ ابن خياط، تاريخ، ص129؛ البلاذري، فتوح، ص338-339.

(8) ابن الفقيه، مختصر، ص163؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص42؛ ياقوت، معجـم، ج4، ص355، 633.

والفرات، فاختط الناس الكوفة ونزلوها"[1]. وكذلك يأتي في موقع البصرة في نهاية الريف على طرف البادية[2]، فيذكر عتبة بن غزوان حين اتخذ موقعها "أن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب، وأدنى أرض الريف من أرض العجم"[3].

وروعي في اختيار مواقع الأمصار أن تكون قريبة من المراعي المنتشرة بالبادية، لاعتماد العرب على تربية الحيوانات، ويتضح ذلك من قول عمر بن الخطاب عندما أمر باتخإذ دور الهجرة "أن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح البعير والشاة"[4]، وفي هذا إشارة إلى ضرورة توفر المراعي إلى جانب الأمصار، ويوضح ذلك الهيثم بن عدي في قوله "فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر، وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطفوها"[5]. وكتب سعد إلى عمر بعد نزوله الكوفة موضحاً له اتصال الموقع بمناطق رعي جيدة "اني قد نزلت بكوفة، منزلا بين الحيرة والفرات، برياً وبحرياً، ينبت الحلي والنصبي"[6]. وتعد المنطقة الواقعة شمال الكوفة حتى الأنبار منطقة مشهورة بوفرة مراعيها، فقد كانت حمى النعمان بن المنذر ترعى فيها حيواناته، وأصبحت فيما بعد حمى لأهل الكوفة[7].

نلاحظ نفس الاتجاه في اختيار موقع البصرة، فقد جاء في رسالة من عمر إلى

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص32؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص129؛ البلاذري، فتوح، ص239.

(2) البلاذري، فتوح، ص425؛ المقدسي، أحسن، ص117؛ الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، ص19.

(3) ابن محمد، نعمان، معدن الجواهر، ص21.

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص42؛ ياقوت، البلدان، ج4، ص647.

(5) البلاذري، فتوح، ص341.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص43؛ مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء الراشدين، سلسلة الآداب الشرقية، نشر بطرس غريازينويخ، موسكو 1967، ص11.

(7) الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص137-138، ج2، ص133؛ ياقوت، البلدان، ج3، ص50.

عتبة عن موقع المصر "وليكن قريباً من الماء والمرعى"[1]. فاختار عتبة الموقع، وكتب إلى عمر بصفته فقال عمر "هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب، وكتب إليه أن أنزلها الناس"[2].

وروعي في اختيار هذه المواقع أن تكون سهلة الاتصال بمركز الخلافة، لا يفصلها عن ذلك حاجز طبيعي، فقد قال عمر لسعد بن أبي وقاص "ولا تجعل بيني وبينهم بحرا"[3]. لذا لا يتوقع أن يتخذ العرب المدائن مقراً لهم حيث يفصلها نهرا دجلة والفرات عن الجزيرة العربية. وكذلك قال عمر للمقاتلين في منطقة الابلة "لا حاجة لي في شيء بيني وبينه دجلة تتخذوه مصرا"[4].

ويمتاز موقع البصرة بسيطرته على مدخل العراق الجنوبي من الناحية العسكرية والتجارية، ويوضح المقدسي ذلك حين يصف موقع البصرة بقوله "مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين"[5]. وكان يطلق على تلك المنطقة أرض الهند[6]، وذلك لأهمية الموقع من الناحية التجارية، لكونه في نهاية الطريق البحري من الهند والمشرق[7]. ويمتاز موقع الكوفة بأهميته الاستراتيجية بالنسبة للعراق والجزيرة[8]. ويلاحظ أن الموقع في نهاية الطريق الرئيسي الذي يربط الجزيرة العربية بالعراق.

ويلاحظ أن هذه المواقع كانت إلى جانب مواطن القبائل من ربيعة ومضر وباديتي

---

(1) البلاذري، فتوح، ص425، أنساب، ص1188.

(2) البلاذري، فتوح، ص425، أنساب، ص1188؛ ياقوت، البلدان، ج1، ص637.

(3) البلاذري، فتوح، ص338-339.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج7، قسم1، ص2؛ ياقوت، البلدان، ج1، ص637.

(5) المقدسي، أحسن، ص117.

(6) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص100؛ ابن سعد، الطبقات، ج7، قسم1، ص2؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص488.

(7) البلاذري، فتوح، ص419؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، بيروت 1935 .

(8) الجنابي، تخطيط، ص35، 169.

الكوفة والبصرة، وهذه كانت تشكل رافداً مهماً للقوات العربية في تلك المرحلة، كما أن أكثر القوات المشاركة في الفتوح كانت من هذه القبائل التي ما زالت ترتبط بمواطنها ومياهها المتوزعة في البادية.

هكذا يبدو أن اختيار موقعي البصرة والكوفة من حيث سهولة صلتهما بمركز الخلافة، ووقوعهما على الطرق الرئيسية التي تربط الجزيرة العربية بالعراق وقرب هذه المواطن من منازل القبائل، وسيطرة المواقع من الناحية الاستراتيجية على العراق ومداخله ما يفسر أهمية النواحي العسكرية في اختيار أماكن هذه الأمصار، حتى أن الروايات تصف هذه الأمصار ابتداء بأنها كانت دور هجرة ومنازل جهاد[1].

5.5 أجراءات الدولة بعد الفتح :

قام خالد بن الوليد في سنة 12هـ بغارات على غرب العراق، وعلى أثر المعارك التي هزم فيها المسالح الفارسية في المنطقة حصل رؤساء المدن الآتيه على عهود صلح من خالد بن الوليد: الحيرة، وبانقيا، وأليس، وعين التمر، والأنبار، وكذلك دهاقين من البهقباذ الأسفل والأوسط[2].

هذا وقد عرض خالد بن الوليد ابتداء عليهم أحدى ثلاث : الإسلام، أو الجزية، أو القتال. واختار الجميع الجزية والذمة[3]. وتذكر الروايات وعهود الصلح أن خالداً صالحهم على مقدار معين من الدراهم[4]. وقد اعتبر هذا كجزية عنهم واتفق خالد معهم

---

(1) الدينوري، الأخبار، ص124؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص579؛ المقدسي، بدء، ج5، ص175.؛ الجنابي، تخطيط، ص19.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص30، 153، 157؛ ابن آدم، الخراج، ص49-50؛ الـبلاذري، فتـوح، ص297-299، 303؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص344-346، 368-373.

(3) أبو يوسف، الخراج،/ ص154-157؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص344-347.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص157؛ ابن آدم، الخراج، ص50.

على دفع هذه الجزية مرة في كل سنة[1].

لم يكن المسلمون في هذه الفترة يطلبون من أهل الذمة غير الجزية، التي جاءت في القرآن بنص صريح[2].

وحَوَت عهود الصلح إضافة إلى دفعهم الجزية، أن يكونوا عيوناً للمسلمين على أهل فارس، فيذكر البلإذري : "وصالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعواناً"[3]. وتعهد المسلمون مقابل ذلك حمايتهم وعدم الاعتداء عليهم وعلى فلاحيهم[4]، ولهم الحرية الكاملة في إقامة شعائرهم الدينية[5].

بعد معركة القادسية سنة 15هـ/634م تقدم المقاتلة العرب يفتحون أرض العراق، ورافق ذلك هروب الكثير من السكان خاصة الدهاقين وأصحاب الملكيات[6]، فيذكر سعد في رسالة إلى عمر قبيل دخوله المدائن "فأنا في أرض رغيبة، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل"[7].

وحصل أثناء الفتح أن قامت بعض القوات العربية أثناء ملاحقتها للفلول الفارسية بسبي مجموعات من الفلاحين غربي دجلة قبل دخول المدائن[8]، فقام سعد بإرجاعهم إلى قراهم عن طريق الدهاقين[9]، كما وسبت القوات العربية فيما وراء دجلة مجموعات

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص157؟

(2) سورة التوبة، آيه 29.

(3) البلاذري، فتوح، ص297-298.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص149، 154.

(5) المصدر نفسه، ص148-149، 155.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص5؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص509؛ دينيـت، دانيـال، الجزيـرة الإسلامية، ترجمة فوزي جاد الله، مكتبة الحياة، بيروت 1960، ص51.

(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص584.

(8) أبو عبيد، الأموال، ص200-205؛ ابن آدم، الخراج، ص48.

(9) الطبري، تاريخ، ص30-31.

منهم، ثم أرجعوهم لقراهم[1].

وبعث سعد بن أبي وقاص بعد القادسية (سنة 15هـ/634م) وجلولاء (سنة 17هـ/636م) رسائل إلى عمر بن الخطاب يسأله عن رأيه في الفلاحين الذين سبوهم[2]، فبين له الخليفة أن يساوي بين جميع السكان في المعاملة، وأن يدعوا الهاربين إلى الرجوع وعقد الذمة والجزاء معهم[3]، وأمره بتخليه سبيل الفلاحين الذين سبوهم وأن لا يتعرض لهم بإذى[4].

عاد الفلاحون إلى أرضهم، وصالح العرب الدهاقين ورؤساء الطساسيج على الجزاء والذمة[5].

فرض العرب على السكان ابتداء الجزية فقط إلى جانب الأرزاق، ولا توجد إشارة واضحة إلى فرض الخراج[6].

وفرض العرب إلى جانب الجزية الأرزاق للمقاتلة، وبين أسلم مولى عمر بن الخطاب ذلك بقوله "أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً، ومع ذلك أرزاق المسلمين"[7]. وكانت خمسة عشر صاعاً على كل فرد في السنة الواحدة[8]. وفرضت الأرزاق على أهل الريف فقط دون أهل المدن، وذلك لأن الأرضين لهم وبإمكانهم دفعها. فيذكر أبو يوسف "إنما فعلوا ذلك لأن أهل الرساتيق أصحاب الأرضين والزرع، وأهل المدائن ليسوا كذلك"[9]. ويبدو أن هذه

---

(1) الطبري، تاريخ، ح3، ص591، ج4، ص74-76.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص584، ج4، ص5 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج3، ص585-587، ج4، ص430-431.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص200، 205؛ ابن آدم، الخراج، ص48.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص585، 589، ج4، ص5، 30-37.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص584-586، ج4، ص32.

(7) أبو عبيد، الأموال، ص55، 212.

(8) المصدر نفسه، ص213؛ البلاذري، فتوح، ص148.

(9) أبو يوسف، الخراج، ص43.

الأرزاق كانت تشكل الضريبة على الأرض في هذه الفترة المبكرة.

وقضت اتفاقات الصلح بين السكان والعرب ابتداء فرض حق الضيافة للمسلمين، وذكر أنها كانت يوماً وليلة[1].

واتفق مع السكان في البداية أن يقوموا بإصلاح الطرق والجسور والقناطر وسد البثوق[2].

وبعد التنظيمات التي تلت الفتح أصبح العرب هم المسؤولون عن حفر الأنهار وبناء القناطر والجسور وسد البثوق حين الحاجة إلى ذلك على نفقة بيت المال[3].

ويظهر أن القبائل الفاتحة طالبت بقسمة الأراضي التي دانت لهم الفتح وبعده مباشرة كما يظهر من عمليات سبي الفلاحين واستشارة عمر بقسمتهم[4].

لم يوافق عمر بن الخطاب على قسمة الأرضين منذ البداية، فيذكر الزهري "وكان رأي عمر أن يتركه، ولا يقسمه"[5].

هكذا يبدو واضحاً من أقوال عمر أن الخلافة وقفت ضد رغبة القبائل في الاستحواذ على الأراضي المفتوحة، وذلك أن خطة الخلافة كانت توجيه القبائل نحو الفتوح، إضافة إلى أن خطة الخلافة كانت تعمل على تشجيع الهجرة من الجزيرة إلى الأمصار المفتوحة وضرورة توفير المال لهم.

إذا فإن الخلافة رأت وقف الأرض لتوفير الأعطيات والأرزاق للمقاتلة الموجودين والقادمين[6].

---

(1) أبو عبيد، الأموال، ص213.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص32.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص118-119؛ أبو عبيد، الأموال، ص214؛ البلاذري، فتوح، ص336.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص25-27 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص80-84؛ البلاذري، فتوح، ص329.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص28، 38.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص26-27؛ أبو عبيد، الأموال، ص81؛ ابن آدم، الخراج، ص41-42؛ الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص12-16.

لم يلاق قرار عمر بوقف الأرض على جميع المسلمين استحساناً لدى المقاتلة، وقالوا بعد ذلك : "اتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا"[1].

يبدو أن عمر أنهى أزمة المطالبة بقسمة الأرض ما بين سنتي 16هـ/636م و 17هـ/637م. ويشعر بذلك مراسلات سعد وعمر بشأن سكان السواد في هذه الفترة، ودعوة سعد الدهاقين للعودة على الجزاء والذمة قبل دخوله المدائن سنة 17هـ/637م وبعد جلولاء 17هـ/637م. وكان الأمر لسعد أن يتخذ دار هجرة سنة 17هـ/637م، وكان ذلك بداية تنظيم جديد لاستقبال المقاتلين الجدد، وأمر سعد بن أبي وقاص وأبا موسى الأشعري باختطاط خطط للقبائل في الكوفة والبصرة. كما وكانت زيارة عمر للشام ما بين 16 و 17هـ/637-638م قد وضعت خطوط التنظيم الإداري والمالي مما يؤيد أن بداية التنظيم كانت ما بين سنتي 16 و 17هـ/637-638م[2].

لم يكن العرب لينظروا إلى إجراء تنظيم شامل في العراق ما دام الخطر الفارسي يهددهم، لذا كان بدء تنظيم الخلافة للنواحي الإدارية والمالية بعد إزالة الخطر الفارسي المباشر اثر معركة نهاوند سنة 21هـ/641م، وهذه وقعت أثناء ولاية عبد الله بن عبد الله بن عتبان (20-21هـ/640-641م) على الكوفة ، وقبل ولاية عمار بن ياسر لها (21-22هـ/641-642م) [3].

ويبين لاحق بن حميد (توفى سنة 100هـ)، وكان من كتاب الدواوين، هذا التنظيم الجديد بقوله: "أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة وجيوشهم، وعبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرضين[4]. ويذكر أن عمر بعث ابن حنيف لمساحة السواد سنة 21هـ مع

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص26.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص584-586، ح4، ص5 .

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص122، 139.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص38-39؛ أبو عبيد، الأموال، ص97؛ الدينوري، الأخبـار، ص129؛

عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود[1]، وفي نفس الوقت بدئ بمسح كور دجلة في ولاية أبي موسى الأشعري للبصرة (17-29هـ/638-649م) بعد إرسال ابن حنيف لمساحة سواد الكوفة[2].

ويذكر أن عمر بن الخطاب كلف عثمان بن حنيف بمساحة ما دون دجلة، وحذيفة بن اليمان ما وراء دجلة، وأنهما قاما بمساحة الأراضي وفرض الجزية والخراج[3].

يبدو أن العرب بعد الفتح وحتى سنة 21هـ/641م، أستمروا يأخذون من السكان الجزية، والأرزاق. ويفترض أن تكون الأرزاق قد اعتبرت ضريبة ابتدائية عن الأرض ريثما تبدأ عملية التنظيم.

وهكذا يكون العرب قد بدأوا بتنظيم الضرائب سنة 21هـ/641م بمسح الأراضي ووضع الخراج عليها، وفرض جزية على الطبقات منفصلة عن الخراج.

فرض عمر بن الخطاب الخراج على المساحة في السواد، وكان ابتداء درهماً وقفيزاً من القمح أو الشعير على كل جريب عامر أو غامر دون النظر إلى ما يزرع فيه من المحاصيل الأخرى. ويذكر الشعبي أن عمر بن الخطاب أحضر دهاقين من العراق وقال لهم : كيف كنتم تؤدون من الأعاجم في أرضهم، قالوا : سبعة وعشرين درهماً، فقال عمر : لا أرضى بهذا منكم، ووضع على كل جريب عامر أو غامر قفيزاً من حنطة أو قفيزاً من شعير ودرهما فمسحا (أي عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان)[4]. ويذكر الشعبي أيضاً : أن عمر بن الخطاب بعث عثمان بن حنيف الأنصاري يمسح السواد، فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب، فوضع على كل جريب

البلاذري، فتوح، ص330.

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص144؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص146.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص152.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص40-41، 91؛ ابن آدم، الخراج، ص73؛ أبو عبيد، الأموال، ص74؛ البلاذري، فتوح، ص331؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص139.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص51.

درهماً وقفيزاً[1]. ويؤيد ذلك عمر بن ميمون حين يذكر "بعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة، وبعث عثمان بن حنيف على ما دون دجلة فوضعا على كل جريب درهماً وقفيزاً"[2].

ومن المتوقع أن ضريبة الدرهم والقفيز لا تجد قبولاً عند بعض الفلاحين، وذلك أن بعض الأراضي يزرع فيها الأشجار المثمرة وبعض المحاصيل التي لها ميزة على غيرها، فالذي يزرع القمح في أرضه يدفع كالذي يزرع الأشجار المثمرة ذات الوارد الأكثر، فكان لا بد من فرض الخراج حسب نوع المحصول[3]، حيث يذكر الشعبي : أن عمر بعث ابن حنيف إلى السواد فطرز الخراج، فوضع على جريب الشعير درهمين، وعلى جريب الحنطة أربعة دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، وعلى جريب الكرم عشرة دراهم، وعلى جريب الزيتون اثنا عشر درهماً[4].

من خلال هذا المسح للأراضي نرى أن الأرض التي تزرع بالحبوب فرضت عليها المواد النقدية وألغيت المواد العينية التي قررت ابتداء إلى جانب الدرهم. لكن الملاحظ أن هذه الأرض بقيت تدفع مواد عينية إلى جانب الدرهم. كما أنه روعي في فرض خراج أقل على الأرض غير المزروعة التي تبقى للاستراحة، وأخذت حالة الأرض وخصوبتها بعين الاعتبار في مقدار الخراج المفروض[5].

أما الجزية فقد تقرر في سنة 21هـ/641م وضعها ضمن نظام جديد وعلى

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص40-41 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص58، 101؛ البلاذري، فتوح، ص329؛ الماوردي، الأحكام، ص148، 157؛ أبو علي، الأحكام، ص166.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص41؛ أبو عبيد، الأموال، ص101؛ البلاذري، فتوح، ص331؛ ابن رجب، الاستخراج، ص62.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص41؛ البلاذري، فتوح، ص321؛ دينيت، الجزية، ص57.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص96-97؛ البلاذري، فتوح، ص330؛ ابن رجب، الاستخراج، ص63.

(5) البلاذري، فتوح، ص333؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص152-153.

الطبقات، أي الحالة الاقتصادية للفرد، وتراوحت هذه ما بين 48، 24، 12 درهماً في السنة على كل فرد[1]. وبين أبو يوسف أن هذه المقادير فرضت على ثلاث طبقات هي: الموسر، والوسط والفقير[2].

لم تفرض الجزية على النساء والأطفال بل أخذت من الرجال فقط، وكتب عمر بن الخطاب في ذلك إلى أمراء الأجناد "أن يضربوا الجزية ولا يضربوها على النساء والصبيان، ولا يضربوها إلا على من جرت عليه المواسي"[3]. وكانت الجزية تجبى نقداً، وكان لا مانع من أخذ المواد العينية إذا تعذر ذلك[4]. وكانت جزية الرأس تسقط عن الذمي في حال دخوله الإسلام[5]، وذلك أن جزية الرأس تعتبر رمز خضوع غير المسلم.

وكانت جباية الخراج تتم في عيد النيروز حسب السنة الفارسية، وكانت الهدايا تقدم للعمال في هذا الوقت[6]. واستمر السكان في الإدارة يدفعون هدايا النيروز والمهرجان، فقد أخذها منهم الوليد بن عقبة (25-30هـ/645-650م) بعد أن ألغاها عنهم عمر بن الخطاب[7]، كما وأقرها علي بن أبي طالب، وكان يأخذها منهم، ويوزعها على مقاتلة الكوفة[8]. وفي الفترة الأموية كانت تؤخذ منهم كضريبة يرسل

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص39، 83، 98؛ ابن آدم، الخراج، ص23، 40.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص132.

(3) المصدر نفسه، ص131-132؛ أبو عبيد، الأموال، ص51؛ ابن آدم، الخراج، ص69؛ البلاذري، فتوح، ص148.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص132؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص152؛ البلاذري، أنساب، ج4، قسم1، ص190.

(5) ابن آدم، الخراج، ص22؛ ابن سعد، الطبقات، ج5، ص262.

(6) الجاحظ، التاج، ص148؛ البيروني، الآثار، ص31-32.

(7) أبو عبيد، الأموال، ص144، 384؛ ابن آدم، الخراج، ص23؛ البلاذري، فتوح، ص332؛ الصولي، أدب، ص220.

(8) ابن أبي الحديد، شرح، ج7، ص37-40.

واردها زمن معاوية إلى دمشق، إذ بلغت عشرة آلاف درهم في السنة[1].

راعى الخلفاء الراشدون حالة الأرض والسكان في فرض مقادير الخراج والجزية، فقد قال عمر بن الخطاب في وصيته للخليفة الذي يجيء بعده "أوصية بذمة الله وذمة رسول أن يوفى لهم بعدهم، ولا يكلفوا فوق طاقاتهم"[2]. وعندما جاء علي بن أبي طالب أكد على أن يعامل السكان في الضرائب حسب طاقتهم[3]، وأوصى الى أحد عماله أن يأخذ بعين الاعتبار حالة الزرع والبساتين فيما يفرضه من خراج[4].

كان للرسوم الإضافية التي ألزم بها الفلاحون، والتشدد في أخذ مقدار معين من الخراج دون مراعاة حالة الأرض دافعاً للسكان بترك أراضيهم، مما أثر على عمارة السواد في نهاية الدولة الأموية، ويظهر هذا من قول يزيد بن عبد الملك للعرب "ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم، وأقطع به نسلهم"[5].

6.5 موقف الدولة من الأراضي المحررة :

من جملة المسائل الإدارية التي واجهها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والمتعلقة من بعض جوانبها، كمردودها المالي، بنظام العطاء، والتي كان عليه إيجاد حل سريع لها هي مشكلة مطالبة المقاتلين بقسمة الأراضي التي تم تحريرها.

ويظهر مما تورده المصادر التاريخية أن هذه المشكلة أثيرت بعد إرسال سعد بن أبي وقاص كتابة إلى عمر بن الخطاب طالباً فيه رأيه حول توزيع أراضي السواد،

---

(1) الجهشيازي، الوزراء، ص24؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص218.

(2) البلاذري، أنساب، ق2، ص634، 645.

(3) الصولي، محمد بن يحيى (ت 336هـ)، أدب، ص219؛ ابن أبي الحديـد، شـرح، ج16، ص69-70.

(4) البلاذري، فتوح، ص332.

(5) الجاحظ، البيان، ج2، ص142؛ ابن قتيبـة، عيـون، ج2، ص248؛ الطبـري، تـاريخ، ج7، ص269.

ويبدو أن ذلك قد حدث بعد تحرير المدائن وانتصار العرب في معركة جلولاء، وكان سعد قد أرسل إلى الخليفة عمر (رضي الله عنه) يخبره أن المقاتلين سألوه "أن يقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم"[1]، ويطلب رأيه فيما يراه بشأن توزيع الأراضي التي تم تحريرها[2].

يظهر مما تقدم أن مسألة تقسيم الأراضي المحررة على المقاتلين لم تثر في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، حيث لم يتعرض العرب لفلاحي السواد في أثناء قيام خالد بن الوليد بتحرير كل من الحيرة[3]، وبانقيا[4]، وأليس وكلودا[5]، وعانات[6]، ففي أكثر من رواية عن سيف بن عمر أن خالد بن الوليد لم يحرك الفلاحين ولم يسبهم بل أقرهم على الأرض، فقد ذكر قائلاً : "ولم يحرك خالد وأمراؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر إليه فيهم ... وأقر من لم ينهض من الفلاحين وجعل لهم الذمة"[7]. ولعل موقف أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) هذا من الأراضي التي حررها خالد بن الوليد ينسجم مع سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في عدم توزيع الأراضي على المقاتلين[8].

إن البوادر الأولى لظهور مسألة الأراضي المحررة كانت بعد معارك القادسية في سنة 14هـ/635م، أي بعد تولي عمر (رضي الله عنه) للخلافة بسنتين، ويبدو أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) لم يتخذ رأياً واضحاً حولها في البداية، وكان رأيه حسب

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص24؛ ابن آدم، الخراج، ص27.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص24؛ ابن آدم، الخراج، ص27.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص142-143؛ البلاذري، فتوح، ص239-240؛ الطبري، تـاريخ، ج3، ص367.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص145-146؛ البلاذري، فتوح، ص241.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص146؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص355.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص146.

(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص350-352.

(8) الملاح، فيء بني النضير، ص42.

ما تصوره الروايات التاريخية يجنح مرة إلى التوزيع ومرة إلى عدمه، كما أن المقاتلين في البداية لم يعيروا هذه المسألة كبير أهمية وقد يكون ذلك لأنشغالهم بعمليات التحرير من جهة ولكثرة الغنائم التي حصلوا عليها من جهة ثانية، بحيث جعلت تفكيرهم في مسألة الأرض أقل أهمية لما ظهر فيما بعد، وهناك عدة روايات توضح ذلك.

1- كتب سعد إلى عمر (رضي الله عنه) بعد معركة القادسية قائلاً : "أنا وردنا بهرسير بعد الذي لقينا فيما بين القادسية وبهرسير فلم يأتنا أحد لقتال، فبثث الخيول فجمعت الفلاحين من القرى والأجام فما رأيك، فأجابه : ان من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهذا أمانهم ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به ... فلما جاء الكتاب خلى عنهم وراسله الدهاقين فدعاهم إلى الإسلام والرجوع أو الجزاء ولهم الذمة والمنعة فتراجعوا عن الجزاء والمنعة"(1).

2- ذكر شويش العدوي قائلاً : "أتينا الأحواز وبها ناس من الزط واللأساورة فقاتلناهم قتالاً شديداً فظفرنا بهم فأصبنا سبياً كثيراً اقتسمناهم، فكتب إلينا عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض، فخلوا ما في أيديكم من السبي واجعلوا عليهم الخراج فرددنا السبي ولم نملكهم"(2).

ومع وجود هذه الروايات التي تؤكد اتجاه عمر (رضي الله عنه) نحو عدم التوزيع، إلا أن هناك روايات أخرى يتضح منها أن مسألة توزيع الأرض على المقاتلين لم تكن بعيدة عن تفكير عمر (رضي الله عنه).

أ- ذكر حارثة بن مضرب أن عمر "أراد تقسيم السواد بين المسلمين فأمر بهم أن يحصوا فوجد الرجل يصيب الاثنين والثلاثة من الفلاحين"(3).

ب- وجاء في رواية عن هاشم بن عمار الدمشقي أن عمر لما قدم الجابية أراد "قسم

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص5.

(2) البلاذري، فتوح، ص366.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص36؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج1، ص8.

الأرض بين المسلمين"[1].

ج- ويذكر في هذا الاتجاه ترغيب عمر لقبيلة بجيلة عندما أرسلها إلى العراق ولهم "ربع ما غلبوا عليه من السواد"[2].

وإذا كان رأي الخليفة عمر (رضي الله عنه) في البداية قد جنح مرة إلى التقسيم ومرة إلى عدمه فإنه مما يدعو إلى التساؤل بروز اتجاه عند بعض قادة الجيش يشجع عدم التقسيم، فقد ذكر الطبري بإسناد جمعي أن سعد بن أبي وقاص كتب إلى عمر (رضي الله عنه) قائلاً : "أن أهل السواد جلوا فجاءنا من أمسك بعهده، ولم يجلب علينا، فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم. وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن، فأحدث إلينا فيمن تم وفيمن ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم، فأنا بأرض رغيبة والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صلحنا. وأن أعمر لنا وأوهن لعدونا تألفهم"[3]. ولعل مجرد رفض كل من أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص فكرة التقسيم إلا بعد استشارة الخليفة عمر (رضي الله عنه) يؤشر مثل هذا الاتجاه.

ومهما يكن من أمر فإن ما أثاره سعد بن أبي وقاص فيما يخص أرض السواد أثاره وبأوقات مختلفة وغير متزامنة بعضها بعضا كل من أبي عبيدة فيما يخص بلاد الشام وعمرو بن العاص فيما يخص مصر، قال أبو يوسف : "كتب أبو عبيدة إلى عمر (رضي الله عنه) بهزيمة المشركين وبما أفاء الله على المسلمين وما أعطى أهل الذمة من الصلح وما سأله المسلمون من أن يقسم بينهم المدن وأهلها، والأرض وما فيها، من شجر أو زرع وأنه أبى ذلك عليهم حتى كتب إليه فيه ليكتب إليه برأيه فيه"[4]. وذكر ابن عبد الحكم أنه لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية "... كان أكثر المسلمين

(1) أبو عبيد، الأموال، ص59؛ البلاذري، فتوح، ص152.

(2) البلاذري، فتوح، ص263؛ المسعودي، مروج، ج2، ص318.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص584-585.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص149؛ البلاذري، فتوح، ص141.

يريدون قسمها (أي الأرض) فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها"[1].

ويبدو أنه خلال ذلك بدأت الفكرة تتبلور عند عمر (رضي الله عنه) وتتضح، وبدأ يميل إلى عدم تقسيم الأرض وساكنيها بين المحررين، وبدأ بمشاورة الصحابة لاستطلاع رأيهم، فأيده كبار الصحابة بعدم القسمة، وعلى رأسهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن عمر[2]. ويذكر اليعقوبي أن علياً قال لعمر "ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن نقرها في أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا"[3]، وذكر أبو يوسف أن علياً قال : "دعهم يكونوا مادة للمسلمين"[4]، ويقال أن الذي أشار عليه بعدم القسمة هو معاذ بن جبل وكان ذلك في الجابية عندما كانت نية عمر متجهة نحو التقسيم قال : "لأن قسمتها ليكونن ما نكره ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون الاسلام مسداً فلا يجدون شيئاً فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم فصار إلى قول معاذ"[5]. وهناك من يرى أن معاذا تأثر برأي علي حتى صار من المتحمسين لهذه الفكرة وأسهم اسهاماً ملحوظاً بوجهة النظر هذه[6].

أما الذين عارضوا عمر بن الخطاب وطالبوا بتقسيم الأرض بين المقاتلين فهناك اجماع بين المصادر التاريخية على تحديد كل من بلال الحبشي والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف[7]، ولم أجد في أي مصدر من المصادر ما يشير إلى وجود

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص84، 88؛ أبو عبيد، الأموال، ص58.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص25، 35.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص140.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص36؛ ابن آدم، الخراج، ص42.

(5) البلاذري، فتوح، ص152.

(6) قدامة بن جعفر، الخراج، ص206-207؛ الماوردي، الأحكام، ص168.

(7) أبو يوسف، الخراج، ص24-26، 35.

إسماء أخرى وقفت ضد رأي عمر (رضي الله عنه) ومن وافقه غير هؤلاء. ولعل ما يثير التساؤل أنه عندما يذكر إسم أحدهم يقرن بأصحابه فعندما تضايق الخليفة عمر (رضي الله عنه) من الحاحهم في قسمة الأرض قال : "اللهم اكفني بلالاً وأصحابه"[(1)]، وتورد المصادر التاريخية ما يشير إلى أن هؤلاء الثلاثة كانوا يمثلون على ما يبدو أغلبية المقاتلين[(2)]. ولعل ذلك يعود إلى وجود بعضهم في الأمصار، فبلال الحبشي كان في بلاد الشام، وقد خرج على ما يبدو في أول خلافة عمر (رضي الله عنه) ضمن بعوث الشام[(3)]، وأحداً من المقاتلين، إذ ليس هناك ما يشير إلى تسلمه أي منصب قيادي، وتذهب بعض المصادر إلى القول أن بلالاً كان حاضراً عند اجتماع عمر (رضي الله عنه) بقواده في الجابية[(4)]. أما الزبير بن العوام فتَتفِق المصادر التاريخية على وجوده ضمن المقاتلين في مصر، وكان الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد أرسله مدداً لعمرو بن العاص[(5)]. وعلى هذا فقد ذكر أبو يوسف أنهم طالبوا الخليفة أن يقسم "الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر"[(6)]. ويذكر أيضاً أنه "كان أشد الناس عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رباح"[(7)]، وقالوا – أي المطالبون بقسمة الأرض - "أتقف ما أفاء علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا"[(8)]، وقال الزبير بن العوام لعمرو بن العاص "والله لتقسمها كما قسم رسول الله خيبر"[(9)]، والمعروف أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يقسم أرض خيبر وإنما قسم حقوق

---

(1) أبو يوسف، الخراج ، ص26.

(2) المصدر نفسه؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص184.

(3) البلاذري، انساب، ج1، ص192؛ الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص256.

(4) الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص256.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص88؛ البلاذري، فتوح، ص211.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص24.

(7) أبو يوسف، الخراج، ص26.

(8) المصدر نفسه، ص25.

(9) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص88؛ البلاذري، فتوح، ص211.

الأنتفاع؛ لأنه أبقاها بإدارته وعامل اليهود على الاشتغال فيها، وكان يعطي للمقاتلين من غلتها[1]. أما عبد الرحمن بن عوف "فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم"[2].

ويتضح أن المطالبين بقسمة الأرض تمسكوا بآية الغنيمة وحكمها وهي أنه ما يغنمه المقاتلون في الحروب يقسم أخماساً فأربعة أخماس توزع على المقاتلة وخمس للدولة" واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ... [3].

ان ما تم عرضه بالنسبة للمطالبين بقسمة الأرض يثيراً عدداً من التساؤلات أهمها:

1- ما هي الدوافع التي كانت وراء مطالبة كل من عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وبلال بن رباح بتقسيم الأرض، أكانوا فعلاً يمثلون أغلبية المقاتلين أم أنهم كانوا يمثلون رأي فئة قليلة كانت ترغب في أن تصبح ملاكاً للأرض[4].

2- بالنسبة لآية الغنيمة التي تمسك بها المطالبون بقسمة الأرض فأنها نزلت من ضمن سورة الأنفال التي تتحدث عن غنائم بدر، وغنائم بدر كانت أموالاً منقولة وليست أراضي، وسوابق الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تدل بأي حال على أنه قام بتوزيع الأراضي على المقاتلين لكي تتخذ حجة للمطالبين بالقسمة.

3- إن مسألة المطالبة بقسمة الأراضي والمناقشات التي دارت حولها لم تكن بتلك الضخامة التي صورتها الروايات التاريخية، ولا بد أن ذلك التضخيم قد حدث في عصور تالية، ويمكن أن تكون تلك الروايات قد عكست رغبات قادة الجيش وتطلعاتهم ابتداء من عهد عثمان (رضي الله عنه)، حيث ظهرت مسألة توزيع أراضي الصوافي واقطاعها، بعد توقف عمليات التحرير واعتماد المقاتلين على رواتب الأعطيات فقط، وعدم وجود مردود مالي آخر.

ومهما يكن من أمر فإن اختلاف آراء الصحابة حول هذه المسألة وشعور الخليفة

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص50؛ البلاذري، فتوح، ص32، 36.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص25.

(3) سورة الأنفال، آية 41.

(4) دينيت، الجزية في الإسلام، ص51.

عمر (رضي الله عنه) أن المطالبين بقسمة الأرض يشكلون قوة لا يستهان بها في الرأي دفعته إلى عرض القضية على الأنصار في محاولة للحصول على دعمهم له في إسناد موقفه، لذلك فقد جمع عشرة من كبارهم واشرافهم (خمسة من الأوس ومثلهم من الخزرج) وعرض عليهم رأيه في القضية تاركاً لهم حرية الاختيار بين ما يراه هو وما يراه الآخرون قائلاً: "وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين : المقاتلة والذرية، ولمن يأتي من بعدهم، أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام – كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر – لا بد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم، فمن اين يعطي هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ فقالوا الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت"[1].

وأخيراً استقر رأي عمر بعدم تقسيم الأراضي المحررة داعماً موقفة بآيات الفيء[2] إذ قال "قد وجدت حجة في تركه وأن لا أقسمه قول الله تعالى: للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . فتلا عليهم حتى بلغ قوله تعالى : والذين جاءوا من بعدهم قال فكيف اقسمه وادع من يأتي بغير قسم فأجمع على تركه وجمع خراجه واقراره في يد أهله[3]" وبذلك يظهر لنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يقف كبقية مخالفيه عند قول الله تعالى : وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول [4]، وبذلك فإن موقف عمر (رضي الله عنه) كان أقرب إلى نصوص الشريعة وروحها وهو بعمله هذا كان قد حدد مفهوم الفيء والغنيمة بصورة غير مباشرة بعد أن كان الخلط بينهما سبباً في إثارة (قضية تقسيم أراضي البلاد المحررة) إذ جعل الخليفة معنى الغنيمة محصوراً في المال

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص25.
(2) سورة الحشر، آية 7، 10.
(3) أبو يوسف، الخراج، ص35.
(4) سورة الحشر، آية 7.

المنقول الذي يأتي نتيجة الحرب. أما الفيء فقد اتسع مفهومه ليشمل وارد البلاد المحررة من عقارات وماعليها، مما لا يوزع بل يترك لصاحبه الأول مقابل أداء الخراج[1]، وبمعنى آخر أن الفيء أصبح حقاً من حقوق الأمة تتصرف فيه الدولة بالنيابة عنها في الحاجة والمصلحة وفي تغطية النفقات العامة للدولة[2].

وبعد أن استقر الرأي على عدم التقسيم أصدر الخليفة قراره الخطير حيث كتب إلى قائده سعد بن أبي وقاص رداً على كتابه قائلاً له: "فانظر ما أجاب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال فأقسمه بين من حضر من المسلمين وأترك الأرض والأنهار بعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين"[3] وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح "فأقر ما أفاء الله عليك في أيدي أهله وأجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسمها بين المسلمين ويكونون عمار الأرض فهم أعلم بها وأقوى عليها"[4]. وكتب إلى عمرو بن العاص "أن دعها (أي الأرض دون قسم) حتى يغزو حبل الحبلة"[5]. وذرهم (أي السكان) يكون خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم"[6]، ويعلق ابن سلام على كتاب عمر (رضي الله عنه) إلى عمرو فيقول: "أراه أراد أن يكون فيئاً موقوفاً للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن عن قرن (أي جيل عن جيل) فتكون قوة لهم على عدوهم"[7].

وأخيراً وقبل مناقشة الأسباب التي دفعت عمر (رضي الله عنه) إلى عدم التقسيم يكون من المفيد التنبيه إلى أن موقف عمر (رضي الله عنه) من أرض السواد والشام لم يكن واضحاً منذ البداية لا للخليفة نفسه ولا لبقية الصحابة، وقد رأينا كيف أن هناك روايات تذكر أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أراد أن يقسم السواد وأرض الشام في

---

(1) الدوري، في التنظيم الاقتصادي، ص77؛ فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص29-30.

(2) الملاح، فيء بني النضير، ص48.

(3) ابن أنس، مالك، (ت 179هـ)، المدونة، ج2، ص12-13؛ أبو يوسف، الخراج، ص24.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص141.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص58؛ البلاذري، فتوح، ص211.

(6) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص82.

(7) أبو عبيد، الأموال، ص58.

أول الأمر، والقصد من ذكر ذلك أن الموقف الذي أقره عمر في أرض العراق ثم طبق على الشام ومصر جاء بعد سلسلة من المناقشات والمشأورات العديدة، وقد يكون للأوضاع العامة في هذه المرحلة المبكرة من عمر الدولة أثره في ذلك، أو كما يقول الدوري "أن عمر استقر على هذا الرأي بعد ترو وتقدير للأوضاع"(1).

1- أهداف الخليفة عمر من عدم التقسيم :

أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يهدف من وراء عدم التقسيم تحقيق أمور جوهرية يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

(1) جاء قرار عمر (رضي الله عنه) بعدم قسمة الأراضي على المقاتلين منسجماً مع خطة الخلافة في توجيه القبائل نحو التحرير ومتوافقاً مع إرادة عمر أن يجعل من العرب أمة مجاهدة.

(2) إن فكرة تقسيم الأرض المحررة لا يمكن تنفيذها؛ لأن مثل هذا التغيير الهائل في الممتلكات كان صعباً ولأن العرب لم يكن بوسعهم ان يقتسموا فيما بينهم تلك المساحات الواسعة من الأراضي(2).

(3) ان حالة العرب أول الأمر استدعت التجمع العسكري، وبهذا العمل استطاعت الحكومة المركزية أن تنزل رجال القبائل في أجناد وأمصار بدلاً من أن تدعهم ينتشرون في طول البلاد وعرضها، وتمكنت بهذه الوسيلة من أن تشرف عليهم إشرافاً مثمراً وتسيطر على جماعتهم سيطرة نافذة(3).

(4) أراد عمر (رضي الله عنه) أن تكون واردات الأراضي فيئاً لكل المسلمين، وليس لشخص دون آخر، قال عمر (رضي الله عنه) والله لا يفتح بعدي بلد فيكون به

---

(1) الدوري، التنظيمات المالية، ج2، ص163.

(2) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص38.

(3) جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص8؛ الدوري، التكوين التاريخي، ص48؛ الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص15، 16، 140.

كبير نيل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين"[1].

وقد جاء هذا القرار منسجماً مع خطة الخلافة في توفير مصدر مالي ودائم للأعطيات والأرزاق للمقاتلة، قال عمر: "إذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق"[2]. ولم يكن عمر (رضي الله عنه) ينوي توفير الأعطيات والأرزاق للجيل الذي شهد التحرير، فحسب، بل أراد أيضاً إشراك الأجيال اللاحقة بوارد الأرض[3]، ويتضح هذا من كلامه لطالبي قسمة الأرض "قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق بعدكم شيء ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه"[4]. وقال لهم مبيناً ما ينتج عن قسمة الأرض "إذن اترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم"[5]. ويقول أحد الباحثين ان عمر بقراره هذا قد وقف إلى جانب (مجموع) الأمة بأجيالها في الحاضر والمستقبل في حين وقف مخالفوه لهذا المبدأ بجانب الفرد المحرر[6]. ويعلق كل من الدكتور الدوري والدكتور الجنجاني على إصرار عمر (رضي الله عنه) على ضرورة توفير مورد دائم للدولة بأنها نظرة تنطلق من مفهوم الأمة ومن مصلحة الدولة الإسلامية[7]. كذلك لاغرابة عندما يصف عمر (رضي الله عنه) الأرض وصفاً اقتصادياً بأنها "عين المال"[8]؛ أي أنه كان ينظر إلى الأرض عنصراً انتاجياً ثابتاً وإلى كونها أداة توفير

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص25.

(2) المصدر نفسه، ص25.

(3) قدامة بن جعفر، الخراج، ص206-207.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص224.

(5) المصدر نفسه، ص26؛ البلاذري، فتوح، ص372.

(6) محمد عمارة، عمر نظرة عصرية جديدة، ص48.

(7) الدوري، التنظيمات المالية، ج2، ص164، 186.

(8) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1، ص585.

مصادر الدخل للدولة وإلى حقوق أبناء الأمة كافة والأجيال اللاحقة فيها[1].

(5) أراد عمر (رضي الله عنه) عدم ايجاد طبقة محتكرة من العرب، وفي الوقت نفسه عاجزة عن خدمة الأرض غير خبيرة بزراعتها، وهو بذلك منع أيضاً تحقيق مبدأ وراثية الأرض، وقد أوضح ذلك لمعارضيه المطالبين بتقسيم الأرض قائلاً فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض ... قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت"[2].

(6) ويبدو أن عمر خاف أن يختلف المسلمون بينهم في الأراضي والمياه وبخاصة لما قد يتطور إليه المجتمع الإسلامي من ازدياد السكان، وتجنباً لما يؤديه التقسيم من بذر الفرقة والتنافس والأنقسام، ومما قاله بهذا الصدد "أخاف أن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه"[3]. ولهذا عد طرخان قرار عمر بعدم تقسيم الأرض أنه رفض من الخليفة لأقطاع أرض السواد بين المقاتلين[4].

(7) ولا ريب أن من جملة أهداف الخليفة عمر (رضي الله عنه) أن يقف العرب المسلمون موقفاً ايجابياً من سكان البلاد المحررة الذين بدءوا يشعرون بالفروق بين طبيعة الحكم العربي الجديد وبين ما كانوا يعانونه من السيطرة الأجنبية، سواء أكانت فارسية أو بيزنطية وقد عبر عن هذا سعد عندما قال لعمر مؤيداً عدم التقسيم "وقد كثر أهل صلحنا وأن أعمر لنا وأوهن لعدونا تألفهم"[5].

7.5 أنواع الأراضي وكيفية إدارتها :

جعلت الأراضي المحررة على ثلاثة أصناف :

أ- أراضي الخراج ب- أراضي الصوافي جـ - أراضي الصلح

---

(1) خليل، محسن، في الفكر الاقتصادي، ص296.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص24.

(3) أبو عبيد، الأموال، ص57؛ البلاذري، فتوح، ص264.

(4) طرخان، ابراهيم علي، النظم الاقطاعية، ص11.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص585.

أراضي الخراج :

ويقصد بالأراضي الخراجية تلك الأراضي التي حررها العرب المسلمون بالقتال، وأقرت في أيدي أهلها، وقد وقفها الخليفة عمر بن الخطاب كما رأينا على مصالح المسلمين كافة، بدل توزيعها على المقاتلة الذين حرروها، ويشمل هذا الصنف عامة الأراضي المحررة في السواد (العراق) والشام، ومصر[1].

ولعل أوضح ما تكون الأراضي الخراجية في أرض السواد. لذلك سوف نتناول اجراءات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيها أولاً :

أراضي الخراج في السواد :

يجدر بنا قبل التعرف على كيفية التعامل مع أراضي الخراج في السواد والسياسة التي اتبعت في فرض الضرائب عليها أن نعطي تعريفاً لما تعنيه كلمة مساحة كما جاءت في معاجم اللغة.

يقصد بالمساحة ذرع الأرض، ويقال مسح يمسح ومسح الأرض مساحة أي ذرعها. ويقال أيضاً الماسح والمساحة ذرع الأرض[2].

فبعد تحرير العراق احتاج العرب المسلمون إلى تنظيم أمور المال فيه وجباية الأموال الموظفة عليه بطريقة ميسورة، ذكر أبو هلال العسكري رواية عن المدائني وعن غيره برواية جمعية قال : "لما ظهر المسلمون على السواد وفارس لم يعلموا كيف يصنعون الخراج وجباية أهل الذمة، وكان سعد يستعمل العامل على طروح فياتية بما يجد ولا يدري كيف يعمل[3]؛ ولكن بعد أن توطدت حركة التحرير العربية في العراق بعد معركة نهاوند 21هـ/641م[4]، تيسر لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يقوم بتنظيم أمور السواد، لذلك انتدب الخليفة عمر (رضي الله عنه) كلا من عثمان بن

---

(1) البلاذري، فتوح، ص429-430؛ ابن آدم، الخراج، ص24؛ ابن وهب، البرهان، ص378.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ص351.

(3) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص135.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص143؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص114.

حنيف وحذيفة بن اليمان لمساحة السواد وتقدير الضرائب وبعث الأول إلى ما وراء دجلة والثاني إل مادونة[1]، وكان ذلك عام 21هـ/641م[2]، والحقيقة ليس لدينا إشارة عن الطريقة التي استخدمت في قياس مساحة الأراضي أو السبل التي اتبعت في ذلك، كما أنه لا تعرف الفترة التي استغرقتها عملية المسح، وإن كنا نستطيع أن نخمن ذلك، فقد ذكر أبو يوسف أنه بعد أن جرت مساحة السواد "أدت جباية مواد الكوفة قبل ان يموت عمر (رضي الله عنه) بعام مائة ألف ألف درهم"[3]، أي في سنة 22هـ/642م ولما كان قياس المساحة قد بدئ فيه سنة 21هـ/641م فمعنى هذا أن الفتة التي استغرقها قياس مساحة أرض السواد بحدود عام واحد، مما يدل على أن الطريقة التي اتبعت في قياس المساحة كانت بسيطة وغير معقدة، ولا بد أن عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان اعتمدا من جهة على قدرتهما وخبرتهما في هذا المجال، وعلى التجارب السابقة التي تمت قبل تحرير العراق من جهة ثانية، فالمعروف أن أرض السواد كانت من جملة الأراضي التي مسحها (ذرعها) في عهد قباذ بن فيروز الذي بدأ بالعمل ولم يكمله فأكمله أبو شروان[4]. لذلك لا بد أن سكان كل قرية كانوا يعرفون مساحة أراضيهم، فلم يكن على عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان إلا أن يدققا هذه المساحة، ولعل ما ذكره أبو يوسف عن دقة مساحة عثمان وعدم دقة مساحة حذيفة بن اليمان ما يشعر بذلك، فقد ذكر قائلاً: "فمسحا على ذلك فكانت مساحتهما مختلفة. كان عثمان عالماً بالخراج فمسحها مساحة الديباج، وأما حذيفة فكان أهل جوخي قوماً مناكير فلعبوا به في مساحته"[5]، ولعل اتساع مساحة السواد والسرعة التي جرت في قياسها دفعت

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص37؛ ابن آدم، الخراج، ص77؛ البلاذري، فتوح، ص265.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص146؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص145.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص26.

(4) الدينوري، الأخبار، ص71؛ ابن رستة، الأعلاق، ص104؛ الجهـشياري، الـوزراء، ص5؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص143.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص38.

دينيت إلى القول أن عمر (رضي الله عنه) بعث بلجنة على رأسها عثمان بن حنيف تطوف السواد كله، كما بعث بلجنة أخرى على رأسها حذيفة بن اليمان تطوف الإقليم الذي يقع شرق دجلة لجمع المعلومات والاحصاءات عن قدر الممتلكات وعددها. ولم تقم هذه اللجان بمسح كل جريب من الأرض فقد قام بذلك الساسانيون من قبل[1].

وقدرت مساحة السواد بستة وثلاثين ألف جريب*[2]، وهي مساحة الأراضي القابلة للزراعة، وتركت الأراضي التي لا يأتي فيها الحرث "كمواضع الجبال والاكام والتلول والاجام والسباخ ومدارس الطرق ... ومواضع المدن وغير ذلك من المواضع التي لا يتأتى فيها الحرث"[3]، ويذكر اليعقوبي أيضاً أن عمر بن الخطاب أمر عثمان عندما أرسله أن "لا يمسح تلاً ولا أجمة ولا مستنقع ماء وما لا يبلغه الماء"[4]، كما طلب عمر من عامليه أن يتوخيا العدالة "وأن لا يحملا أحدا فوق طاقته"[5]، ووضع العاملان تقاريرهما للضرائب وشرحاً للخليفة ما قاما به، فسأل أن كانا قد حملا الأرض مالاً تطيق "فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي له مطيقة، ولو شئت لأضعفت أرضي، وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتملة، وما فيها كثير فضل، فقال عمر (رضي الله عنه) : ... اما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن إلى أحد بعدي"[6]، وقد اختلفت الروايات حول مقدار الخراج المفروض على أرض السواد، فرواية تقول : أن عمر لم يراع نوع المحصول في فرضه الخراج، فقد وضع على كل جريب عامر أو غامر درهماً وقفيزاً وألغى الكرم والنخل والرطاب[7]. والرواية الثانية

(1) دينيت، الجزية والإسلام، ص55.
* الجريب: كمقياس للأرض يساوى، 1592م2 هنتس : المكاييل.
(2) أبو يوسف، الخراج، ص36؛ ابن خرداذبه، المسالك، ص14؛ ابن رستة، الأعلاق، ص105.
(3) المسعودي، التنبيه، ص51.
(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص140.
(5) المصدر نفسه، ج2، ص140.
(6) أبو يوسف، الخراج، ص37، 48، 84.
(7) أبو يوسف، الخراج، ص38.

تقول : أن عمر وضع الخراج حسب نوع المحصول، ففرض الخراج أيضاً على وحدة المساحة من الأرض وهي الجريب (1592م^2) [1]، فوضع على كل جريب من أرض الحنطة أربعة دراهم والشعير درهمين[2]، وعلى كل جريب من أرض النخل ثمانية دراهم[3]. وعلى كل جريب من أرض القطن خمسة دراهم[4]، وعلى كل جريب من أرض الزيتون اثنى عشر درهماً[5]، وعلى كل جريب من أرض قصب السكر ستة دراهم[6]، وعلى كل جريب من أرض الرطبة خمسة دراهم في أكثر الروايات[7]، وجعلت عامة الروايات على كل جريب من أرض الكرم عشرة دراهم[8].

أما سبب الاختلاف بين الروايتين فيعزوه كل من الدوري ودينيت إلى أن الخراج فرض على أرض الحنطة والشعير ابتداء وهو (درهم وقفيز) أي أن خراج الحبوب كان بالنقد والنوع معاً، ومن ثم فرض على بقية الغلات، ويؤيدان وجهة نظرهما هذه بالقول أن المغيرة بن شعبة كتب إلى الخليفة وهو على السواد (22هـ/642م – 24هـ/644م) "أن قبلنا أصنافاً من الغلة لها مزيد على الحنطة والشعير فذكر الماش والكروم والرطبة والسماسم، قال : فوضع عليهما ثمانية ثمانية وألغى النخيل"[9]. ويذكر الدوري أن هذه الرواية التي يرويها يحيى بن آدم تشعر بأن بعض الغلات لم يفرض عليها شيء في البداية وأنها أضيفت في ولاية المغيرة بن شعبة[10].

ويذهب الآخرون إلى القول أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد طبق

---

(1) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص28.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص36؛ أبو عبيد، الأموال، ص69.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص36؛ أو عبيد، الأموال، ص69.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص38؛ البلاذري، فتوح، ص266.

(5) أبو عبيد الأموال، ص69؛ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص136.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص36؛ أبو عبيد، الأموال، ص69.

(7) أبو يوسف، الخراج، ص36.

(8) المصدر نفسه، ص36.

(9) البلاذري، فتوح، ص265.

(10) الدوري، التنظيمات المالية، ج2، ص168.

الضريبة الأولى (درهم وقفيز) في مكان ما من السواد والثانية في مكان آخر أو في فترات مختلفة مستندين إلى رواية للماوردي يقول فيها أن ضريبة الأرض في (نواح أخرى من العراق) خارج السواد كانت تختلف حسب المحصول[1].

ويبدو لي أن هذا الاختلاف يعود إلى أن فترة خلافة عمر بن الخطاب كانت فترة بناء المؤسسات الإدارية وتنظيم الضرائب في الأقاليم المحررة، ومن الضروري أن لا يكون استقرار في اتخاذ الاجراءات المناسبة وذلك لظروف التحرير من جهة ولوجود الأعراف والتقاليد السائدة في تلك المناطق من جهة أخرى، ولهذا فإن تلك الضرائب استقرت تقريباً وبشكل واضح في نهاية عهد عمر (رضي الله عنه) بعد تفهم تام للأوضاع في تلك الأقاليم.

ويتضح من كل ذلك ما يأتي :

1- أن هذه العملية تمت بعد استقرار عمليات التحرير في العراق سنة 21هـ/641م وهو العام الذي بدأ فيه التنظيم الضريبي للدولة العربية الإسلامية.

2- ان القائمين بعملية (مسح السواد) استفادوا من الخبرة المحلية في عملهم وأن التنظيم الضريبي لأراضي السواد قد استفاد من التجارب السابقة في المنطقة، ولكنه صهرها ضمن الرؤية العربية الإسلامية خاصة والسياسة المالية عامة[2].

3- وأخيراً يمكن القول أيضاً أن لعملية مسح الأراضي التي قام بها كل من من حذيفة وعثمان أثرها في تنفيذ مشاريع ري متعددة شملت مختلف نواحي البلاد، فقد ساعدت هذه العملية على كشف طبيعة الأراضي والأنهار التي تجري فيها، ومعرفة المناطق التي تحتاج إلى حفر نهر وإلى شق قناة، وقد ذكر البلاذري ما يوضح ذلك قائلاً : "مسح حذيفة سقي دجلة ... وقناطر حذيفة نسبت إليه ذلك أنه نزل عندها ويقال جددها"[3]. وفي البصرة شكا الأحنف بن قيس حالة البصرة وملوحة مياهها

---

(1) دينيت، الجزية والإسلام، ص55.

(2) الدوري، التنظيمات المالية، ج2، ص165.

(3) البلاذري، فتوح، ص267.

فأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أبا موسى الأشعري أن يحفر نهرا فيها فحفر أبو موسى نهر الأبلة[1]، كما أمره بحفر نهر آخر فيها وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني فنسب إليه "فقال الناس نهر معقل"[2].

1- التصرف بأراضي الخراج :

كنا قد ذكرنا سابقاً أن الرأي استقر على أن تكون الأرض المحررة بالقتال ملكية عامة للمسلمين، لذلك فقد ورد نهي الفقهاء عن بيع أرض الخراج لمسلم على أساس أنها وقف وخراجها دائم؛ ولأن انتقالها من الذمي إلى المسلم يترتب عليه اعفاؤها من الخراج وإلزام المسلم بالعشر فقط ومعنى ذلك انقاص موارد الدولة[3]. ويذكر أبو عبيد أن عمر عندما دفع الأرض إلى سكان البلاد المحررة دفعها لهم "بخراج معلوم كالرجل يكرى أرضه بأجرة مسماة وكذلك معنى الخراج في كلام العرب إنما هو الكراء والغلة. ألا تراهم يسمون غلة الأرض والدار والمملوك خراجاً"[4]، ومعنى ذلك أن عمر (رضي الله عنه) عد هذه الأرض ملكاً للدولة، وأن الخراج يمثل حقوق الأمة في تلك الأرض، ولدينا شواهد عديدة من عهد عمر (رضي الله عنه) على ذلك ذكر الشعبي قائلاً : "اشترى عتبة بن فرقد أرضاً على شاطئ الفرات ليتخذ فيها قضباً فذكر ذلك لعمر فقال ممن اشتريتها ؟ قال من أربابها. فلما اجتمع المهاجرون والأنصار عند عمر قال : هؤلاء أهلها فهل اشتريت منهم شيئاً ؟ قال : لا، قال : فأرددها على من أشتريها منه وخذ مالك"[5]. واشترى طلحة بن عبيد الله أرضاً خراجية "فأتى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فذكر ذلك، فقال : إني اشتريت أرضاً معجبة فقال عمر ... ممن اشتريتها، اشتريتها من أهل الكوفة، اشتريتها من أهل القادسية، قال طلحة : وكيف

---

(1) المصدر نفسه، ص347.

(2) المصدر نفسه، ص348.

(3) أبو عبيد، الأموال، ص79؛ الماوردي، الأحكام، ص137-147.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص73؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص207.

(5) أبو عبيد الأموال، ص77.

اشتريها من أهل القادسية كلهم، قال : إنك لم تصنع شيئاً إنما هي فيء"[1].

يتضح لنا مما تقدم أن جانب المنع من قبل عمر يدل على مسألتين :

الأولى: أن هناك رغبة عند بعض العرب لشراء الأرض وإدراكاً منهم لأهمية الأرض من الناحية الاقتصادية.

الثانية: أن الأرض المحررة عندما أبقيت بأيدي أصحابها أبقيت على سبيل الاستثمار والأنتفاع، ولغرض عدم تعطيلها[2].

لذلك فقد اتخذ عمر (رضي الله عنه) قراراً بأن يبقي الخراج على الذمي حتى في حالة اسلامه، فقد ذكر ابن عبد الحكم "أن رجلاً أسلم على عهد عمر بن الخطاب فقال : ضعوا الجزية (يقصد الخراج) عن أرضي فقال عمر : لا "إن أرضك فتحت عنوة"[3]، وحدث طارق بن شهاب قائلاً : "كتب إلى عمر بن الخطاب في دهقانة نهر الملك أسلمت فكتب أن ادفعوا إليها أرضها تؤدي عنها الخراج"[4].

2- أراضي الصوافي وإدارتها :

وهي التي أصبحت نتيجة لتحرير كل من العراق والشام ومصر لا مالك لها باعتبارها كانت مملوكة للأسر المالكة والنبلاء، سواء أكانوا من الحكام البيزنطيين في مصر أم الامبراطور (الدولة البيزنطية) في الشام أم تلك التي (تخص العائلة المالكة الساسانية وكبار النبلاء الذين فروا معها) في العراق.

والواقع أن المعلومات عن الصوافي في كل من مصر والشام تكاد تكون ضئيلة، ولكن يمكن تكوين فكرة واضحة عنها عند النظر إلى العراق، فقد ذكر أبو عبيد أن عمر (رضي الله عنه) أصفى من السواد عشرة أصناف[5]، وهي كل أرض كانت لآل

---

(1) ابن رجب، الاستخراج، ص75.

(2) خليل، في الفكر الاقتصادي، ص249.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص155.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص87؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص207.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص283؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص217.

كسرى ومرازبته وأهل بيته"[1]، "أو لرجل قتل في الحرب أو لحق بأرض الحرب أو مغيض ماء أو دير بريد[2]، "وما كان لبيوت النار ... وما كان للسكك"[3]، ومن كان كسرى أصفى أرضه"[4]. ويؤكد ذلك سيف بن عمر عند حديثه عن العهد الذي أعطي لمن أقام بالسواد من العجم بعد التحرير قائلاً : "ولم يدخلوا في الصلح ما كان كسرى ولا ما كان لمن خرج معهم ...فصارت فيئاً من أفاء الله عليه فهي والصوافي الأولى ملك لمن أفاء الله"[5].

وتشير بعض الروايات إلى أن عمر (رضي الله عنه) قد اتجه نحو تقسيم الصوافي في البداية، فقد ذكر سيف بن عمر قائلاً : "كتبوا إلى عمر في الصوافي، فكتب إليهم أن اعمدوا إلى الصوافي التي أصفاكموها الله فوزعوها على من أفاءها الله عليه أربعة أخماس للجند، وخمساً في مواضعه الي وان أحبوا أن ينزلوها فهو الذي لهم"[6]. وترد بعض الإشارات عند الطبري إلى أن بعض المسلمين استولوا على الصوافي وقسموها بينهم فعلاً، فقد ذكر سيف بن عمر أن جزء بن معاوية استولى على مدينة دورق حين وجدها خالية "وأخذها صافية"[7]، وكتب إلى عمر (رضي الله عنه) واستإذنه في عمارتها، فإذن له فشق الأنهار بها وعمر الموات[8]. وترد عند البلاذري والطبري عدة روايات تؤكد أن العرب المسلمين سيطروا على الأراضي التي هرب عنها أصحابها ولم يعودوا إليها وقسموها واعتبروها من الصوافي[9].

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص57.

(2) المصدر نفسه، ص57.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص586.

(4) ابن آدم، الخراج، ص64؛ البلاذري، فتوح، ص268.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص586.

(6) المصدر نفسه، ج4، ص31-32.

(7) الطبري، تاريخ، ج4، ص77؛ جوده، العرب، ص90.

(8) الطبري، تاريخ، ج4، ص147-148.

(9) البلاذري، فتوح، ص379-380؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص30-31.

ولعل سياسة عمر (رضي الله عنه) بالموافقة على تقسيم الصوافي دفع أحد الباحثين إلى القول: أن ما ذكر عن بجيلة من أنها أخذت ربع السواد يأتي ضمن أرض الصوافي مستدلاً على ذلك بالقول أن الصوافي فقط هي التي سمح للقبائل بامتلاكها وينفي رواية أن عمر أعطى بجيلة ربع السواد من غير الصوافي لأن راويها رجل من بجيلة هو قيس بن أبي حازم[1].

ومهما يكن الذي حصلت عليه بجيلة إن كان من أرض الخراج أو من الصوافي فقد أفادت الروايات التاريخية أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) استرد هذا القسم منها وعوضهم عنها بإعطائهم ثمانين ديناراً في رواية وأربعمائة دينار في رواية أخرى[2]، إلا أن مما لا نجد تفسيراً له كيف استطاع عمر (رضي الله عنه) استرضاء بجيلة بهذا المبلغ الصغير مما يجعلنا نظن أن ما حصلت عليه بجيلة ليست أرضاً وإنما قد يكون جزءاً متميزاً من غنائم القادسية لكونهم يشكلون ربع قوات القادسية كما تذكر المصادر[3].

ومهما يكن من أمر أيضاً فإن الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد تراجع عن سياسته في توزيع الصوافي، وقد أوضح سيف بن عمر ذلك عند حديثه عن صوافي السواد قائلاً : "فلم يتأتى قسم ذلك الفيء الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم لأنه كان متفرقاً في كل السواد، فكان يليه لأهل الفيء من وثقوا به وتراضوا عليه"[4].

ويبدو أن عمر منح أيضاً بعض القطائع الشخصية من الصوافي لأشخاص معينين ولم يستردها. فقد أقطع كلا من الزبير وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وخباب وأسامة بن زيد[5]. إلا أننا يجب أن نشير إلى أن عمر كان

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص31-32؛ البلاذري، فتوح، ص249.

(2) الشافعي، الأم، ج4، ص192؛ البلاذري، فتوح، ص263.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص31؛ البلاذري، فتوح، ص263.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص586؛ الدوري، التنظيمات المالية، ج2، ص177.

(5) ابن آدم، الخراج، ص78.

متحفظاً بشأن منح القطائع مما دفع دينيت إلى وصفه بالقول : "كان عمر مقتصداً إلى حد كبير في منح القطائع من الصوافي بعكس عثمان وعلي اللذين كانا سخيين بها إلى حد كبير"[1]. وتبين بعض الروايات أن عمر كان حذراً في منح القطائع، وقد يكون ذلك؛ لأنه يدرك أن القطائع قد تكون سبباً للإثراء، لذلك نراه يكتب إلى عثمان بن حنيف أن يقطع "جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط"[2]، ومما يدال على شدة تحفظه أيضاً بشأن منح القطائع من الصوافي ما ذكره يحيى بن آدم قائلاً : "كان بالبصرة رجل يقال له نافع أبو عبد الله وكان أول من افتلى الفلى بالبصرة، فأتى عمر (رضي الله عنه) فقال : إن بالبصرة أرضاً ليست بأرض الخراج ولا تضر بأحد من المسلمين ... قال : فكتب عمر إلى أبي موسى إن كانت ليست تضر بأحد من المسلمين وليست من أرض الخراج فأقطعها إياه"[3]. ولكن يظهر أن عمر (رضي الله عنه) كان يرغب في أن يقوم المسلمون باستصلاح الأراضي الموات واستغلالها، لذا نراه يمنح بعض الأشخاص هذا النوع من الأراضي[4].

استغلال أراضي الصوافي :

لا تذكر لنا المصادر التاريخية أن أي إشارة الى حجم أراضي الصوافي ومقدار مساحتها، ولكن بعض هذه المصادر تذكر أن معظم هذه الصوافي كانت بساتين ومزارع، فقد ذكر أبو يوسف أن الصوافي في العراق كان يطلق عليها "صوافي الأثمار"[5]، وعندما يتحدث ابن عساكر عن ماهية هذه الصوافي يذكر قائلاً : "فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عما كان في أيديها من المزارع ... فصارت تلك

(1) دينيت، الجزية والإسلام، ص64-65.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص589.

(3) ابن آدم، الخراج، ص78-79؛ الصولي، أدب الكتاب، ج3، ص212.

(4) ابن آدم، الخراج، ص78-79؛ البلاذري، فتوح، ص22.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص57.

المزارع والقرى صافية للمسلمين"[1].

أما عن وارد هذه الصوافي فلدينا روايات واضحة عن واردها في العراق، وإن كان هناك اختلاف فيما بينها. فقد ذكر أبو يوسف بن عبد الله بن الوليد المدني (أو المزني) أن وارد غلة صوافي السواد "بلغت ... على عهد عمر أربعة آلاف ألف درهم"[2]، وفي رواية أخرى أن الوارد بلغ "سبعة آلاف ألف درهم"[3]، وينفرد الماوردي (والمقريزي الذي نقل منه على ما يبدو) برواية ثالثة يقول فيها أن مبلغ غلتها (أي صوافي السواد) تسعة آلاف ألف درهم كان يصرفها (أي عمر) في مصالح المسلمين"[4].

ويعلق الدوري على هذا الاختلاف بالقول أن "الرواية الأولى (أربعة آلاف ألف درهم) تمثل بداية تقدير الثانية (سبعة آلاف ألف درهم) تمثل ما استقر عليه الوارد بعدئذ"[5].

أما عن كيفية استغلال هذه الصوافي (من غير تلك التي أقطعها عمر وأسكنها المقاتلين) فالطريقة التي اتبعت في إدارتها غير واضحة تماماً وإن كنا نستطيع أن نستنتج من بعض الروايات ما يشير إلى ذلك، ففي الشام ترد إلينا بعض الروايات التي تؤكد أن استغلال هذه الصوافي كان يتم عن طريق المزارعة أو المشاركة وأن الولاة هم الذين يديرونها، فقد ذكر ابن عساكر ما يوضح ذلك بالقول : "فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين موقوفة يَقْبُلها والي المسلمين كما يقبل الرجل مزرعته ... فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت المال فتخرج نفقة مع ما يخرج من

---

(1) ابن عساكر، التاريخ، ج1، ص182-183.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص57؛ ابن آدم، الخراج، ص64.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص57.

(4) الماوردي، الأحكام، ص185.

(5) الدوري، التنظيمات المالية، ج2، ص175-176.

الخراج[1].

وهناك إشارة أخرى ترد إلينا من الاصطخري تعزز أن أراضي الصوافي كانت تعطى على أساس المزارعة أو المقاسمة، فقد ذكر ما يفيد أنه في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كانت هناك "مقاسمات على قرى صارت لبيت المال يزارع الناس عليها[2]، "فيقاسمون على العشر والثلث والربع وغير ذلك"[3].

وعندما يناقش الدكتور شعبان مسألة أراضي الصوافي في السواد يذكر قائلاً : أنه ليست لدينا معلومات عن الترتيبات التي كان الفلاحون يعملون بموجبها في هذه الأراضي، لكنه من المعقول أن نفترض أن الفلاحين ظلوا مرتبطين بهذه الأراضي مع إدخال أسس جديدة لما كانوا يعملون عليه في السابق[4].

ويبدو أن أراضي الصوافي عوملت نفس معاملة أرض الخراج من حيث منع البيع والشراء فقد وردت إشارات تشير إلى منع عمر شراء أراضي الصوافي؛ لأنه عدها ملكاً عاماً وموردأً للمقاتلة وأولادهم، فقد ذكر سيف بن عمر أن جرير بن عبد الله البجلي "اشترى ... من أرض السواد صافية على شاطئ الفرات، فأتى عمر فأخبره، فرد ذلك الشراء وكرهه، ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله"[5]. ويوضح الطبري برواية جمعية عن سيف عدم جواز شراء أرض الصوافي بالعراق من حلوان إلى العذيب[6].

3- أراضي الصلح وإدارتها:

وهي الأراضي التي صالح أهلها المسلمين على أن يدفعوا إليهم ضريبة واحدة

---

(1) ابن عساكر، التاريخ، ج1، ص183.

(2) الاصطخري، المسالك، ص95؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص121.

(3) الاصطخري، المسالك، ص95.

(4) شعبان، صدر الإسلام، ص60-61.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص33.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص589، ج4، ص31-33.

وتبقى ملكية أراضيهم لهم، وقد أوضح يحيى بن آدم موقف هذه الأراضي بالقول : "فمن كان منهم صلحاً فعليهم الذي صولحوا عليه فيخلّى بينهم وبين أرضهم ولا يوضع عليها شيء ما أقاموا بصلحهم يؤدونه إلى المسلمين"[1]. والحقيقة أن نسبة هذا الصنف من الأراضي في السواد ضئيلة وهي أرض الحيرة وبانقيا وأليس بارسوما[2]. والمعروف أن خالد بن الوليد هو الذي قام بتحرير هذه المناطق وعقد الصلح معهم، فكان صلحه مع أهل الحيرة "على تسعين ألف درهم"[3]، ومع أهل بانقيا وأليس "على ألف درهم وطيلسان"[4]. ويذكر أبو عبيد أن بعض مدن الشام كدمشق وغيرها حررت صلحاً دون أراضيها وكذلك مدن الجزيرة[5].

ويظهر أن العلاقة المالية بين المناطق المحررة صلحاً وبين المسلمين محدودة بالعهود والعقود وثابتة في الغالب وتتمثل بضريبة مالية اجمالية واحدة تفرض على أهل المنطقة عامة ثم توزع بينهم على الأفراد[6].

---

(1) ابن آدم، الخراج، ص21.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص81.

(3) الطبري، تاريخ، ج3، ص343-344.

(4) المصدر نفسه؛ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص119.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص100.

(6) الدوري، النظم الإسلامية، ص121.

الفصل السادس
التنظيمات الإدارية في الأمصار

1.6 تمصير الأمصار

1- أسباب بناء الأمصار:

لقد دعا استمرار حركات التحرير واتساعها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى التفكير في إيجاد مقرات دائمة لاستقرار الجند المقاتلة الذين كانوا يخوضون المعارك في جبهات العراق والشام ومصر.

وقد اختلفت أوضاع السكنى في الشام عنها في العراق، ففي الشام دعت الأوضاع للعيش في مناطق قوية ومستقرة إلى أقصى حد مستطاع، وذلك لمواجهة أوضاع المناخ الذي يتميز بكثرة الأمطار، وكذلك لمواجهة خطر الهجوم البيزنطي المعاكس الذي لم ينته أثره، لعدم تمكن العرب من القضاء نهائياً على الإمبراطورية البيزنطية، لذلك فقد استغل العرب فرصة ترك الروم لدورهم وسكناهم والتحاقهم بالإمبراطور البيزنطي ليستقروا في مدن قديمة عامرة ذات تراث محلي وخارجي اتخذوا فيها مراكز لقواتهم مثل أجناد الشام وفلسطين(1)، إلا أن الوضع في العراق ومصر اختلاف عن ذلك حيث لم تقدم الجموع العربية على الاستيطان على شواطئ الأنهار والسهول المنخفضة ذات النخيل الكثير التي كانت عرضة لفيضان مياه الأنهار بل احتشدت في معسكرين عظيمين هما الكوفة بالبصرة(2).

ويبدو أن بناء هذين المعسكرين فضلاً عن الفسطاط جاء نتيجة لعوامل عديدة يأتي في مقدمتها العامل الحربي العسكري إضافة إلى جملة من العوامل الثانوية الأخرى.

---

(1) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص17؛ الموسوي، مصطفى، العوامل التاريخية لنـشأة تطور المدن، ص63.

(2) ماسنيون، خطط الكوفة، ص41؛ كاهن، تاريخ العـرب، ص30؛ معـروف، عروبـة المـدن الإسلامية، ص28.

كان هدف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يدور حول محور وأحد هو أن يكون من العرب المسلمين أمة عسكرية هدفها الأول الجهاد، لذلك أمر الخليفة قواده أن لا تسكن الجيوش العربية الإسلامية المدن المحررة وإنما أراد أن تسكن معسكرات أو مقرات شبه دائمية تنطلق منها الجيوش العربية الإسلامية لمواصلة عمليات التحرير ولإمداد القوات المحاربة في جبهات القتال المختلفة بالمقاتلين خاصة وأن تلك العمليات الحربية التي كانت تحدث في مناطق العراق والشام ومصر أصبحت مناطق بعيدة نسبياً عن مركز الخلافة والتي عدت في حينها مركزاً لإمداد الجيوش المحاربة بالجند وبالمؤن؛ لذلك رغب الخليفة في أن تكون تلك المعسكرات "دار هجرة ومنزل جهاد"[(1)].

ويوضح الدكتور الدوري ذلك بالقول: وهكذا أنشئت البصرة والكوفة لتكون دور هجرة للعرب ومراكز لتجمع قواتهم في انطلاقهم إلى آفاق أبعد[(2)].

ويبدو أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أدرك أيضاً خطر اختلاط العرب بسكان البلاد المحررة على كيانهم وعلى وضعهم. فحأول أن يجمعهم في مراكز عسكرية ووضع نظاما يحفظ لهم توجههم الجديد، وهي أنهم أمة محررة مجاهدة لا تشتغل بمهنة غير الحرب والسياسة[(3)]. فقد كان عمر (رضي الله عنه) حريصاً على أن يبعد العرب عن الامتزاج بسكان البلاد المحررة حيث المدن التي ينتشر فيها الترف وتسود فيها الرفاهية ومن جانب آخر كان يعني التقاء المقاتلة العرب في هذه المعسكرات، وهم من قبائل عربية عديدة ذات لهجات مختلفة، محأولة لتصفية اللغة العربية وصقل لهجاتها وتقريب ما بينها من فروق وإيجاد لهجة موحدة، وكل هذا معناه صهر القبائل العربية في أمة وأحدة والحفاظ على سماتهم المتميزة[(4)].

---

(1) البلاذري، فتوح، ص270؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص579؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبـا (ت 709هـ)، الفخري، ص81.

(2) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص79.

(3) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص47؛ امير علي، مختصر تاريخ العرب، ص64.

(4) فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص249-250؛ الخربوطلي، على حسني، الدولة العربية، ص84-85.

وقد أوضح الخليفة عمر (رضي الله عنه) وجهة نظره لسعد بالقول أن "العسكر أجد لحربكم وإذكى لكم"(1)، كما رفض الخليفة عمر (رضي الله عنه) وجود أي حاجز بين مركز الخلافة في المدينة وبين القوات العربية الإسلامية في هذه القواعد العسكرية، فكتب إلى عتبة بن غزوان وهو في منطقة البصرة وإلى سعد بن أبي وقاص وهو بالمدائن وإلى عمرو بن العاص وهو في الإسكندرية "أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء"(2)، "وأنزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتي وأصير إليكم فعلت"(3).

واستناداً إلى ما تقدم فإن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أراد من تمصير تلك الأمصار ما يأتي:

أ- أن تكون مركزاً لتموين ساحات القتال بالجند والمؤن وحدد الخليفة عمر (رضي الله عنه) واجبات تلك الأمصار بالقول: "يكفون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار"(4).

ب- أراد الخليفة عمر (رضي الله عنه) من تلك الأمصار أن تكون في موقع استراتيجي فمثلاً أراد أن يكون موقع الكوفة وسطاً بين المدينة ودمشق لإرسال النجدة إلى بلاد الشام إذا اقتضى الأمر، وقد وصف هذا الموضع رجل من أهل الشام لوفد من أهل الكوفة حين قدموا على عمر بقوله: "يا أهل الكوفة انكم كنز أهل الإسلام إن أستمدكم أهل البصرة أمددتموهم وإن أستمدكم أهل الشام أمددتموهم(5).

والمعروف أن موقع الكوفة يقع في نهاية الطريق الذي يربط شبه الجزيرة العربية بالعراق، ويوضح حصين بن وائل ذلك حين روى أن عبادياً قال لأصحاب سعد: "أنا

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص43؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص959.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص91.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص145.

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص59.

(5) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص124.

أدلكم على أرض ... توسطت الريف وظعنت في أنف البرية، قالوا: هات، قال: أرض بين الحيرة والفرات فاختط الناس الكوفة ونزلوها"[1].

أما البصرة فيمتاز موقعها بسيطرته على مدخل العراق الجنوبي من الناحية العسكرية والتجارية[2]. وكان يطلق على تلك المنطقة "أرض الهند"[3] وذلك لأهمية الموقع من الناحية التجارية لوقوعه في نهاية الطريق البحري بين الهند والمشرق فقد ذكر الدينوري أن عتبة بن غزوان كتب لعمر بعد فتحه الأبلة .... "إن الله فتح علينا الأبلة وهي مرقى سفن البحر من[4] البحرين وعمان والهند والصين"[5].

ويمكن تلخيص أهمية موقع الأمصار بالقول أن العرب المحررين اختطوا مدنهم على أطراف الصحراء كالبصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر لكي تصبح هذه المدن أشبه بلواء من ألوية الجيش أو قاعدة من قواعد الجند يقومون منها بحملاتهم الحربية في اثناء عمليات التحرير. ولكي تصبح هذه الأمصار أيضاً المنافذ والثغور المؤدية إلى شبه الجزيرة العربية[6].

وهكذا فقد قام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بتمصير الأمصار وحسب التفاصيل أدناه...

2.6 تمصير البصرة واختيار الموقع:

لقد شعر عتبة بن غزوان بعد أن أفلح في تحرير مناطق واسعة من جنوب العراق وأجزاء مهمة من أقاليم الخليج العربي وما حققه العرب من انتصار في معارك القادسية

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص30.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص117؛ ابن خلدون، تاريخ، 959/2؛ جودة، العرب، ص156.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص100؛ ابن الفقيه، مختصر، ص188؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص593.

(4) الدينوري، الأخبار، ص117.

(5) البلاذري، فتوح، ص333.

(6) لويس، العرب، ص74؛ الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، ص27.

واستقرار عمليات التحرير في منطقة الكوفة بضرورة اتخاذ مكان ما ليكون مركزاً لأنطلاق الجيش ومقراً ثابتاً لهم؛ فكتب إلى الخليفة عمر (رضي الله عنه) "أنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا، ويكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم، فكتب إليه أن اجمع أصحابك في موضع واحد"(1).

ويذكر الدينوري أنه عندما أمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عتبة بن غزوان بالتوجه نحو البصرة فانه وصلها" ولم تكن هناك يومئذ إلا الخريبة، وكانت منازل خربة... وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العبث في تلك الناحية فنزلها عتبة بن غزوان بأصحابه(2). ومما يجدر ذكره أن الموضع الذي كان فعلاً مأهولاً بل كان قاعدة ومسلحة عسكرية للساسانيين هي الأبلة التي كانت تقع على نهر شط العرب (الذي كان يسمى آنئذ نهر دجلة العوراء) (3) فقد ذكر ياقوت الحموي قائلاً: "وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى"(4).

والحقيقة أنه كان من المتوقع أن يتخذ عتبة بن غزوان الأبلة قاعدة عسكرية وعاصمة إدارية ومنطلقاً للحملات العسكرية القادمة، فالمدينة قديمة وتتمتع بموقع متميز وأهمية اقتصادية وتجارية كبيرة. لكن عتبة كما يرى الدكتور عبدالجبار ناجي لم يتخذها انطلاقاً من المعايير الرئيسية لإستراتيجية العرب العسكرية، فالأبلة ميناء تجاري محاط بالبساتين والأنهار. لذلك ستكون هذه الطبيعة الجغرافية عائقاً أمام تحركات العرب السريعة فضلاً عن أنها تعرقل خطة الأنسحاب أمام ضغط العدو، وفضلاً عن ذلك فإن منطقة كهذه ستشكل عائقاً طبيعياً في مسألة وصول الإمدادات العسكرية. كما أن دراسة دقيقة لتعليمات الخليفة إلى قادة الجبهتين، البصرة والكوفة، تبين أنه كان يمانع في اتخاذ المدن القديمة مخيمات عسكرية للعرب لئلا ينشغل هؤلاء في حياة المدن فتفتر

(1) البلاذري، فتوح، ص337؛ ياقوت ، البلدان، ج1، ص431.

(2) الدينوري، الأخبار، ص117.

(3)ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية، ص131.

(4) ياقوت، البلدان، ج1، ص77.

عزائمهم[1].

ومهما يكن من أمر فإن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كتب إلى عتبة أن يختار موضعاً يمتاز بمواصفات خاصة أهمها أن يكون "قريباً من الماء والمرعى"[2]، فكتب إليه عتبة أنه وجد "أرضاً كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف ودونها منافع ماء، فيها قصباء"[3]. فلما قرأ عمر (رضي الله عنه) الكتاب قال: "هيه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي وكتب إليه أن ينزلها بالناس"[4]. وقد حدد ابن الفقيه الموضع الذي اختاره عتبة بالقول: "والبصرة بينها وبين دجلة أربعة فراسخ فيها خليج يجري فيه الماء إلى أجمة قصب"[5]. وتوصف البصرة بأنها "قصبة سرية"[6]، ويحيط بغربيها البادية مقوساً ... وفي حدود البصرة أجام كثيرة وبطائح[7].

وبذلك يظهر لنا أن اختيار هذا الموضع بصفاته التي ذكرناها جاء ليلائم حاجات المقاتلة من حيث الجو والتموين والرعي والمواصلات، وهكذا روعي فيها توفر مراع قريبة للماشية والابل، وهذا يتلاءم مع منطق عمر (رضي الله عنه) بأن "العرب – والراجح أنه قصد البدو- لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح البعير والشاة"[8]، كما راعى فيها وقوعها على طرق المواصلات إلى الجزيرة، فهي فضلاً عن وقوعها عند مدخل الخليج، فهي تقع على الطرق العامة المرتفعة التي تشرف بوجه خاص على من يفد إلى العراق من البر[9]. فضلاً عن أن هذا الموضع وموضع الكوفة كما سنرى كان

(1) ياقوت ، البلدان، ج1، ص134.
(2) البلاذري، فتوح، ص337.
(3) المصدر نفسه، ص337.
(4) المصدر نفسه، ص337.
(5) ابن الفقيه، مختصر، ص187.
(6) المقدسي، احسن، ص117.
(7) الاصطخري، المسالك، ص57؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص212.
(8) الطبري، تاريخ، ج4، ص42.
(9) هارتمان، مادة بصرة، دائرة المعارف الإسلامية، 669/3.

قريباً من البوادي التي تسكنها وتتجول فيها قبائل عربية من أمثال بكر بن وائل وبني تميم، والتي كانت تغذي وباستمرار جموع المقاتلة بالبصرة للقيام بعمليات التحرير في تلك المرحلة[1] وموقعها هذا يعني أيضاً أنها تتمتع بجو قريب من جو البادية.

1- سنة التمصير وعدد القوات:

اختلاف المؤرخون حول السنة التي اختطت فيها مدينة البصرة، فقيل أنها مصرت سنة اربع عشرة، فقد ذكرخليفة بن خياط، قائلاً: "وفيها (أي سنة 14هـ/635م) أمر عتبة بن غزوان محجن بن الأدرع فخط مسجد البصرة الأعظم وبناه بالقصب"[2]. ويتفق كل من الجاحظ[3]، وابن قتيبة[4]، والبلاذري[5]، وابو هلال العسكري[6]، مع خليفة ابن خياط على أن البصرة مصرت سنةاربع عشرة.

وهناك من يرى أن البصرة مصرت سنة 16هـ/637م بعد معركة جلولاء، فقد ذكر سيف بن عمر "أن البصرة مصرت في ربيع سنة ستة عشرة، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت والحصنين، وجهه إليها سعد بأمر عمر[7] ويذهب الواقدي إلى القول أن البصرة "أنشئت ... سنة 17هـ/638م من التاريخ قبل الكوفة بستة أشهر"[8].

ويبدو أن التاريخ الأقرب إلى الصحة في تمصير البصرة هو سنة أربع عشرة، وهذا يتضح من خلال تسلم كل من المغيرة بن شعبة ومن بعده أبو موسى ولاية البصرة

---

(1) البلاذري، فتوح، ص332؛ ابن الفقيه، مختصر، ص188؛ الدوري، التكوين التاريخي، ص48.

(2) ابن الخياط، تاريخ، ص116.

(3) الجاحظ، البلدان، ص498.

(4) ابن قتيبة، المعارف، ص563.

(5) البلاذري، فتوح، ص337.

(6) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص224.

(7) الطبري، تاريخ، ج3، ص590.

(8) ابن الفقيه، مختصر، ص188؛ اليعقوبي، البلدان، ص323؛ ابن حزم، علي بن أحمـد بـن سعيد (ت 456هـ)، جوامع السيرة، ص345.

بعد عتبة، فقد ذكر البلاذري أن "المغيرة بن شعبة غزا سوق الأحواز في ولايته حين شخص عتبة بن غزوان من البصرة في آخر سنة خمس عشرة وأول سنة ستة عشرة، فقاتله ... دهقانها ثم صالحه على مال ثم نكث فغزاها أبو موسى الأشعري حين ولاء عمر بن الخطاب البصرة بعد المغيرة ... في سنة سبع عشرة"[1].

وقد رجح العلي الروايات التي تذكر أن البصرة مصرت سنة أربع عشرة، لأن الأغلبية المطلقة من الرواة الموثوقين برأيه يؤكدون أنه أرسل (أي عتبة ابن غزوان) سنة سبع عشرة[2].

وكما اختلف في سنة تمصير البصرة فقد اختلف في عدد ألافراد المصاحبة لعتبة فالبلاذري يذكر عن ابن اسحق أن عدداً من أصحاب عتبة إلى البصرة ثمانمائة رجل على حين يذكر كل من ابن قتيبة والطبري أن عددهم كان ثلاثمائة شخص[3] وأنهم أصابوا "بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم فأخذ كل رجل درهمين"[4] وأصبحوا يعرفون بأهل الدرهمين وكان عطاؤهم ألفي درهم في السنة[5].

ويبدو أنه ليس هناك كبير تناقض بين الروايات السابقة، لأن ما قصده كل من ابن قتيبة والطبري من أن العدد كان ثلاثمائة قصد به بداية خروج عتبة. ولكن يتضح أن هذا العدد ازداد خلال مرور عتبة بعدد من القبائل في أثناء الطريق، ولعل ما ذكره أبو هلال عن المدائني ما يشعر بذلك، فقد ذكر أن عمر بعث "عتبة بن غزوان ... في ثلاثمائة وانضم إليه في الطريق نحو مائتي رجل"[6]. ومما يعزز هذا الاتجاه ما ذكره سيف بن عمر قائلاً: "وضوى إليه (بقصد عتبة) قوم من الأعراب وأهل" البوادي، فقدم

(1) البلاذري، فتوح، ص336-337؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص597.

(2) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص36-37.

(3) ابن قتيبة، المعارف، ص557؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص594.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص594.

(5) المصدر نفسه، ص594.

(6) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص224.

البصرة في خمسمائة"[1]. ومما يدل على ذلك أيضاً ما ذكره نافع بن الحارث قائلاً: "أنا التأمنا فبلغنا ستمائة رجل وست نسوة أحداهن أختي"[2]. فإذا أضفنا عدد المقاتلين الذين كانوا مع قطبة بن قتادة السدوسي (الذين كانوا يقاتلون العجم في ناحية الخريبة قبل مجئ عتبة والذين انضموا إليه فيما بعد) [3] من قبائل بكر بن وائل وبني تميم والذين لم يشر المؤرخون إلى عددهم، وما ذكره ابن الفقيه من أن أعاريب بني تميم سارعت للأنضمام إلى عتبة بعد سماعهم ما غنمه العرب من الأبلة،[4] يصبح عدد الثمانمائة الذي ذكره كل من ابن اسحق وابن الفقيه مقبولاً[5].

2- تخطيط البصرة ومراحل البناء:

يتفق معظم المؤرخين على أن التخطيط الأولي لمدينة البصرة كان في ولاية عتبة بن غزوان، وأن تخطيط البصرة على الأساس القبلي كان في ولاية أبي موسى الأشعري

التي بدأت عام (17هـ/638م) ويبدو أن بداية نزول العرب البصرة كانت بداية متواضعة، فقد استقروا "بالخيام والقباب والفساطيط ولم يكن لهم بناء"[6]. ويؤكد ذلك الدينوري بالقول "فسار عتبة حتى أتى مكان البصرة ... فنزلها .. بأصحابه في الأخبية والقباب"[7].

ويتضح لنا من ذلك أن العرب المسلمين في غاراتهم الأولى كانوا يعتمدون على معسكرات متنقلة تمتاز ببساطتها وسهولة حملها وسرعة إقامتها، كما أن السكنى في

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص591.

(2) ياقوت ، البلدان، ج1، ص431.

(3) الطبري، تاريخ، ج1، ص593؛ ياقوت ، البلدان، ج1، ص431.

(4) ابن الفقيه، مختصر، ص188.

(5) البلاذري، فتوح، ص333.

(6) البلاذري، فتوح، ص332.

(7) الدينوري، الأخبار، ص117؛ الحموي، معجم، ج1، ص432.

الخيام في مثل هذه الظروف كانت تتفق مع طبيعة العربي، وبخاصة أولئك الذين ينتسبون إلى البوادي، وتمتاز حياتهم بالتنقل والترحال من مكان إلى آخر، ومعروف أن جزء من قوات عتبة كانوا من القبائل التي تسكن بوادي البصرة والكوفة وبخاصة قبائل بكر بن وائل وبني تميم وعلى الأخص أعاريب بن تميم الذين انضموا إلى قوات عتبة بعد تحرير الأبلة[1].

ويبدو أن استقرار عمليات التحرير في منطقة البصرة دفع العرب المسلمين إلى الاستعانة ببناء بيوتهم بمادة القصب، فقد ذكر سيف بن عمر أنه "لما نزل أهل الكوفة الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا. ثم أن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أجد لحربكم وإذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم ... فشأنكم، فأبتنى أهل المصرين بالقصب"[2]. ويضيف أبو عبيدة " فبنوا مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجداً من قصب ... وبنى دار الإمارة دون المسجد في الرحبة رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء"[3].

ويتضح مما سبق ما يأتي:

أ- أن التحول من سكنى الخيام إلى البناء بالقصب لم يحصل إلا بعد موافقة الخليفة عمر (رضي الله عنه) الذي لم يكن يرغب بهذا التحول لأسباب مر ذكرها.

ب- أن مادة البناء الأساسية في تلك المرحلة كانت القصب، أما لماذا القصب فلان تلك المنطقة كانت تزخر به فهي "أرضاً كثيرة القصبة"[4] فهو رخيص لتوفره بشكل طبيعي من ناحية، وسهل البناء من ناحية أخرى. لذلك بنيت الدور والمرافق العامة كالمسجد ودار الإمارة والسجن والديوان به، وكان القصب

---

(1) ابن الفقيه، مختصر، ص188.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص43.

(3) البلاذري، فتوح، ص337.

(4) البلاذري، فتوح، ص337.

يجمع ويخزن عندما يتقدم الجيش إلى القتال، ويعاد ترتيبه عندما يعود الجيش من القتال. "وهي إشارة واضحة إلى أن الموضع لم يكن بعد مدينة تتميز بصفة الثبوت فضلاً عن اضطراب خططها وعدم انتظام هيئتها العمرانية بما له علاقة بشوارعها ومنازل أهاليها ومحلاتهم. فالسمات البارزة في هذه المرحلة ما زالت تخدم الاحتياجات العسكرية[1].

ويبدو أن أكثرية البناء ظل بالقصب حتى مجئ أبي موسى الأشعري إلى البصرة. فعندما وجه الخليفة عمر (رضي الله عنه) أبا موسى إلى البصرة طلب منه أن "يصرف الخطط لمن هناك من العرب ويجعل كل قبيلة في محلة وان يأمر الناس بالبناء وأن يبني لهم مسجداً جامعاً"[2]. ويؤكد ابن الفقيه ذلك بالقول "فلما ولي أبو موسى نزع القصب وبنى المسجد بلبن وكذلك دار الإمارة"[3]. ومع أن الذي يتضح من هذين النصين أن عملية البناء باللبن قد تمت بعد تسلم أبو موسى ولاية البصرة عام 17هـ/638م[4]. إلا أن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن البناء باللبن قد حدث بشكل تدريجي، ومنذ زمن عتبة إلا أن الإكثار من استعمال اللبن كان في عهد أبي موسى، وهذا ما يوضحه الجاحظ حين يقول أنه "ولما بنى عتبة ابن غزوان وأصحابه بالبصرة بناء اللبن كتب إليهم قد كنت أكره لكم ذلك فإذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين الخشب"[5]. ويظهر أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) على الرغم من ميله نحو عدم تحويل تلك المعسكرات إلى مدن فإنه لم يغفل جانب التطور الزمني وبخاصة بعد استقرار الوضع الأمني في العراق وهكذا فقد قام أبو موسى الأشعري خلال ولايته بتنظيم المدينة وإعادة بناء المسجد وبقية المرافق من مادة الطين بدلاً من القصب بعد الحريق الذي شب في المدينة والتهم المسجد. فقد ذكر أبو عبيدة قائلاً :

(1) ناجي، دراسات، ص135.
(2) الدينوري، الأخبار، ص118.
(3) ابن الفقيه، مختصر، ص188.
(4) البلاذري، فتوح، ص366.
(5) الجاحظ، البيان، 354/2.

"وبنى أبو موسى الأشعري المسجد ودار الإمارة بلبن وطين وسقفها بالعشب وزاد في المسجد"[1]. والزيادة في المسجد تدل على أن التخطيط الأولى للمسجد زمن عتبة هو تحديد للموقع فقط فهو مجرد مساحة من الأرض محدد بالقصب "وأن التحديدكان لموقعه وليس لرقعته أو شكله الذي قد يتعرض للتحول عند كل عودة، وهذا كما ذكرنا سابقاً ينسجم مع وضع المسلمين آنذاك وعدم استقرار أحوالهم[2]. وعلى ذلك فإن التحول للبناء باللبن لا يمكن أن يعزى كلياً كما تشير بعض الروايات إلى الحريق الذي شب في المدينة والتهم المسجد ودار الإمارة[3] بقدر ما هو تطور طبيعي صاحب عملية الاستقرار في المدينة.

3- خطط القبائل:

لقد اهتم الخليفة عمر (رضي الله عنه) باسكان القبائل وتخطيط نزولها، وقد جاء ذلك بعد التطورات العسكرية السريعة التي شهدتها منطقة البصرة وعكست بدورها نتائج مهمة على وضعية موضع البصرة إذا أفلحت الجيوش العربية في السيطرة على كور دجلة، وتم تحرير الأحواز والسوس ومناذر وتستر ابان ولاية أبي موسى الأشعري 17هـ-25هـ/638-645م فساعدت هذه الأنتصارات على اجتذاب أعداد كبيرة من المقاتلين[4] حيث يذكر ابن الأعثم أن عدد المشاركين في تحرير هذه المناطق زمن عمر "يزيدون على عشرة آلاف من بين فارس وراجل"[5]. فازداد حجم السكان واختلطت القبائل في المدينة بعضها ببعض لعدم وجود خطط مستقلة مما دفع بالخليفة عمر (رضي الله عنه) إلى أن ينصح الوالي الأشعري "أن يجعل كل قبيلة في محلة وأن يأمر الناس بالبناء"[6]، وتم انجاز مهم خلال هذه الفترة ألا وهو تحديد قياسات الشوارع

---

(1) البلاذري، فتوح، ص338.

(2) العلي، خطط البصرة، ص65.

(3) الطبري، فتوح، ج4، ص44.

(4) البلاذري، فتوح، ص366-370؛ ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص4-9.

(5) ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص4.

(6) الدينوري، الأخبار، ص118.

الشارع الرئيسي والشوارع الفرعية، فقد ذكر الماوردي قائلاً: أن البصرة مصرت "على عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وجعلوها خططاً لقبائل أهلها فجعلوا عرض شارعها الأعظم وهو مربدها ستين ذراعاً، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعاً، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة اذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة فمرابط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا في المنازل ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأي اتفقوا عليه ونص لا يجوز خلافه[1]"

ويتضح لنا من ذلك أن هذا التخطيط يتناسب وطبيعة الظروف الذاتية والموضوعية للمجتمع العربي، إذ لا بد أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أخذ بنظر الاعتبار عند تحديده لعرض الشوارع كيفية تجمع القبائل بجيادها وإبلها وأسلحتها وراياتها للأنطلاق نحو القتال، أما الرحبة فلا بد أنها جعلت أيضاً أساساً لتجمع أفراد القبيلة ومقاتليها ومكاناً لعقد اجتماعاتهم.

4- أخماس البصرة وخططها:

سكنت البصرة في بداية تمصيرها أربع مجموعات قبلية كبيرة هي تميم وبكر ابن وائل وعبد قيس والأزد فضلاً عن مجموعة خامسة هي أهل العالية، وهم خليط من قبائل حجازية[2]. وقد أطلق على هذه المجموعات القبلية إسم أخماس البصرة، وأصبح لكل مجموعة خطة خاصة بها، ومن المرجح أن تقسيم أبي موسى البصرة إلى نظام الأخماس بإيعاز من الخليفة الثاني قد جاء لاعتبارات تتعلق بتوزيع الأرزاق وجمع المقاتلين العرب، وهذه الأخماس هي:

أ- قبائل أهل العالية:

(1) الماوردي، الأحكام، ص173.

(2) الدوري، التكوين التاريخي، ص58.

لقد كان هناك عدد من المهاجرين والأنصار من ضمن المقاتلة الذين صحبوا عتبة بن غزوان إلى منطقة البصرة، وكان هؤلاء ينتمون الى قبائل متعددة من قريش وكنانة وبجيلة وخثعم ومزينة، وقد أطلق عليهم أهل العالية[1].

ويظهر أن خطط أهل العالية استقرت في أطراف المسجد الجامع، وامتدت خططهم إلى الجنوب الشرقي منه بل أن بعضهم كانت خطتهم متصلة بالمسجد الجامع مباشرة مثل خطة بني سليم. وقد أصبح لبعض قبائل أهل العالية خطط لها إسماء معينة مثل مكة قريش وخطة هذيل[2].

ب- خمسي تميم وبكر بن وائل:

كان جل المقاتلين الذين نزلوا ابتداء مع عتبة بن غزوان فضلاً عن المهاجرين والأنصار من تميم وبكر بن وائل، وكان هؤلاء من سكنة بوادي الكوفة والبصرة[3]. وأنهم كانوا من جماعة سويد بن قطبة الذين كانوا يغيرون على أطراف الامبراطورية الفارسية من جهة البصرة، فقد ذكر البلاذري أن عتبة لما أتى البصرة "انضم إليه سويد بن قطبة ومن معه من بكر بن وائل وتميم"[4]. ويبدو أن إعداد تميم وبكر بن وائل ازدادت –وإن كانت زيادة الأولى أكثر من الثانية- نتيجة لاستمرار عمليات التحرير وزيادة ما كان يغنمه المسلمون، وهذا ما يوضحه الدينوري بالقول: وكتب عتبة إلى عمر "بالفتح فتباشر الناس بذلك وأكبوا على الرسول، يسألونه عن أمر البصرة فقال: إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هيلا فرغب الناس بالخروج"[5]. فأقبلت أعاريب بني تميم[6] وعلى الرغم من المبالغة في مسألة الغنائم ذلك فان ما غنمه المسلمون لم

---

(1) انظر الخربوطلي، تاريخ العراق، ص290؛ العلي، خطط البصرة، ص82.

(2) لمزيد من التفاصيل حول خطط أهل العالية انظر: العلي، خطط البصرة، ص81-87.

(3) البلاذري، فتوح، ص332؛ ابن الفقيه، مختصر، ص187-188.

(4) البلاذري، فتوح، ص332.

(5) الدينوري، أخبار، ص117.

(6) ابن الفقيه، مختصر، ص188.

يتعد الستمائة درهم[1]. إلا أن مثل هذه الأخبار دفعت بالناس إلى الهجرة إلى الأمصار وذلك لأن البصرة كانت قريبة من بوادي تميم وبكر بن وائل، فقد التحقت أعداد كبيرة نسبياً منها أبناء هذه القبائل إلى هذا المصر قياساً إلى بقية القبائل الأخرى. وقد أصبح لكل من تميم وبكر بن وائل خطط خاصة بعشائرهم وكون كل منهم أحد أخماس البصرة، واستقرت خطط تميم في الأقسام الغريبة من المسجد على حين خطت بكر لنفسها في شمال وشرق المسجد الجامع[2].

ج- قبائل عبد قيس :

ومن القبائل التي استقرت في البصرة قبائل عبد قيس، فقد كانت أحد أخماس البصرة وصارت لها خطط خاصة بها، فقد قال ابن دريد "بنو عامر في عبد القيس وهم الذين يسمون بالبصرة بني عامر النخل ...ولهم خطة بالبصرة"[3]. ويبدو أن نزول عبد قيس البصرة جاء في نهاية فترة خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وذلك بعد تمصير توج، فمن المعروف أن عبد القيس شاركت في تحرير فارس، فقد ذكر أبو مخنف " أن عثمان بن أبي العاص ... قطع البحر إلى فارس فنزل توج ففتحها وبنى بنها المساجد وجعلها دارا للمسلمين واسكنها عبد القيس وغيرهم ... سنة تسع عشرة"[4]. ولكن يبدو ان فارس انتقضت في نهاية عهد عمر بن الخطاب، وحوصر المسلمون في توج، فطلب عمر من مقاتلة البصرة مساعدتهم وانضمام من بتوج إلى البصرة سنة 22هـ/642م[5]، ولأن نزول عبد القيس جاء في فترة متأخرة نسبياً من تمصير البصرة، وفي نهاية خلافة عمر (رضي الله عنه) فأن خططهم كانت واقعة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص594.

(2) العلي، خطط البصرة، ص93؛ ما سنيون، خطط، ص141.

(3) ابن دريد، الاشتقاق، ص14؛ العلي، خطط البصرة، ص141.

(4) البلاذري، فتوح، ص375.

(5) المصدر نفسه، ص376؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص79-82؛ المقدسي، البدء، ج5، ص183.

قرب نهر المعقل الذي كلم الأحنف بن قيس فيه عمر بن الخطاب فأوعز لأبي موسى بحفره لهم[1].

د- قبائل الأزد:

يبدو أن آخر من نزل البصرة بعد تمصيرها قبائل الأزد وهي أحد أخماس البصرة، وقد ذكر أبو عبيدة "أن مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة وكانت جماعة الأزد آخر من نزل كانوا حيث مصرت البصرة فحول عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوخ من المسلمين إلى البصرة"[2] ويبدو أن إرسال عمر لبعض المسلمين من قبائل معينة لا تشير المصادر إلى ذكر إسمائهم للسكن في البصرة كان الغرض منه حفظ التوازن بين القبائل[3]. ويتضح أن خطط الأزد استقرت في الأطراف الجنوبية الغربية من البصرة بعيدة عن المسجد الجامع، وأن الذي كان يفصلها عن المسجد الجامع هي خطط أهل العالية ويعود السبب في ذلك لنزولهم في فترة متأخرة من تمصير البصرة كما حدث لعبد القيس[4].

3.6 تمصير الكوفة:

تشير بعض الروايات التاريخية إلى أن العرب المسلمين كان في نيتهم الاستقرار في المدائن بعد تحريرها، فقد ذكر البلاذري ان المسلمين اقاموا "بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها"[5] كما أورد ابن قتيبة أنه "لما نزل المسلمون المدائن طال مكثهم فيها"[6]. وقد اشار سيف بن عمر إلى أنه "لما نزل سعد المدائن وقسم المنازل بعث إلى

---

(1) البلاذري، فتوح، ص746-347؛ العلي، خطط البصرة، ص96.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص546.

(3) الخربوطلي، تاريخ العراق، ص290.

(4) العلي، خطط البصرة، ص97.

(5) البلاذري، فتوح، ص272؛ ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمـر (ت 749هـ)، تاريخ، ج1، ص194.

(6) ابن قتيبة، المعارف، ص564.

العائلات فأنزلهم الدور وفيها المرافق فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وتكريت والموصل"[1]. ويتضح مما تقدم أن فكرة الإقامة في المدائن كانت فكرة قائمة في ذهن سعد بن أبي وقاص ومن معه من المقاتلين قبل أخذ رأي الخليفة في ذلك، وتشير الروايات إلى أن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) رفض فكرة الإقامة بالمدائن، لأن المناخ لم يكن ملائماً لسكنى العرب وجلهم من البدوالذين اعتادوا التنقل في الصحراء، فقد ذكر الواقدي أن عمر (رضي الله عنه) "رأى المسلمين قد كبرت بطونهم وأصفرت وجوههم فسألهم عن ذلك قالوا وخومة البلاد"[2]. وفي روايات أخرى أن "المسلمين استوخموها (أي المدائن) واستوبؤوها"[3]. وإذاهم الغبار والذباب[4] وإصابتهم بها الحمى فلم توافقهم[5]. ويقال أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) سأل "أتصبر بالمدائن الإبل"[6] "قالوا لا.: لأن بها البعوض فقال عمر (رضي الله عنه) أن العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل"[7]، فطلب من سعد "أن ينزلهم منزلاً غريباً"[8]، ومع أن الأنتقال من البيئة الصحراوية إلى البيئة السهلية والجبلية في مناطق الفتح تمخض عن بعض النتائج السلبية على صحة الجند فتغيرت تبعاً لذلك ألوانهم وذبلت أجسامهم. فإننا لا يمكن أن نعزو إلى هذا العامل وحده مسألة الأنتقال من المدائن، بل ولا نستطيع أن نعده العامل الأساسي في ذلك، بدليل أن العرب المسلمين استطاعوا السكن في مناطق مشابهة لهذه الأجواء في بلاد الشام وتأقلموا عليها[9]. لذلك فإن السبب الأكثر احتمالاً والأكثر أهمية

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص21؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص194-195.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص41.

(3) البلاذري، فتوح، ص272.

(4) ابن قتيبة، المعارف، ص564.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص579.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص129.

(7) أبو يوسف، الخراج، ص30.

(8) البلاذري، فتوح، ص273.

(9) الموسوي، العوامل التاريخية، ص87.

في عملية الأنتقال من المدائن هو العامل العسكري فضلاً عن رغبة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعدم اختلاط العرب بسكان البلاد المحررة (وقد تمت مناقشة ذلك فيما سبق) ثم يأتي العامل الجغرافي والبيئي في المرتبة الثانية، وقد كانت معظم توجيهات عمر (رضي الله عنه) إلى قادته تؤكدهذا المعنى وهي إيجاد قواعد عسكرية تكون نواة لمدن المستقبل وهذا ما أوضحه لسعد بعد انتصاره في معركة القادسية، فقد ذكر الدينوري قائلاً: "وأقام سعد في عسكره بالقادسية إلى أن أتاه كتاب عمر يأمره أن يصنع لمن معه دار هجرة"[1]، "وقيروانا وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً"[2].

1- اختيار الموقع:

نتيجة لما سبق فقد بدأ البحث عن موقع مناسب لبناء معسكر للمسلمين يكون كما اراد الخليفة عمر (رضي الله عنه) "منزلاً برياً بحرياً ليست بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر"[3] وفي رواية أخرى أن الخليفة الثاني قال لسعد: "فانظر فلاة في جنب البحر فأرتد للمسلمين بها منزلاً[4] " وكتب إليه في بعثه رواداً يرتادون" هذا المكان[5].

والظاهر أن سعداً نزل في مناطق مختلفة قبل استقراره نهائياً في الكوفة، فقد ذكر الدينوري أن سعداً "سار إلى الأنبار ليجعلها دار هجرة، فكرهها لكثرة الذباب بها، ثم ارتحل إلى كويفة ابن عمر، فلم يعجبه موضعها"[6] ويبدو أن العرب المسلمين لم يستقروا في هذه المناطق لأنها لا تتفق وتوجهات الخليفة عمر (رضي الله عنه) العسكرية من جهة ولعدم ملاءمة المناخ لهم من جهة ثانية وتشير الروايات التاريخية

---

(1) الدينوري، الأخبار، ص124؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص619؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص81.

(2) البلاذري، فتوح، ص270.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص41؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص11.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص579؛ المقدسي، البدء، ج5، ص175.

(5) ابن قتيبة، المعارف، ص564.

(6) الدينوري، الأخبار، ص124؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص579؛ المقدسي، البدء، ج5، ص175؛ البكري، معجم ما استعجم/ ج4، ص1141-1142.

أيضاً إلى أن سعداً أراد النزول بالحيرة، فقد ذكر أبو محصن قائلاً: "فخرجنا ونحن نريد الحيرة فلقينا رجل من أهل الحيرة وهو يريد أن يصرفنا عنها"[1].

وعلى هذا يمكن القول أن اختيار الكوفة كان اختياراً مدروساً وأن المسلمين لم يستقروا بها إلا بعد أن ارتادوا الأماكن المختلفة وأجروا التحريات الطبوغرافية والتعبوية لمعرفة صلاحيتها للأغراض العسكرية، وفي إيجاز يمكن القول أيضاً أن موضع الكوفة كان منطقة منيعة مأمونة بعيدة عن أخطار الفيضانات ومجرى الرياح ومأوى البعوض فحدها الصحراء من الغرب والفرات من الشرق، حيث يمكن قطع الطريق على المهاجمين القادمين من الشهر وتقدمهم فضلاً عن وفرة المياه ووجود أرض خصبة صالحة للزراعة والسكن[2].

2- سنة تمصير الكوفة:

تتفق معظم الروايات التاريخية على أن تمصير الكوفة حدث سنة 17هـ/638م فقد ذكر الجاحظ أن البصرة "بصرت ... سنة أربع عشرة وكوفت الكوفة سنة سبع عشرة"[3] وهذا ما ذهب إليه كل من البلاذري[4]، واليعقوبي[5]، وابن قتيبة[6]، والمقريزي[7]، بل ذهبت بعض الروايات التاريخية إلى حد تحديد الشهر الذي تم في نزول المسلمين إلى الكوفة، فقد ذكر سيف بن عمر قائلاً: "فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة"[8].

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص129.

(2) معروف، عروبة، المدن الإسلامية، ص27؛ الجنابي، تخطيط، ص116.

(3) الجاحظ، البلدان، ص498.

(4) البلاذري، فتوح، ص270.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص138.

(6) ابن قتيبة، المعارف، ص565.

(7) المقريزي، النقود الإسلامية، ص126.

(8) الطبري، تاريخ، ج4، ص42؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص162؛ ابن خلدون تـاريخ، ج2، ص960.

3- كيفية التخطيط :

تذهب الروايات التاريخية إلى أن أول عمل قام به سعد بن أبي وقاص بعد نزوله موقع الكوفة هو تحديد موقع المسجد، فقد ذكر سيف بن عمر "أن أول شيء خُطّ بالكوفة وبني حين عزموا على بناء المسجد"(1). وذكر البلاذري عن مشائخ الكوفيين قائلاً: "فلما انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلاً فعلا بسهم قبل مهب القبلة فأعلم على موقعه ثم علا بسهم آخر قبل مهب الشمال وأعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب وأعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فأعلم على موقعه، ثم وضع مسجدها ودار إمارتها في مقام العالي"(2).

ويظهر أن تخطيط المسجد ومدى اتساعه قد جاء ضمن توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" فقد كتب إلى سعد أن "اختط موضع المسجد الجامع على عدد مقاتليكم فخط على أربعين ألف إنسان"(3). ويوضح المقدسي ذلك حين يقول "مسجد الكوفة بناه سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن الخطاب"(4). وإذا كان تخطيط المسجد ومدى اتساعه قد جاء ضمن توجيهات الخليفة عمر (رضي الله عنه) فإنه مما لا نجد له تفسيراً أن يكون الجامع بهذا الاتساع وضمن الإمكانات المتوفرة في ذلك الوقت، خاصة وأن بيت الصلاة (المسجد) الذي يجب أن يستوعب هذا العدد من الناس وكما تذكر الروايات كان مسقفاً جميعه.

ويبدو أن عملية تخطيط الكوفة قد أنيطت بأشخاص من ذوي الخبرة والمعرفة، ولعل هذا ما أشعر به سيف بن عمر حين قال: "فاجتمع أهل الرأي للتقدير حتى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج عليه"(5). ويظهر أن أبا الهياج هذا هو الذي يترأس

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص44؛ المقدسي، البدء، ج4، ص89.

(2) البلاذري، فتوح، ص271.

(3) الحموي، معجم، ج4، ص491.

(4) المقدسي، البدء، ج4، ص89.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص44.

هذه المجموعة من أهل الرأي والمشورة، ويبدو أن تكليف هذا الشخص جاء من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقد ذكر سيف بن عمر قائلاً: أن عمر نسب أن يكون على "تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك"[1]. ثم يوضح ذلك بالقول "فلما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق"[2].

وعلى غرار ما حدث بالبصرة فقد بني دار الإمارة وبيت المال قريباً من المسجد، لقد أنشئت دار الإمارة بحيال المسجد بينهما طريق طوله مائتي ذراع[3]. "وجعل فيها بيوت المال"[4]، وقد أطلق على هذه الأماكن قصر سعد أو قصر الكوفة[5]، ويجب أن نوضح أن المسجد ودار الامارة وبيت المال قد امتازت بالبساطة في بنائها، فعلى سبيل المثال فإن المسجد الجامع لم يحط بأي جدار، إنما حفر له خندق خوفاً من التجاوز عليه في البنيان، فقد ذكر سيف ابن عمر قائلاً : "واعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان"[6]، ويظهر أن الجزء المعقف هو بيت الصلاة الذي غطي بظله بدون مجنبات ولا مواخير ، كان طول بيت الصلاة مائتي ذراع[7].

وبعد إنشاء المسجد ودار الامارة وبيت المال جرى تخطيط لشوارع المدينة، ويبدو أن هذا التخطيط قد جاء أيضاً ضمن توجيهات الخليفة عمر (رضي الله عنه) وتصوراته، فقد أرسل كتاباً إلى أبي الهياج يطلب منه أن تكون "المناهج (الشوارع) أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبعة اذرع ليس

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص44-45.
(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص44-45.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص44-45.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص44-45.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص44-45.
(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص44-45.
(7) المصدر نفسه، ص44-45.

دون ذلك، وفي القطائع ستين ذراعاً"[1]. ويلاحظ سعة عرض الشوارع الرئيسية، وهذا وافق وكما ذكرنا عند حديثنا عن البصرة مع التنظيم العسكري للعرب وخروجهم للقتال جمعهم حسب قبائلهم وتحت راياتهم. ولما كان المسجد الجامع يكون هو ودار الامارة وبيت المال المحور المركزي للمدينة فقد تفرعت منه (أي من المسجد) جميع الشوارع وعددها خمسة عشر شارعاً، وهذا ما أشعر به سيف بن عمر حين قال : "نهج في الودعة خمسة مناهج وفي قبلته أربعة مناهج وفي شرقيه ثلاثة مناهج وفي غربيه ثلاثة مناهج"[2]، وأطلق عليها سيف بن عمر "مناهجها العظمى"[3]. ويبدو أن هنالك شوارع فرعية أصغر من الأولى من حيث الذرع، ولكن تتصل وتتلاقى مع الشوارع الرئيسية، وقد خصصت على ما يبدو لأهل الثغور والموصل حين يعودون إلى الكوفة، ولعل هذا ما قصد به سيف بن عمر حين قال : "وبنو مناهج دونها تحاذى هذه ثم تلاقيها، وآخرى تتبعها، وهي دونها في الذرع، والمحال من ورائها، وفيما بينها، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن (صحن المسجد) ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس، وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافوا إليها"[4].

4- القبائل تنظيمها وخططها :

إن انزال القبائل وتوزيعها كان على الترتيب الآتي :

في جنوب المسجد أي في قبلة الصحن نزلت كل من قبائل بني أسد والنخع وكندة وفي شمال المسجد نزلت كل من قبائل بني سليم وثقيف وهمذان وبجيلة وتميم اللات وتغلب، وفي شرق المسجد نزل كل من الأنصار ومزينة وتميم ومحارب وعامر، وغرب المسجد خصص لقبائل بجالة وبجلة ولجديلة وأخلاط وجهينة وأخلاط، وقد توزعت هذه

---

(1) المصدر نفسه، ص44-45.

(2) الطبري، تاريخ، ص44-45.

(3) المصدر نفسه، ص44-45.

(4) المصدر نفسه، ص44-45.

القبائل في الشوارع والطرق التي تفرعت من المسجد والتي مر ذكرها[1].

ويبدو أن نزول هذه القبائل في البداية كان على أساس الأعشار وهو التنظيم الذي كان عمر (رضي الله عنه) قد طلب من سعد أن يتبعه في منطقة شراف قبل دخوله معركة القادسية، ويوضح سيف بن عمر ذلك بالقول : "فلما نزل سعد بشراف ... كتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية"[2].

ولكن يبدو أن استمرار الهجرة إلى مناطق الأمصار ومنها الكوفة قد جعل بعض المجموعات القبلية تزيد على الأخرى مما أثر من بعد على تنظيم الأعشار، وأدى إلى إعادة توزيع القبائل ضمن نظام عسكري جديد، ويوضح سيف ذلك قائلاً : "ورجع الأعشار بعضهم بعضاً رجحاناً كثيراً، فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم"[3].

ويظهر أن عمر (رضي الله عنه) وافق على التعديل وطلب من سعد الاستعانة بقوم ممن له دراية ومعرفة بأنساب العرب وغيرهم من أصحاب الرأي عند القبائل، لكي يأخذوا على عاتقهم ترتيب هذه القبائل على الأسباع، فكتب الخليفة عمر (رضي الله عنه) إلى سعد "أن عدلهم فارسل إلى قوم من نساب العرب وذوى رأيهم وعقلائهم منهم سعيد بن نمران ومشعلة بن نعيم فعدلوهم ... فجعلوهم أسباعاً"[4]، والحقيقة أن المصادر التاريخية لا تشير إلى ماهية نظام الأعشار ولا إلى طبيعة نظام الأسباع وما الفروق بينهما، وما ميزة أحدهما على الآخر. ولكن يبدو أن النظامين لا يعدوان أن يكونا مناطق عسكرية، وأن كل عشر أو سبع يضم مجموعة من القبائل العربية التي تتجمع في مكان واحد، ويمكن أن يكون تنظيمهم بهذا الشكل قد قصد به سهولة جمعهم عند التحرك للقتال، وعند توزيع الأعطيات والأرزاق عليهم. ولعل التحول من نظام

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص44-45.

(2) الطبري، تاريخ، ص44-45.

(3) المصدر نفسه، ص48.

(4) الطبري تاريخ، ج4 ، ص48.

الأعشار إلى الأسباع قصد به القضاء على التزاحم والاضطراب في توزيع العشائر بسبب كثرة الروادف التي حدثت نتيجة للهجرة المستمرة أو أن الغرض منه كان أيضاً أن تجتمع القبائل والعشائر التي ترجع إلى نسب واحد في موضع واحد أو خطة واحدة. ويبدو أن هذا النظام أثبت نجاحاً بدليل بقائه طوال فترة عهد الخليفة عمر وكذلك عثمان وعلي ومعأوية ثم أجرى زياد بن أبيه تعديلاً على خطط القبائل إلى نظام آخر هو الأرباع[1].

وتنظيم الأسباع كان كما يلي :

السبع الأول: ويتكون من قبائل "كنانة وحلفاءها من الأحابيش وغيرهم"[2]، وكان يطلق عليهم أهل العالية.

والسبع الثانية: يتكون من قبائل "قضاعة، وغسان، وبجيلة، وخثعم، وكندة، وحضرموت والأزد"[3]، وهم من اليمانيين، ويبدو أن أشهر هذه القبائل كانت بجيلة التي كان أفرادها موزعين على قبائل مختلفة وطلب رئيسها جرير بن عبد الله البجلي من الخليفة عمر (رضي الله عنه) أن يجمعهم مقابل موافقته على ذهابهم إلى الكوفة بعد أن وعدهم عمر بإعطائهم ربع السواد[4].

والسبع الثالث: يتكون من قبائل : مذحج، وهمدان وحلفائهم"[5].

والسبع الرابع: يتكون من قبائل "تميم وسائر الرباب وهوازن"[6].

والسبع الخامس: يتكون من قبائل "أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب"[7].

---

(1) ناجي، دراسات، ص168-169.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص48.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص48.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص31-32؛ البلاذري، فتوح، ص249-250، 263.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص48.

(6) المصدر نفسه، ص48.

(7) الطبري ، تاريخ ، ج4، ص48.

والسبع السادس: يتكون من قبائل "اياد وعك وعبد القيس وأهل هجر وأهل الحمراء"[1].

ولعل ما قصد بالحمراء هم مجموعة من الجند كانت مع رستم عدتها أربعة آلاف كانت تعرف بإسم جند شاهنشاه استأمنوا على أن ينزلوا حيث أصبحوا، ويحالفوا من أحبوا، ويفرض لهم في العطاء، فأنزلهم سعد بحيث اختاروا وحالفوا عبد القيس "وكان لهم نقيب يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم"[2].

ويرى ماسنيون ان السبع السابع لم يرد في كافة المصادر، ويقول أنه مما لا شك فيه أنه من طيء ويقول أن إسمها الوحيد الذي لا نجده عند دراستنا للأسباع[3]. في حين يرى جمال جوده أن السبع السابع يتكون من بكر بن وائل وتغلب وسائر ربيعة غير عبد القيس، ويرى أن من المحتمل أن بكر ابن وائل لم تنزل الكوفة ابتداء، وذلك لقرب منازلها من الكوفة وارتباطها بها في هذه الفترة. وربما بقيت في مراعيها ومياهها القريبة مع عائلاتهم، ويظهر أن بكر جاءت الكوفة وأخذت تستقر في خلافة عثمان وعلي بن أبي طالب[4]، ويؤيد ما ذهب إليه ما ذكره اليعقوبي من أن بكر جاءت الكوفة بعد اختطاطها ونزلت الأطراف[5]. أما الدكتور عبد الجبار ناجي فيفرد لقبيلة الأزد سبعاً خاصاً بها دون أن يعطي أي تفسير لذلك[6]. والمعروف أن الأزد موجودة كما رأينا ضمن السبع الثاني.

وهكذا أصبح لكل قبيلة خطة خاصة يتخللها "جبانة تعرف بهم وبرؤسائهم منها جبانة عزوم وجبانة بشر وجبانة سالم وجبانة مراد وجبانة كندة[7]. والجبانة فسحة

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص48.

(2) البلاذري، فتوح، ص275.

(3) ماسنيون، خطط، ص48.

(4) ماسنيون، خطط، ص42-48؛ جوده، العرب، ص169-170.

(5) اليعقوبي، البلدان، ص311.

(6) ناجي، دراسات، ص168.

(7) المرجع نفسه، ص311.

واسعة ليس فيها بناء أو عمارة كانت مهيأة للتجمع العسكري والاجتماعات العامة وهي فوق ذلك كانت معدة أساساً لمقابر العشائر والبطون[1].

5- عدد سكان الكوفة عند إنشائها :

يذهب الطبري إلى أن عدد سكان الكوفة عند إنشائها كان مائة ألف مقاتل فقد حدث سيف بن عمر قائلاً : واختطت الكوفة حين اختطت على مائة ألف مقاتل[2]، ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه ويتعارض مع ما ذكره الحموي من أن عمر كتب إلى سعد يأمره أن يخط مسجد الكوفة "على أربعين ألف إنسان فلما قدم زياد بن أبيه زاد فيه عشرين ألف إنسان"[3]، ويقبل بعض المؤرخين هذا الرقم (المائة ألف) ومنهم الخربوطلي الذي يعال التعارض بين الروايتين بالقول و "يبدو أن عدد المسلمين كان أربعين ألف نسمة"[4]، وهذا غير معقول، إذ لا يمكن أن يكون عدد غير المسلمين من اليهود ونصارى نجران الذين اخرجوا من الجزيرة العربية وسكنوا الكوفه ستين ألف شخص كما يبقى رقم (المائة ألف) مبالغاً فيه، حتى إذا أخذنا بالرأي القائل أن عدد المقاتلة كان أربعين ألفاً وعموم سكان الكوفة مع عائلاتهم مائة ألف. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما ذكره الشعبي قائلاً : "كنا يعني أهل اليمن اثنى عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنهم أكثر أهل الكوفة وخرج سهمنا بالناحية الشرقية لذلك صارت خططنا بحيث هي"[5]، ومهما أضيف إلى ما ذكره الشعبي من أخلاط القبائل ومن الموالي وحمراء الديلم (أربعة آلاف شخص) الذين تحالفوا مع بعض القبائل الأخرى كتميم من اليهود ومن نصارى نجران ومن الروادف التي أردفت فيما بعد فإن العدد لا يمكن أن يصل إلى المائة ألف شخص، لذلك فإن التعليل الأقرب للواقع هو أن هذا العدد قد نما نمواً

---

(1) ماسنيون، خطط، ص72.
(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص165.
(3) ياقوت، البلدان، ج4، ص491.
(4) الخربوطلي، تاريخ العراق، ص297.
(5) البلاذري، فتوح، ص272.

تدريجياً مع نمو المدينة.

6- مراحل بناء الكوفة :

لعل مراحل البناء التي مرت بالكوفة تكاد تكون مشابهة لتلك المراحل التي مرت بها البصرة، فالمدينتان توأمان بنيتا في ظروف مماثلة، فكلتاهما بنيتا على أساس أن تكونا معسكرين للجيوش العربية الإسلامية، وهذا ما أشعر به الاصطخري حين قال : أن الكوفة "بناؤها مثل بناء البصرة"[1]، فحين نزل العرب المسلمون أرض الكوفة أقاموا معسكرهم فيها، ونشر سعد فسطاطه وخيامه عليها، ولكن بعد مرور فترة من الزمن ونتيجة لاستقرار العرب المسلمين في منطقة الكوفة، فقد كتب سعد إلى الخليفة عمر (رضي الله عنه) يستإذنه في البناء بالقصب[2]، فأجابه عمر "ابن ما يكنك من الهواجر وإذى المطر"[3]، ويبدو أن موافقة الخليفة الثاني جاءت عن اضطرار فقد كان يحب أن يرى الخيام التي ألفها العرب والتي هي أقرب إلى حياة الخشونة التي يجب أن يتمتع بها الجند من غيرها، ولذلك لم يشأ أن يخالفهم، وإذن بالبناء بالقصب إذا خرجوا للقتال قلعوها وتصدقوا بها فإذا عادوا بنوها فكانوا يخرجون للقتال ونساؤهم معهم[4].

ويبدو أن ظروف القتال بعد سنة 17هـ/638م ومواجهة القوات الفارسية في بلاد فارس وخروج المقاتلين إلى الثغور وتعاقبهم وعدم ثبات الخطط ابتداء بسبب الروادف جعل هذه الأمصار (البصرة والكوفة) تكتفي بالقصب لتشييد الدور[5].

وكان طلب البناء باللبن بعدما تعرضت الكوفة للحريق، وقد أوضح سيف ابن عمر ذلك قائلاً : "ثم أن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيها قصبة في شوال ... فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر

(1) الاصطخري، المسالك، ص58.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص528.

(3) ابن عبد ربه، العقد، ج4، ص205.

(4) ياقوت، البلدان، ج4، ص491.

(5) جوده، العرب، ص179.

يستأذنونه في البناء باللبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم، وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وأمروه (شأوروه) فيه[1]، ويبدو أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) وافق على ذلك على شرط الأخذ بالبساطة بالبناء وأن "لا يرفعوا بنياناً فوق القدر، وقالوا : وما القدر قال : ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد"[2].

يبدو مما سبق أن عملية التغيير والبناء باللبن حدثت نتيجة للحريق الذي أصاب الكوفة، وأن عملية البناء شملت جميع لمنازل وبسرعة، إلا أن من المتعذر الأخذ بذلك، فلا بد أن تكون عملية البناء باللبن قد حصلت تدريجياً وضمن الإمكانات والاتجاه نحو الاستقرار، فمن الصعب على البدوي أن يتخلى عن الخيمة وبهذه السرعة، فقد ظلت الخيم والأكواخ تتخلل البيوت حتى زمن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد ذكر ابن سعد أن علياً (رضي الله عنه) نزل الكوفة في الرحبة التي يقال لها رحبة علي في أخصاص كانت فيها ولم ينزل القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله: [3]، ولا شك أن موقف الخليفة علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) هذا كان ينبع أساساً من زهده، فهو لم يكن يرغب في السكنى في مثل هذه الأماكن التي يتوفر فيها بعض من الرفاهية كقصر الكوفة.

ويمكن القول أيضاً أن تفكير القبائل قد اتجه نحو البناء باللبن بشكل أكثر من السابق بعد معركة نهأوند سنة 21هـ/641م، حين قضى على الخطر الساساني على العراق، ولعل العناصر الجنوبية الأصلية التي قدمت من اليمن وحضرموت، وكذلك تلك التي هاجرت من مدن الحجاز مثل كندة وحضرموت ومراد والخزرج ومزينة كانوا أكثر حضارة من غيرهم، ولا ريب أنهم كانوا أول من اتجه إلى البناء المستقر من غيرهم[4].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص43-44.

(2) المصدر نفسه، ص44.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص12.

(4) ماسنيون، خطط، ص37-40؛ الخربوطلي، تاريخ لعراق، ص297.

7- الأسواق :

إن الأسواق التي أنشئت في الأمصار (البصرة، الكوفة، والفسطاط) كانت بسيطة في بادئ الأمر، حيث لم يكن هناك اهتمام كبير بالأسواق ومواضعها بسبب الطبيعة العسكرية للمدن الثلاث التي أنشئت، ويبدو أن السوق استغل الفضاء أو الصحن الخاص بالمسجد للبيع والشراء، وهذا ما يوضحه سيف بن عمر خلال حديثه عن الكوفة ومسجدها قائلاً : "فكان الصحن على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل ليس فيه إلا المسجد والقصر والأسواق في غير بنيان ولا أعلام"[1]. والواقع أن وجود دار الأمير في الكوفة أو كما يطلق عليه قصر سعد قرب السوق قد أوجد مشكلة له، فقد كان التجار يعلون صوتهم "فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث مع مجالسيه[2]، فجعل سعد لقصره باباً إلا أن ذلك أثار الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي أمر بحرقه بعد شكاية أهل الكوفة له قائلاً لسعد : "بلغني أنك بنيت قصراً اتخذته حصناً، ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً انه ليس بقصرك ... انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم"[3].

ويبدو أن ظهور الأسواق في الأمصار بالشكل الذي أوضحناه اضطر عمر أن يضع قاعدة عامة يسير عليها أهل الأسواق فقال : "الأسواق على سنة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه"[4]. ويمكننا أن نقول أن وجود الأسواق قرب المسجد ودار الإمارة كانت مسألة بالغة الحيوية، وذلك؛ لأن هذه المراكز الثلاثة كانت محور المدينة، وكان المسجد مكان تجمع العرب المسلمين واجتماعاتهم، لذلك كان لا بد للأسواق أن تكون في وسط المدينة ليتمكن الجميع من

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص45.

(2) المصدر نفسه، ص47.

(3) الطبري ، تاريخ ، ج4 ، ص47.

(4) المصدر نفسه، ص45-46.

اتيانها، ويبدو أن الأسواق استمرت زمن عمر (رضي الله عنه) على ذلك ثم تطورت فيما بعد خاصة في زمن الأمويين، وقد أورد اليعقوبي وصفاً أدق للأسواق وتطورها قائلاً: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد أن يجعل سكك الكوفة خمسين ذراعاً ... وجعلت السوق من القصر والمسجد إلى دار الوليد إلى القلائين إلى دور ثقيف وأشجع عليها ظلال بوارى إلى أيام خالد بن عبد الله القسري فأنه بنى الأسواق وجعل لأهل كل بياعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند"[(1)]، ويمكننا أن نقول أنه على نفس القرار بنيت سوق البصرة وقت انشائها بجوار المسجد.

أما عن عامل السوق فقد ذهبت بعض الروايات التاريخية إلى القول أن عمر بن الخطاب عين عمالاً على سوق المدينة، فقد ذكر ابن سلام عن الصائب بن يزيد أنه كان "عاملاً على سوق المدينة في زمن عمر"[(2)]، ويضيف الشافعي ما يفيد أنه كان مع الصائب بن يزيد، عبد الله بن عتبة على سوق المدينة[(3)]، ويذكر الزبيري أيضاً أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) استعمل "سليمان بن أبي حثمة على سوق المدينة"[(4)].

وقد وصف الخليفة عمر (رضي الله عنه) أيضاً بأنه كان "يطوف في الأسواق"[(5)]، ويقوم بمراقبة الباعة والتجار فقد ذكر ابن قيم الجوزية عن مالك "أن عمر بن الخطاب كان يطرح اللبن المغشوش في الأرض أدباً لصاحبه"[(6)]، وذكر مالك بن أنس أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان يتدخل أحياناً في تحديد الأسعار في سوق المدينة، فقد ذكر قائلاً : "أن عمر بن الخطاب مر بـ حاطب بن أبي بلتعة وهو يبيع زبيباً له في السوق

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص311.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص533.

(3) الشافعي، الأم، ج4، ص125.

(4) الزبيري، نسب قريش، ص374.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص190، 213.

(6) ابن قيم الجوزية، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ص247.

فقال له عمر أما أن تزيد في السعر وأما أن ترفع من سوقنا"[1]، وتذهب بعض الروايات إلى القول أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) "حرق بيت رويشد الثقفي لأنه كان يبيع الخمر وقال له أنت فويسق ولست رويشد"[2]، وقد فسرت أعمال عمر (رضي الله عنه) هذه بأنها الأساس في وضع نظام الحسبة في الإسلام واعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على الآداب وعلى الفضيلة والأمانة[3]، ومراقبة "الغش في الأسواق"[4]، من وظائف المحتسب. ويبدو أن عامل الخليفة عمر (رضي الله عنه) على سوق المدينة كان يمارس واجبات أخرى مثل جباية الضرائب من التجار، فقد ذكر السائب بن يزيد الذي عينه الخليفة عمر على سوق المدينة بأنه كان "يأخذ من النبط العشر"[5]، ويذكر مالك ابن أنس أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان يأخذ عن بعض المواد نصف العشر ليساعد على رواج تجارتها في المدينة فقد ذكر قائلاً : "كان عمر يأخذ من النبط من الزيت والحنطة نصف العشر لكي يكثر الحَمْل إلى المدينة، ويأخذ من القِطنية العشر"[6].

ومهما يكن من أمر فإن الأخبار عن وجود عامل للسوق وما يقوم به من أعمال لا تردنا من الأمصار. ولكن وجود هذه الوظيفة في المدينة يعني وجودها في الأمصار بشكل أو آخر. وإذا صح هذا الظن فإننا لا نعلم أكان تعيين مثل هذا العامل من اختصاص الخليفة أم من صلاحيات الأمير أو الوالي؛ لأنه من موظفيه.

4.6 ولاية العراق في صدر الإسلام

(1) ابن أنس، الموطأ، ص544.

(2) ابن القيم الجوزية، الطرق، ص258؛ ابن الجوزي، سيرة عمر، ص133.

(3) حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص298.

(4) ابن قيم الجوزية، الطرق، ص258.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص533؛ الشافعي، الأم، ج4، ص125.

(6) أبو عبيد، الأموال، ص533؛ الشافعي، الأم، ج4، ص125.

تمت حروب التحرير العربية في صدر الإسلام واتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية اتساعاً كبيراً خاصة بعد تحرير كل من العراق وفارس والشام ومصر وكان على الخليفة إيجاد تنظيم إداري يتمكن بواسطته من إدارة تلك الدولة المترامية الأطراف فعمد إلى تقسيمها إلى أقسام إدارية كبيرة، أهمها :

العراق: حيث قسم إلى قسمين أحدهما حاضرته البصرة والآخر حاضرته الكوفة، وهما المصران اللذان تم انشاؤهما في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه)، وقد تولى البصرة في بداية تمصيرها عتبة بن غزوان ثم تولى بعده المغيرة بن شعبة وبعد عزله تم تعيين أبي موسى الأشعري الذي بقي والياً عليها حتى وفاة عمر (رضي الله عنه) [1]، أما الكوفة فقد مصرها وأصبح والياً عليها سعد بن أبي وقاص[2]، ثم أصبح واليها سنة 21هـ/641م عمار بن ياسر[3]، ثم عزل وتم تعيين المغيرة ابن شعبة سنة 22هـ/642م وبقي والياً عليها حتى وفاة الخليفة عمر (رضي الله عنه)[4].

وقد خرجت من المصرين الحملات العسكرية فكانت قوات البصرة باتجاه بلاد فارس وخراسان وفيما بعد السند وكانت قوات الكوفة باتجاه أرمينية واذربيجان والديلم، ولهذا أصبح لكل مصر جملة من الثغور تابعة له وعليها عمال عين بعضهم من قبل عمال الأمصار بعد موافقة الخليفة عمر (رضي الله عنه) على ذلك[5]، وبعضهم الآخر عين مباشرة من قبل الخليفة نفسه.

1- أقاليم وثغور البصرة وعمالها:

أ- كور دجلة: "وإذا أطلق هذا الإسم فإنما يراد به أعمال البصرة ما بين ميسان إلى

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص593-597، ج4، ص241.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص593-597، ج4، ص241.

(3) المصدر نفسه.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص593-597، ج4، ص241.

(5) فهد، بدري محمد، الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي، ج1، ص148-149.

البحر كله"[1]، ويبدو أن عامِل عمر على هذا الإقليم النعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزي بن حرتان أحد بني كعب ابن لؤي[2]. وكان يرتبط بهذا الإقليم إدارياً منطقتين هما:

الأبلة: وكان عامل عمر عليها هو خبيئة بن كناز[3]. وفرات البصرة : وكان عامل عمر عليها حسبما يذكر المدائني هو الحجاج بن عتيك[4].

ب- الأحواز: وهو إقليم تابع إلى البصرة أيضاً[5]، فقد ذكر البلاذري أنه بعد أن حررها ابو موسى جعل عليها سمرة بن جندب الفزاري[6]، ويضم إقليم الأحواز منطقتين إداريتين هما:

مناذر[7]: ويذكر بجالة بن العتبري أن عامِل عمر (رضي الله عنه) عليها كان جزء بن معاوية[8]، في حين يذكر البلاذري أن عمر "كتب إلى أبي موسى وهو محاصر مناذر يأمره أن يخاف ويسير إلى السوس فخاف الربيع بن زياد"[9]، ولكن يظهر أن مناذر بعد انتهاء تحريرها أصبح عامِلها عاصم بن قيس بن الصلت السلمي[10].

سرق و رامهرمز[11] : وكان عامل عمر (رضي الله عنه) عليها وكيع "إياس بن

---

(1) ياقوت الحموي، معجم، ج4، ص489.

(2) البلاذري، فتوح، ص374.

(3) ابن دريد، الاشتقاق، ص355.

(4) ابن دريد، الاشتقاق ، ص373.

(5) ابن قتيبة، المعارف، ص566؛ البلاذري، فتوح، ص366.

(6) البلاذري، فتوح، ص367-373.

(7) المصدر نفسه، ص374.

(8) أبو يوسف، الخراج، ص129.

(9) البلاذري، فتوح، ص367.

(10) المصدر نفسه، ص374.

(11) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص272.

صبيح بن محرش بن أبي مريم الحنفي"[1].

جـ - فارس[2]: وعامل عمر عليه هو عثمان بن أبي العاص الذي قام بعمليات التحرير فيه، واستطاع أن يحرر توج ويمصرها فبنى "بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين وأسكنها عبد القيس وغيرهم"[3]، واتخذها قاعدة لتحرير الإقليم.

2- **أقاليم الكوفة** :

وتتكون من اذربيجان وأرمينية. وكانت منطقة إذربيجان قد جمعت لعامل واحد ويبدو أن تحرير اذربيجان كان مشاركة بين بكير بن عبد الله وعتبة ابن فرقد، إلا أن بكيراً استعفى "فجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة ابن فرقد"[4].

أما منطقة أرمينيا فيبدو أنها أيضاً جمعت لعامل واحد هو سراقة ابن عمرو[5].

3- **القضاة على العراق في صدر الإسلام**

أ- قضاة البصرة :

تتفق معظم الروايات التاريخية على أن أول من ولي القضاء في البصرة هو إياس بن صبيح بن المحرش بن عبد عمرو ويكنى أبا مريم الحنفي[6]، ويبدو أن تعيين أبي مريم الحنفي لم يجره الخليفة عمر (رضي الله عنه) وإنما من اجراء واليه على البصرة عتبة بن غزوان، فقد ذكر الأصمعي قائلاً : "كان الأمير على البصرة أيام عمر عتبة بن غزوان في سنة أربع عشر فولى أبا مريم القضاء فلم يزل قاضياً حتى مات عتبة

(1) المصدر نفسه.

(2) ابن قتيبة، المعارف، ص566؛ البلاذري، فتوح، ص473.

(3) البلاذري، فتوح، ص375؛ الدينوري، الأخبار، ص133.

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص154.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص157.

(6) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص156؛ البلاذري، فتـوح، ص97؛ وكيـع، أخبـار القـضاة، ج1، ص269؛ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص285.

بن غزوان"[1]

ومهما يكن من أمر فإن مسألة تعيين أبي مريم الحنفي أول قاض على البصرة فإنه نتيجة للظروف التي أحاطت بتعيينه أو على ما يبدو نتيجة لضعفه، فقد تم عزله. حيث يذكر الأصمعي عن ابن عمرانه قال "شكي ضعف أبي مريم الحنفي إلى عمر فأمر بعزله[2]، ويقال أيضاً أن سبب عزله أنه أصلح بين متخاصمين في دينار غرمه من ماله الخاص تسهيلاً للأمر[3]. ويبدو أن الخليفة عمر (رضي الله عنه)، لم يكتف بعزله بل أمر أبا موسى الأشعري أن يعيد النظر في أحكامه، فكتب إليه أبو موسى "أني لا أتهم أبا مريم"[4].

ويذكر وكيع عن أنس ابن الحسن أنه بعد أن تم عزل أبي مريم عن القضاء كتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى "المغيرة بن شعبة : أن يقضي بين الناس"[5]، ويبدو أن المغيرة مارس القضاء فترة معينة إلى أن اختار الخليفة عمر (رضي الله عنه) كعب بن سور[6]، ويظهر أن تعيين هذا الشخص قضاء البصرة كان نتيجة ذكائه وعقليته القضائية الممتازة ويتضح هذا نتيجة لحوادث معينة استشف منها الخليفة عمر (رضي الله عنه) قدرته هذه، ومن هذه الحوادث ما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى من "أن صاحب عين هجراتي عمر وعنده كعب بن سور، فقال : يا أمير المؤمنين إن لي عيناً فاجعل لي خراج ما تسقي، فقال: هو لك، فقال كعب : يا أمير المؤمنين ليس ذاك له، قال : ولم ؟، قال : لأنه يفيض ماءه عن أرضه فيسقي أرض الناس ولو حبس ماءه في أرضه لغرقت، فلم ينتفع بمائه، ولا بأرضه فمره فليحبس

(1) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص269-272.

(2) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص270.

(3) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص272.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص270.

(5) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص274.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص274.

ماءه عن أرض الناس إن كان صادقاً، فقال له عمر : اتستطيع أن تحبس ماءك، قال : لا. قال : هذه لكعب مع الأولى"[1]. وقال له "إذهب فأنت قاض على أهل البصرة"[2]. ويذكر الأصمعي أن كعب ابن سور ظل قاضياً على البصرة "حتى قتل عمر سنة ثلاث وعشرين"[3].

وفي ولاية كعب بن سور على قضاء البصرة أوردت بعض المصادر التاريخية ما يفيد أن أهل الذمة كانوا يلجؤون إليه لفصل الحكم بينهم، فكانوا يترافعون في قضاياهم إليه، فإذا أراد أن يستخلف النصراني فإن "كعب بن سور كان يأتي به المذبح، ويضع على رأسه الأنجيل، ويستحلفه بالله"[4]، كما كان أحياناً يطلب من أعوانه بأخذ النصراني معهم ليستحلفوه قائلاً لهم "إذهبوا به إلى البيعة واجمعوا التوراة في حجرة الأنجيل على رأسه واستحلفوه بالله[5]. أما إذا أراد أن يستحلف يهودياً قال لأعوانه "ادخلوه الكنيسة وضعوا التوراة على رأسه واستحلفوه بالله الذي أنزل التوراة على موسى"[6].

وإذا صحت هذه الروايات فإنها تصبح على جانب كبير من الأهمية والقيمة؛ لأنها تؤكد أن القاضي المسلم كان ينظر في قضايا أهل الذمة في عهد مبكر[7].

إلا أننا مما لا نجد له تفسيراً هو : أين كانت تلك البيع والكنائس التي أشارت إليها النصوص ؟ إذ أنها غير موجودة كما هو معروف في البصرة. مكان ولاية كعب بن سور على القضاء، فهل كان الذمي والحالة هذه ينقل إلى المناطق التي تتوفر فيها مثل

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص277-278.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص276.

(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص156؛ وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص274.

(4) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص278.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص278.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص278.

(7) الأنباري، النظام القضائي، ص80-81.

هذه الأماكن لأداء اليمين ؟.

ب- قضاة الكوفة :

اختلف الرواة في أول قاض للخليفة عمر (رضي الله عنه) على الكوفة فمنهم من يرى أن أولهم كان عروة بن الجعد البارقي، وآخرون يرون أن سلمان بن ربيعة الباهلي هو أولهم على حين يرى بعض آخر أن جبر بن القشعم الكندي هو الأول[1]، ويوضح الشعبي هذا الاختلاف بالقول "كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، ثم شهد القادسية، وكان قاضياً بها، ثم قضى بالمدائن ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل (جبر بن قشعم الكندي) على المدائن ثم عزله واستقضى أبا قُرة الكندي وهو إسمه فاختط الناس وقاضيهم أبو قرة"[2].

وتبدو هذه الرواية أقرب إلى الصحة وذلك للظروف والأحوال المتغيرة التي صادفت العرب المسلمين في بدايات حروب التحرير وتنقلهم وعدم استقرارهم وثباتهم في مكان واحد قبل اختطاط البصرة والكوفة وفضلاً عن ذلك فإن سبب العزل والتغيير قد يكون لعدم تمكن القاضي من القيام بواجباته على الوجه المطلوب، ولذلك ما إن استقرت الأمور بعد اختطاط الكوفة حتى بدأ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في محاولة إرساء قواعد للمؤسسات القضائية والمالية والدينية، فقد روى قتادة عن أبي مجاز لاحق بن حميد أن "عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة وجيوشهم وبعث عبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض"[3].

ثم استقضى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد ذلك شريح بن الحارث

(1) ابن خياط، تاريخ، ص156.

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص61؛ المعـارف، ص588؛ وكيـع، أخبـار القـضاة، ج1، ص184-185.

(3) البلاذري، فتوح، ص265.

الكندي[1]، فقد ذكر وكيع أن شريحاً أعقب عبد الله بن مسعود في القضاء على الكوفة[2].

وتتفق بعض المصادر التاريخية على أن السبب الذي دفع الخليفة عمر (رضي الله عنه) لاختياره شريحاً قاضياً على الكوفة هو ما ذكره الشعبي من ان "عمر بن الخطاب أخذ من رجل فرساً على سوم (أي أخذه ليجزيه ويقدر ثمنه) ... فعطب الفر س فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً فقال الرجل صاحب بيني وبينك شرحا العراقي فأتيا شريحاً فقال: يا أمير المؤمنين أخذته صحيحاً على سوم فعليك أن ترده سليماً كما أخذته قال: فأعجبه ما قال ثم بعثه قاضياً على الكوفة"[3].

ويبدو أن الغرض من ذكر هذه الرواية تعظيم شريح والتدليل على ذكائه إذ لا يعقل أن لا يدرك الخليفة عمر (رضي الله عنه) هذه الحقيقة اليسيرة وهي من أخذ شيئاً سليماً على تجربة عليه أن يرده سليماً صحيحاً.

ومهما يكن من أمر فإن لاستقضاء شريح بن حرث الكندي أهمية كبيرة فهي عدا عن أنه أثار الكثير من النقاش والخلاف حوله سواء من قدماء المؤرخين أو من محدثيهم كما سبق أن بينا فإن له مدلول من حيث ما قيل ويقال حول الرسالة التي أرسلها إليه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والتي فيها دعوة إلى الأخذ بالرأي والاجتهاد. هذا وقد عد بعضهم أن اقضيته وأحكامه خلال فترة ولايته والتي استغرقت خمساً وسبعين سنة[4]، قد أسهمت في تكوين مدرسة الرأي في العراق وتحديد معالمه[5].

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص156؛ وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص189؛ الطبري، تـاريخ، ج4، ص241.

(2) وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص189؛ ابن خياط، تاريخ، ص156.

(3) وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص189.

(4) ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج1، ص61؛ ابن قتيبة، المعارف، ص558.

(5) الأنباري، النظام القضائي، ص81-85.

5.6 ديوان الجند (العطاء) في العراق :

اتبع أبو بكر التسوية في توزيع الأموال التي ترد إلى المدينة بين جميع المسلمين، فتذكر عائشة أن أباها كان يساوي بين المسلمين في قسمة مال الفيء[1]، لا فرق في ذلك بين حر وعبد ورجل وامرأة، يقول الواقدي أن أبا بكر "كان يسوي بين الناس في القسم، الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه سواء"[2]. ويوضح أبو بكر رأيه في التسوية وعدم التفضيل على السابقة بقوله: "أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك، وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، فالأسوة فيه خير من الأثرة"[3]، ولعل ظهور آراء تطالب بالتفضيل أيام أبي بكر لكثرة من دخل في الإسلام[4]، لم يؤثر على هذا الاتجاه لأنشغال الجميع بحركة الردة والفتوحات.

واستمرت التسوية في العطاء في خلافة عمر حتى سنة 20هـ/640م[5]، حين أنشأ الديوان وفرض العطاء على التفضيل سواء في المدينة أو الأمصار.

يرجع الرواة سبب أنشاء عمر للديوان إلى كثرة الأموال التي أرسلت إلى المدينة، وقد اعتمد أكثرهم رواية لأبي هريرة تذكر بأنه قدم بأموال كثيرة من البحرين، وكان عاملاً عليها، فتعجب عمر لكثرة هذه الأموال وقال لأهل المدينة: "إنه قدم علينا مالٌ كثير، فإن شئتم أن نعد لكم عداً وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه. قال: فدون الديوان"[6]. ويزيد الهيثم بن عدي على الرواية السابقة "فقال له الفيرزان: إن العجم

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص137.

(2) الواقدي، المغازي، ج2، ص780.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص45.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص374.

(5) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص151؛ البلاذري، أنساب، ق2، ص607.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص151.

يدونون ديواناً يكتبون فيه ما لواحد أحد"[1]. ويبين الواقدي ذلك إذ يذكر أن عمر بن الخطاب استشار المسلمين بعمل الديوان فأشار عليه عثمان بن عفان "أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يشتبه الأمر"[2]، فاتفق الصحابة على تدوين الديوان وقال عمر "لابد من هذا فقد كثر فيء المسلمين"[3]. وعلى هذا فقد كانت كثرة الأموال في المدينة دافعاً إلى تنظيم توزيع هذه الأموال في أعطيات سنوية يحفظ الباقي في بيت المال عكس ما سبق عندما كانت توزع الأموال الواردة للمدينة عند وصولها بين المسلمين.

وهكذا فإن دخول القبائل العربية في الإسلام، ومشاركتها في البعوث وهجرتها للأمصار وتوسع رقعة الدولة الإسلامية كان دافعاً إلى تنظيم هذه الجماعات في إطار إداري وعسكري منظم. ويبدو هذا من إشارات أخرى فيذكر أن الفيرزان قال لعمر حين أراد أن يبعث بعثاً "إن تخاف رجل عن هذا البعث كيف تصنع؟، وكيف تعلم عاملك بخبرة، وأشار عليه بالديوان وفسره له". كما يتضح من قول عمر عندما عزم على وضع الديوان "أنا مجند المسلمين على الأعطية ومتحر الحق ومدونهم"[4].

وكان تاريخ وضع الديوان والعطاء على التفضيل في المدينة والأمصار في سنة 30هـ/650م، كما بين ذلك الشعبي والزهري[5]، كما أن الرواية التي تربط بين قدوم أبي هريرة بأموال من البحرين وتدوين الديوان تؤكد ذلك، حيث أن أبا هريرة كان والياً على البحرين سنة 20هـ/640م[6]. ويستدل على ذلك أيضاً من قول شقيق بن سلمة :

(1) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص134.
(2) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص212؛ البلاذري، فتوح، ص549.
(3) البلاذري، فتوح، 560.
(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص212؛ الابلاذري، فتوح، ص549.
(5) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص213؛ البلاذري، فتوح، ص550-560؛ اليعقوبي، تـاريخ، ج2، ص153؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص112؛ المقدسي، بدأ، ج5، ص168.
(6) لطبري، تاريخ، ج4، ص112.

"أعطاني عمر بيده أربعة أعطية" ثم توفى[1].

ويذكر سيف أن عمر دون الديوان سنة 15هـ/635م[2]، ونقل هذه الرواية بعض المؤرخين[3]، ومن المتعذر قبولها هنا وسنبين دلالتها عند الحديث عن الدواوين في الأمصار.

وعندما بدأ عمر بوضع الديوان راعى في تنظيمه أمرين : الأول: ترتيب القبائل في الديوان إذا اعتمد درجة القرابة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) أساساً للترتيب، فيذكر الواقدي أن عمر أصر على هذا وقال: "والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا ما نرجوا من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب"[4].

وعلى هذا الأساس اعتبر بنو هاشم رأس القبائل العربية في الديوان. ويتوسع الزهري في توضيح أسس التسلسل فيقول: لما أجمع عمر على تدوين الديوان ، بدأ ببني هاشم في الدعوة، ثم الأقرب فالأقرب برسول الله، فكان القوم إذا استووا في القرابة قدم أهل السابقة، ثم انتهى إلى الأنصار فبدأوا بسعد بن عبادة الأشهلي من الأوس، ثم الأقرب لسعد[5]. وقدم عمر في الديوان بني تميم على بني مخزوم عندما تسأووا في القرابة لأن بني تميم كانوا في حلف الفضول وكان الرسول قد شارك فيه[6].

والأمر الثاني الذي اعتبر في تنظيم الديوان، مراعاة النسب والتشدد فيه[7]، فوضع لكل قبيلة ديواناً خاصاً بها، يسجل فيه جميع أفرادها ومن ينتسبون إليهم، فيذكر الواقدي

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص56.
(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص618.
(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص92؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص145.
(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص212-213؛ البلاذري، فتوح، ص549.
(5) البلاذري، فتوح، ص550.
(6) الشافعي، الأم، ج4، ص158.
(7) الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص367.

أن ديوان خزاعة كان على حدة، وكذلك ديوان حمير[1]. وجعل لكل قبيلة عريفاً منها، يقوم باستلام عطائهم وتوزيعه عليهم[2].

ولعل تطبيق إجراء التفضيل أثار معارضة البعض في المدينة، ويظهر أيضاً من قول عمر بن الخطاب: لا أجعل من قاتل رسول الله، كمن قاتل معه[3]. ففرض لمن شهد بدراً أعلى طبقة في العطاء، ثم تدرج حسب المشاهد التي تلت ذلك.

وساوى عمر بين العرب وغيرهم من المسلمين في كل طبقة في العطاء[4]، لكنه قطع العطاء عن المماليك (العبيد)، حيث كانوا يعطون قبل ذلك[5]. أما الذي شهد منهم مشاهد المسلمين الأولى وشارك فيها فقد فرض له العطاء، فكان يعطي ثلاثة مماليك كل واحد منهم ثلاثة آلاف درهم في السنة لمشاركتهم في معركة بدر[6].

وهكذا فإن الديوان في المدينة وضع ضمن أساس حفظت فيه مكانة بني هاشم الاجتماعية، وزادها الإسلام أيضاً منزلة وتقديراً بين القبائل، رتبت المنزلة الاجتماعية حسب الأقرب فالأقرب لبني هاشم[7]. ووضع العطاء ضمن أسس جديدة حفظت فيه حقوق المسلمين، وفضلوا فيه وكوفئوا على قدر جهادهم ودورهم من أجل رفع راية الإسلام، أي أن الإسلام أصبح مقياساً للوضع الاجتماعي والاقتصادي في المدينة.

أما الوضع في الأمصار ابتداء وبعد وضع الديوان ففيه بعض الاختلاف عن المدينة، فبعد فتح العراق والشام اجتمع عمر بالصحابة، لتقرير الوجوه التي تصرف فيها واردات هذه البلاد، فقرروا أن توزع على المقاتلة فيها، فيذكر سيف أنهم اتفقوا على "فرض الأعطية من الجزاء على من صالح أو دعي الصلح من جزائه مردود

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص50؛ ابن سعد، الطبقات، ج3، ص214-215.

(2) الزبيري، نسب قريش، ص154.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص46؛ أبو عبيد، الأموال، ص375.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص322؛ البلاذري، فتوح، ص556.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص50؛ ابن سعد، البطقات، ج3، ص215.

(6) أبو عبيد، الأموال، ص346؛ البلاذري، فتوح، ص563.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص212-213؛ البلاذري، فتوح، ص549.

عليهم بالمعروف، وليس في الجزاء أخماس، والجزاء لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم، ولمن لحق بهم فأعانهم[1]، ويذكر سيف عن الشعبي ومحمد بن سيرين وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وأبي سلمة "فرض العطاء حين فرض لأهل الفيء، الذين أفاء الله عليهم... الفيء لأهل هؤلاء الأمصار، ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم، ولم يفرض لغيرهم، ألا فبهم سكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح، وإليهم أدى الجزاء وبهم سدت الفروج ودوخ العدو. ثم كتب في اعطاء أهل العطاء اعطياتهم اعطاء واحداً سنة خمس عشرة[2]. ويقول سيف أنه وزع على السملمين قبل دخولهم المدائن سنة 16هـ/636م عطاء، وقبل رحيلهم للكوفة سنة 17هـ/637م عطاء آخر[3].

وهكذا فقد تقرر أن تكون واردات البلاد وقفاً على المقاتلين ومن يهاجر إليهم وليس فيها خمس للخليفة كالغنيمة. وتجمع هذه في كل سنة، فمن المتوقع أن يوزع هذا الوارد في بداية كل سنة على شكل عطاء أو راتب سنوي بين المقاتلة في العراق. ولعل إشارة سيف من أن العطاء وزع في سنة 15هـ/635م واقعية، تعبر عما كان يجري فعلاً في الأمصار، بعكس ما كان في المدينة من توزيع الأموال حين حضورها. لذا قيل عن توزيع الأموال بشكل راتب معين في كل سنة عطاء، ويبين ذلك الشعبي فيقول عن رأي عمر أنه قال: "لما فتح الله عليه، وفتح فارس والروم، جمع أناساً من أصحاب رسول الله فقال: ما ترون؟ فإني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المال فإنه أعظم البركة... ففرض الأعطيات"[4].

يبدو أن العطاء بقي يوزع بالتساوي بين المقاتلة في العراق والشام حتى سنة 20هـ/640م، مع زيادة أهل البلاء في عطائهم. فيذكر سيف أنه عندما فتحت العراق

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص617-618.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص615.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص42-44.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص49.

اجتمع عمر بالصحابة، فمما قرروه "القسم بالسوية، وأن يعطي أهل البلاء على قدر بلائهم"[1]. ويذكر رافع مولى عمر قال "سمعت العباس بالجابية يقول لعمر : أربع من عمل بهن استوجب العدل: الأمانة في المال والقسم بالسوية..." [2]. ويذكر سفيان بن وهب الخولاني أن عمر خطب بالجابية سنة 17هـ/637م فمما قاله "أما بعد: فإن هذا الفيء أفاءه الله عليكم، الرفيع فيه بمنزلة الوضيع، ليس أحد به أحق من أحد... ثم قسم بين الناس، فأصاب كل رجل منهم نصف دينار إذا كان وحده، فإذا كانت معه امرأته أعطاه ديناراً"[3].

يظهر أنه كان هناك سجل في الأمصار في هذه الفترة تسجل فيه إسماء المقاتلة في كل مصر لتوزيع عطائهم بواسطته، فيذكر المدائني أن زياد بن أبيه كان يوزع على المقاتلة الدراهم أيام عتبة بن غزوان، وكان يأخذ أجرته درهمين في اليوم الواحد لعلمه بالحساب[4]. ويذكر سيف، حوالي سنة 16هـ/636م قبل جلولاء، أن زياد بن أبيه هو "الذي كان يكتب الناس ويدونهم"[5]. ويبدو أنه بدأ بعمل سجل للمقاتلين في البصرة أثناء ولاية المغيرة بن شعبة عليها (16-17هـ/636-637م) حيث يذكر ابن قتيبة أن أول من وضع ديوان البصرة المغيرة بن شعبة، وكان زياد بن أبيه كاتباً للمغيرة آنذاك[6].

إن زيادة وارد الدولة بعد استقرار فتح الشام والعراق ومصر، وحصول اختلاف في الرأي في أحقية المسلمين الأوائل ومن أسلم بعدهم في المدينة في نصيبهم من الأموال، وبين الفاتحين والروادف في الأمصار في وارد البلاد، إضافة إلى توسع رقعة الدولة الإسلامية كان دافعاً لإيجاد جهاز إداري ومالي جديد يتمشى والظروف الحالية لهذه الدولة، ألا وهو الديوان والعطاء على التفضيل.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص616.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص64.

(3) أبو عبيد، الأموال، ص374-375؛ ابن عساكر، دمشق، ج1، ص556.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص597؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص137.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص29.

(6) ابن قتيبة، المعارف، ص295؛ ابن حبيب، المحبر، ص378.

كان العطاء في الكوفة يتدرج بين أهل الأيام والقادسية والروادف، فعطاء أهل الأيام، وهم الذين شاركوا في المعارك التي سبقت القادسية، ثلاثة آلاف درهم للرجل الواحد في السنة[1]، وعطاء من شهد القادسية ألفا درهم[2]، أو ألف وخمسمائة درهم[3]، ولعل هذا المقدار الأخير فرض لمن لحق بالمسلمين أثناء المعركة أو في نهايتها، حيث ترد إشارات بوصول إمدادات لسعد أثناء المعركة. ويذكر الزهري أن عمر وضع أهل اليمن وقيس بالشام والعراق في الفين من العطاء[4]، ويتوقع أن يكون أكثر أهل الأيام من ربيعة ومضر الذين تتوزع منازلهم في باديتي الكوفة والبصرة، لذا يكون قول الزهري واقعياً إذا عرفنا أن اليمانية وقيس شاركت بشكل ملحوظ في معركة القادسية. وفرض عمر بن الخطاب الدهاقين الذين أسلموا في الفين من العطاء كأهل القادسية[5].

يبدو أنه حصلت معارضة من أهل القادسية لتفضيل أهل الأيام عليهم، كما وطالب من اشترك في القادسية ممن كانت داره بعيدة بتفضيله عمن يسكنون بمنازلهم قرب الكوفة. وأنهى عمر هذا الخلاف باستطابة نفوس المعارضين، ويوضح سيف ذلك بعد ذكره عطاء أهل الأيام فقيل لعمر : لو ألحقت بهم أهل القادسية. فقال : لم أكره لا لحق بهم من لم يدركهم، وقيل له في أهل القادسية : لو فضلت من بعد داره على من قاتلهم بفنائه، قال وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم، وهم شجن العدو، وما سويت بينهم حتى استطبتهم، فهلا فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا[6].

وزيد أهل البلاء في معركة القادسية في عطائهم خمسمائة درهم، فأصبحوا في ألفين وخمسمائة من العطاء، فيذكر الشعبي : أن أهل البلاء يوم القادسية فضلوا عند العطاء بخمسمائة في أعطياتهم خمسة وعشرون رجلاً منهم : زهرة، وعصمة الضبي،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص568.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص544؛ ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص77.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص215.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص214.

(5) ابن آدم، الخراج، ص56-57.

(6) الطبري، تاريخ، ص568.

والكلح، ومن هؤلاء أيضاً مسعود بن قبيصة من عبد وعمرو بن معد يكرب، وحجر بن عدي، والعوف بن النعمان الشيباني وعلباء بن الهيثم السدوسي[1].

يلاحظ أن أهل البلاء لم يكونوا شخصيات اعتيادية بل هم من أشراف القبائل ورؤسائها، فدورهم في قيادة قبائلهم وفي القتال كان دافعاً إلى زيادة عطائهم وتفضيلهم على من سواهم من رجال قبائلهم، ويشعر بذلك قول البلاذري عندما فرض عمر لعتاب بن غلاق قال : وفرض له عمر في الاشراف[2].

أما الروادف فقد فرض لهم في رواية الزهري : ما بين ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة[3]. ويختلف سيف في التدرج ومقادير العطاء فيقول : فرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف التثليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة ... وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين[4].

وهناك رواية لأبي سلمة بن عبد الرحمن (توفى في نهاية القرن الأول) تتفق ورواية سيف، وتختلف في أنها تذكر أن عطاء الروادف الربيع والخميس مائتا درهم، وآخر من فرض لهم أهل هجر مائة درهم، وتوفى عمر على ذلك. ويلاحظ أن سيف وأبا سلمة وضعا رادفة خامسة وسادسة زمن عمر، فمن الصعب القبول بهذا زمن عمر بن الخطاب، وربما يعطون صوراً لمقادير عطاء وضعت فيما بعد، وكذلك القول بأنه فرض 250 أو 200 أو 100 درهم يشك فيه زمن عمر، فمائة درهم كانت عطاء الذرية[5]. وفرض عمر لحمراء ديلم ألفا ألفا وهو الرادفة الأولى[1].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص568؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص503.

(2) البلاذري، أنساب، ج5، ص32.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص214؛ البلاذري، فتوح، ص552.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص614.

(5) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص77.

وألحق عمر بن الخطاب من شهد نهاوند (سنة 21هـ/641م) من الروادف، وأبلى فيها بلاءً حسناً، بأهل القادسية، فيذكر سيف : وألحق عمر من شهد نهاوند، فأبلى من الروادف بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين ألحقهم بأهل القادسية[2].

أما الوضع في البصرة فكان يختلف إلى حد ما عن الكوفة، فقد فرض عمر لمن شهد فتح الأبلة وهم ما يقرب من ثلاثمائة في ألفين من العطاء. ويوضح ذلك دأود بن أبي هند: أصاب المسلمون بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ كل رجل درهمين، ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذها من فتح الأبلة في ألفين من العطاء وكانوا ثلاثمائة رجل[3]. ويذكر ابن دريد من شهد فتح الأبلة وأخذ الدرهمين معمر بن شمير من بكر بن وائل وخالد بن عمير من بني ضبة[4]. ويبدو أنه لم يكن في البصرة أعلى من هذا العطاء وهم كأهل القادسية. وألحق عمر بأهل الأبلة كل من شهد فتح الأهواز، إذ وضعوا في ألفين من العطاء[5].

وعند وضع الديوان سنة (20هـ/640م) كان جل مقاتلة البصرة قد شهدوا فتح الأبلة والأهواز، إذ أن فارس وأصبهان لم تكن قد فتحت بعد. ويظهر قلة عدد مقاتلتها آنئذ، حيث لم يتجاوزا عشر آلاف، وكثرة وارد الأهواز وكور دجلة كان يسمح بوضع الجميع في ألفين من العطاء. لكن هذا الوضع لم يكن بالكوفة آنئذ، أي أن مقادير الواردة في كل مصر، وعدد المقاتلة فيه، تحكمت في مقادير العطاء، ولعل هذا يبدو أيضاً من قول عمر حين فرض العطاء على التفضيل : لئن كثر المال لا فرض لكل رجل أربعة آلاف[6]. ولعل هذا الوضع في البصرة يفسر ازدياد مقاتلتها سنة

---

(1) البلاذري، فتوح، ص343.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص137.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج7، ق1، ص92؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص594.

(4) ابن دريد، الاشتقاق، ص188.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص75.

(6) البلاذري، فتوح، ص552.

(21هـ/641م) زيادة واسعة حتى أصبح خراج فتوحهم لا يكفيهم. وكان استمرار الفتوح بعد ذلك في فارس وأصبهان وكرمان في نهاية خلافة عمر مع بقاء عدد المقاتلة لا يتجاوز السبعة عشر ألفاً مما جعل عطاء الروادف فيها عالياً، وكذلك نشاط فتوحها زمن عثمان في خراسان حد من التباين الكبير في عطاء الروادف، لذا نجد في الروايات ما يشعر بوجود شكوى من العطاء في البصرة كالكوفة والتي ازدادت زيادة كبيرة خلال هذه الفترة مع بقاء واردها واحداً.

وفرض عمر للنساء والذرية في العطاء، وفضل بين النساء، فجعل عطاء أهل الأيام ثلاثمائة درهم. ونساء أهل القادسية مائتي درهم، ثم سوى بين نساء من ردف بعد ذلك مائة درهم[1]. وفرض عمر للأولاد سواء الذكر أو الأنثى مائة درهم في السنة بعد الفطام[2]. ويذكر الواقدي أن خالد بن عرفطة قدم إلى عمر فقال له عن أهل الكوفة : وما من مولود ذكر أو أنثى إلا الحق في مائة[3]. ويظهر أن هذا جعل الكثيرين يعجلون في فطام أولادهم ليسجلوهم في العطاء، كما يظهر في رواية يزيد بن هارون التي تذكر أيضاً أن عمر انتبه لذلك فقال: لا تعجلوا صبيانكم عن الرضاع بالفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الافاق[4]. ويذكر عبد الله بن نافع عن أبي عمر قال: كان عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم، قال : ثم أمر منادياً فنادى، لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وقال : وكتب بذلك إلى الافاق، بالفرض لكل مولود في الإسلام[5].

وكان عطاء الولد يزداد زمن عمر بن الخطاب مع كبر سنه، فيذكر أسلم مولى عمر: كان للمنفوس إذا طرحته أمه مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتين، فإذا بلغ

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص614.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص328؛ البلاذري، فتوح، ص562.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص215؛ البلاذري، فتوح، ص553.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص217؛ ابن أنس، المدونة، ج1، ص303.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص338؛ البلاذري، فتوح، ص562.

زاده[1]. ولعل توفر الأموال في زمن عمر بن الخطاب كان يتيح مثل هذه الزيادة. وكان عمر يفرض للّقطاء أيضاً، فيذكر الواقدي : وكان إذا أتى باللقيط فرض له مائة، وفرض له رزقاً يأخذه، ثم ينقله من سنه إلى سنه[2]. وكان علي بن أبي طالب يفرض لهم أيضاً[3].

ويبدو أن زيادة الولد بعد الراشدين أوقفت إلا إذا بلغ سن المقاتلة وهو خمسة عشرة سنة[4]، فيذكر عمر بن سعد أن ابناً لمخنف بن سليم الأزدي بلغ سبع عشرة سنة ولم يكن يأخذ العطاء، فمنعه أبوه من القتال في صفين[5]، ويذكر الواقدي : كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة إلى عماله في الآفاق : أن لا يفرضوا لابن أربع عشرة سنة في القتال، وافرضوا لابن خمسة عشرة سنة في المقاتلة[6].

واستمر عطاء العيال والذرية على حاله زمن الراشدين فكان عثمان بن عفان يفرض لكل ولد مائة درهم في السنة[7]، وكذلك فعل علي بن أبي طالب، فيذكر رجل خثعمي من الكوفة "ولد لي ولد فأتيت به علياً فأثبته في مائة"[8].

كان العطاء قبل تدوين الدواوين للمقاتلة ونسائهم فقط[9]، ويوضح ذلك قول الأحنف لعمر: وإن تصرفنا بالزيادة في اعطياتنا والفرائض لعائلاتهم يزد ذلك الشريف منه تأميلاً[10]، وهذا جعل عمر يلحق ذراريهم في العطاء، وكتب بذلك إلى

(1) أبو يوسف، الخراج، ص50.
(2) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص214؛ البلاذري، فتوح، ص552.
(3) أبو عبيد، الأموال، ص339.
(4) أبو عبيد، الأموال، ص342.
(5) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص183.
(6) ابن سعد، الطبقات، ج5، ص258.
(7) أبو عبيد، الأموال، ص338.
(8) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص212.
(9) أبو عبيد، الأموال، ص375.
(10) الجاحظ، البيان، ج2، ص44.

أبي موسى الأشعري[1].

وأنقص سعيد بن العاص عطاء نساء أهل القادسية إلى مائة درهم، يذكر الشعبي عن العطاء الذي وضعه عمر: فكانت عمة لي أعطاها مائتين فلما أمر سعيد بن العاص على الكوفة ألغى أحداهما[2]. ويوضح ذلك الأصفهاني "وكان سعيد قد أبغضه أهل الكوفة لأمور منه: أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين، فحطه سعيد إلى مائة مائة[3].

ويبدو أن عليا بن أبي طالب استمر في فرض مائة درهم للمرأة، فيذكر محمد بن قيس الأسدي: حدثتني والدتي أم الحكم أن علياً ألحقها في مئة من العطاء[4].

وفرض عمر بن الخطاب أرزاقاً للمقاتلة وعيالهم وذراريهم ومماليكهم توزع عليهم لكل فرد جريبين من الطعام في الشهر، فيذكر حارثة بن مضرب أن عمر قال : يكفي الرجل جريبان كل شهر، فكان يرزق الناس، المرأة والرجل والمملوك جريبين كل شهر[5]. ولعل فرض الأرزاق للمماليك من قبل عمر، إضافة إلى توفر العطاء وكثرة الغنائم آنئذ شجع العرب على اقتنائهم مما أثر بالتالي على وضعهم المعاشي وطالبوا عمر الزيادة في عطائهم فقال: فعلتموها جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم من مال الله[6].

كان المقاتلة يأخذون زيادة عن العطاء والرزق أموالا إضافية تسمى المَعأون. ووجدت هذه منذ أيام عمر بن الخطاب، حيث أنها كانت تصرف لهم في كل سنة أيام عتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص في فصل الربيع حين يخرجون إلى البادية[7]،

(1) البلاذري، أنساب، ق2، ص995.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص48.

(3) الأصفهاني، الأغاني، ج12، ص134.

(4) البلاذري، فتوح، ص558.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص351-352.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص213.

(7) الطبري ، تاريخ ، ج4، ص43، 65.

لتسمين حيواناتهم والتمتع بجو البادية الذي افتقروه بعد استقرارهم. يبدو أن كثرة الأموال أيام عمر كانت تسمح بتوزيع المَعأون في كل سنة، لكنه فيما بعد أخذت توزع في بعض الأوقات التي يتكلف الناس فيها نفقات إضافية كشهر رمضان وعيد الفطر والأضحى، فقد كان عثمان يوزع لكل نفس درهمين كل يوم من شهر رمضان[1]. وكان زياد بن أبيه يوزع معونة عيد الفطر خمسين درهماً لكل شخص ومثلها في عيد الأضحى[2]. وأحياناً كان يرتفع مقدار المعونة حين دعوة المقاتلة إلى حملة مهمة أو للقضاء على ثورة ما، فقد أعطى يزيد بن معاوية الجند الذين انتخبهم لمقاتلة ابن الزبير في المدينة مائة دينار معونة فوق اعطياتهم[3]. وكذلك فعل مصعب بن الزبير حين أعطى جنده الذين يحاربون الأزارقة في فارس معأون بقدر أعطياتهم. ويرد ذكر المَعأون أيام عمر ابن عبد العزيز ويزيد بن الوليد بن عبد الملك[4].

كان توزيع العطاء في الكوفة على العرافات، فيقول سيف بعد ذكره الأسباع : وعرفوهم على مائة ألف درهم، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثمائة وأربعين رجلاً، وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف، وعشرين امرأة، وكل عيل على مائة، على مائة ألف درهم، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم الحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم. ثم على هذا الحساب[5]. ويتضح من رواية سيف أن العرافات لم تكن متساوية في عدد المقاتلة، ولكنها متساوية في مجموع العطاء، والمعتاد أن تضم العرافة أفراد قبيلة وأحدة وقد تضم عند الضرورة أفراداً من عدة قبائل أي أن النسب لم يراع تماماً في تسجيل القبائل

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص43.

(2) البلاذري، أنساب، ج4، ق1، ص206.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص483.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص120.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص49.

في الديوان.

واختلاف العرافة في هذا التنظيم عن العرافة التي كانت قبل وضع العطاء على التفضيل. فقد كانت متساوية في عدد رجالها، وكانت العرافة محدودة تضم عشرة أشخاص فقط غير العريف. وهكذا فقد صارت مسؤولية العريف مالية فقط، وكان يساعده في توزيع الأموال رجلان آخران هما النقيب والأمين، فيذكر عطية بن حارث : كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أبادي العرب، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم[1].

كان العطاء يوزع حسب السنة الهجرية، وكان يصرف في أيام عمر بن الخطاب في بداية شهر محرم. وبما أن العطاء والأرزاق تعتمد على موعد الجباية فمن المتوقع أن يرتبط توزيع العطاء فيما بعد بموعد الجباية من كل سنة. ففي أيام زياد بن أبيه كانت أعطيات الذرية توزع في بداية محرم، وعطاء المقاتلة في شهر شعبان[2]. وكان محرم في فترة زياد (45هـ-53هـ/665-673م) يأتي في الأشهر 3، 2، 1، 12 وشهر شعبان في 10، 9، 8، 7 من السنة الميلادية[3]، أي أن أعطيات المقاتلة كانت توزع بعد جباية الخراج وهي الأكثر مقداراً، ويوزع عطاء الذرية في بداية السنة الهجرية. ولعل هذا وفّر الأموال خلال السنة لدى الناس مما أوجد رضى لديهم، فقيل أن زياد أدر العطاء وحافظ على إعطائه في مواعيد واحدة من كل سنة[4]. ويذكر الهيثم بن عدي أن الأعطيات زمن يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/719-724م) كانت توزع في بداية محرم من كل سنة[5]، وهذا مفهوم إذا لاحظنا أن بداية السنوات الهجرية في فترته كانت تقع في الشهرين 7، 6 من أشهر السنة الميلادية أي عند موسم الجباية.

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج2، ص49.

(2) البلاذري، أنساب، ج3، ق1، ص190.

(3) زمباور، ص404.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص522.

(5) مجهول، تاريخ الخلفاء، ص381.

وهكذا ارتبط توزيع العطاء كما يبدو بموسم الجباية مما يـؤخره أحيانـاً عـن الموعد المحدد في التقويم الهجري فيؤدي إلى شكوى من تأخر موعد العطاء. ويلاحظ أن أول احتجاج على ذلك كان في ولاية المغيرة بن شعبة (41-50هـ/661-672م)، وإذا لوحظ أنه منذ فرض العطاء سنة 20هـ/640م وحتى ولاية المغيرة كـان شـهر محرم يأتي ما بين 12 إلى 5 من السنة الميلادية وأن بداية السنة الهجرية فـي ولايـة المغير كانت في شهر 4 أي قبل موعد الجباية بشهرين، كان من الـضروري تـأخير توزيع الأعطيات لمدة شهرين في هذه الفترة، لذا احتج حجر بن عدي على المغيرة بن شعبة "مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا، فانك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلـك ولا لمـن كـان قبلك"[1]. ولما ولى زياد بن أبيه العراق بعد المغيره وعدهم أن لا يؤخر عطاءً ولا رزقاً عن موعده [2]. ووعد الوليد ابن يزيد (125-126هـ/743-744م) الجند عندما بويع بالخلافة بقوله:

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم به يكتب الكتاب شهراً وتطبع[3]

وعندما ثار أهل حمص بعد موت الوليد، اشترطوا على من سيبايعون "أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم"[4].

وكانت مواعيد توزيع الأعطيات تتأخر أو تحبس أحياناً بسبب وضع الخراج وعمارة الأرض[5]، ويعبر عن ذلك أحد شيوخ بني أمية عندما ذكر أنه من أسباب زوال ملكهم قلة الخراج "فتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، فاستدعاهم عدونا فظاهروه على حربنا[6]. وظهر هذا في وعد الوليد بن يزيد الجند عندما تولى الخلافة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص254؛ الأصفهاني، الأغاني، ج17، ص134.
(2) الجاحظ، البيان، ج5، ص64؛ ابن قتيبة، عيون، ج2، ص211.
(3) الطبري، تاريخ، ج7، ص218.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص263.
(5) المصدر نفسه، ج8، ص103.
(6) ابن أبي الحديد، شرح، ج7، ص211.

"ولكم عندي ادرار أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر"[1].

(1) ابن قتيبة، عيون، ج2، ص248.

الخاتمة

إن حركة الفتوح الإسلامية كانت ظاهرة تاريخية كغيرها من الحركات التي شهدتها الشعوب قديماً وحديثاً بعد توحدها أو نهضتها وإصلاح أمرها. وقد اختلف المؤرخون والباحثون خاصة المستشرقون منهم في تحديد بواعث هذه الحركة فبعضهم ردها إلى عوامل اقتصادية تمثلت في رغبة العرب التمتع بخيرات البلدان المجاورة التي كانوا على علم بها بسبب تجارتهم معها كبلاد الشام والعراق، وبعضهم الآخر يرى أنها كانت حلاً لمشكلات العرب الداخلية الاقتصادية والسياسية والتي تمثلت في توجيه طاقة العرب المطبوعين على حب القتال بعد حروب الردة والقضاء على المرتدين وما نشأ عنها من قوى عسكرية وقتل أعداد كبيرة من المرتدين، فلو بقي العرب في داخل شبه الجزيرة العربية لأفنوا بعضهم بعضاً، خاصة أن البدو منهم لم تعرف حياتهم الاستقرار. لذا كان يخشى الخليفة من هذا الأمر فاتجه نحو استغلال هذه القوة لصالح الدعوة الإسلامية، فكانت الفتوح في الخارج توحيداً وتماسكاً للعرب في الداخل .

إن الدوافع الحقيقية لحركة الفتوح العربية الإسلامية كانت الرغبة في نشر الإسلام، تنفيذاً لأوامر الله الذي دعا المسلمين لنشر دينه بين الناس كافة، وهذا ما بيناه في أول الموضوع.

ثم الرغبة في استكمال وضع الدولة العربية الطبيعي، فبعد أن مكنت الدولة وحدتها في الداخل، كان لا بد لها أن تستكمل هذه الوحدة بضم كل العنصر العربي المقيم على تخوم شبه الجزيرة العربية، خاصة أن القبائل العربية في العراق والشام كانت وثيقة الصلة بأحداث شبه الجزيرة العربية، ولها الرغبة الأكيدة في فتح بلادها الواقعة تحت السيطرة والنفوذ الاجنبي كالنفوذ الفارسي والروماني، ودليل ذلك حركة المثنى بن حارثة الشيباني ضد الفرس وطلبه النجدة من الخليفة أبي بكر الصديق(رضي الله عنه). فقد ذكر الطبري أن المثنى قال: "أمرني على من قبلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي، ففعل ذلك، فأقبل فجمع قومه وأخذ يغير بناحية كسكر مرة، وفي أسفل الفرات مرة". هذه الحركة العربية تمتد بجذورها إلى أبعد من ذلك إلى موقعة

ذي قار وانتصار العرب على الفرس، أملاً في التخلص من السيطرة الأجنبية على بلادهم.

ومما سبق، يتضح لنا أن دوافع الفتوح الإسلامية كحركة تحرير وتوحيد القبائل العربية في العراق والشام، كانت قومية وسياسية ، بجانب الدافع الديني الأقوى.

ولهذا كان تجهيز الجيوش وإرسالها خارج الجزيرة في أيام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) استمراراً للسياسة التي رسمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ العام السادس للهجرة والتي تمثلت في إرسال الكتب إلى الأمراء والملوك وغزوتي مؤتة وتبوك وتجهيز جيش أسامة بهدف ارسالة شمالا الى اطراف الجزيرة العربية .

ورافق حركة الفتوح - مرحلة إخراج الشعوب من حياة الجاهليات وإعدادها إعداداً إسلامياً، وتلي هذه المرحلة مرحلة الجهاد العسكري، فقد كانت جيوش المد الإسلامي تتألف من قسمين: فرق الجهاد العسكري التي عملت على القضاء على الطبقات الحاكمة المتسلطة، ثم البعوث الدينية هدفها تحرير الحياة العامة للشعوب من سيطرة الوثنيات والانحرافات الفكرية، والعمل على تزكية النفوس من سيطرة الأهواء والشهوات. وكان قادة هذه البعوث الفكرية علماء من أمثال علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وأبي موسى الأشعري.

وقد توصل الباحث الى ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سبيل سعية لايجاد قوة عسكرية منظمة تأخذ على عاتقها مهمة الفتح ، أوجد صيغا مركزية من أجل ربط الجند المقاتلة بسلطة الدولة ، فكان يتولى بنفسة تعيين القادة وفق منظور دقيق وشامل فكان يؤكد أن القائد هو الذي تجتمع لدية صفات السبق والشجاعة والامانة والقدرة على العمل ليؤمره على الجيش ، ومع تخويلة القادة حرية العمل في جبهات القتال فألزمهم بالرجوع اليه في سياسة الحرب العامة ةفتح الجبهات ، وكان يطلب اطلاعه اولا بأول على كل ما يستجد على ساحة العمليات .

وتوصل الباحث الى ان قيام الخليفة عمر رضي الله عنه بعزل بعض القادة العسكريين جاء نتيجة ايمانة بضرورة عدم توفير الظروف التي تساعد القادة على

استغلال مكانتهم العسكرية وتحقيق بعض المزايا السياسية والتاثير على السلطة المركزية وعدم الالتزام بتوجيهاتها .

وقد اتضح هذا من خلال تطور نظام العطاء زمن عمر رضي الله عنه انه لم يكن هناك عطاء منظم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وان الخليفة عمر هو اول من اقر للجند المقاتلة راتبا سنويا ، اساسه المساواة اثناء مؤتمر الجابية سنة 17هـ/638م ، واستمر حتى سنة 20هـ/640م ، حيث انشأ الديوان واقر نظام التفاضل في توزيع العطاء استنادا الى القدم والسابقة في الاسلام .

وقد أتضح ان فرض العطاء على التفضيل جاء نتيجة لمعارضة المحررين الاوائل ورغبتهم في تميزهم عن غيرهم ممن شارك في حروب الفتح الاسلامي من جهة ، ونتيجة لازدياد وارد الدولة بعد فتح العراق والشام ومصر من جهة أخرى ، كما تبين ايضا ان نظام العطاء وضع من اجل هدفين رئيسيين : الاول هو ربط الجند المقاتلة بالسلطة المركزية ، والثاني تشجيع القبائل العربية على الهجرة الى الامصار ، واقتصر دفع العطاء على الذين اشتركوا في الفتح وهاجروا واستقروا في الامصار .

وقد توصل الباحث من خلال دراسة انشاء الديوان ان من الاسباب الرئيسية لانشائه كان من اجل تنظيم العرب في أطار عسكري واداري منظم ، وان الترتيب الذي جرى في تدوينه كان قائما على اساس القربى من الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة وعلى الاساس القبلي والعشائري من جهة أخرى ، كما تبين ايضا ان ترتيب الديوان لم يكن له علاقة بفرض العطاء على التفضيل ، وكان اساسه السبق في الاسلام ، ودعا الخليفة عمر رضي الله عنه في نهاية عهده الى التفكير بتغييره والرجوع الى نظام المساواة .

اما فيما يخص بناء الامصار، البصرة والكوفة ، فقد توصل الباحث الى ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أراد ان يطبع تلك المدن بطابع عسكري متميز، وذلك

حفاظا على الروح العسكرية التي خرج بها العرب من شبة الجزيرة العربية من جهة ولكي يبعدهم عن ترف وحياة المدن ورفاهيتها من جهة ثانية .

الا ان الخليفة عمر رضي الله عنه لم يغفل جانب التطور الزمني لهذه المدن وبخاصة ما يتعلق بتخطيط الشوارع ومدى اتساعها وبناء المراكز الادارية، كالديوان، وبيت المال ... ، وقد اتضح ايضا ان التطور في بناء الامصار والانتقال بالبناء من مادة القصب الى اللبن والطين مما حدث بشكل تدريجي ، وليس بشكل مفاجئ وسريع. وفيما يخص سياسته في تعيين الولاة وعزلهم فقد حاول الخليفة عمر رضي الله عنه ان يعكس مثله مبادئه العليا التي يؤمن بها والتي يتطلع الى تحقيقها في الحكم على ولاته من حيث التمسك بالعدالة والبساطة والزهد في التعامل مع الرعية ، وقد سلك في سبيل تحقيق ذلك سبلا مختلفة منها الاطلاع الدقيق على احوال ولاته ومراقبتهم مراقبة شديدة وتوجيههم وارشادهم .

وفيما يخص القضاء بين الباحث ان فصل هذه السلطة عن السلطة الادارية للوالي لم يحدث الا في اواخر عهد الخليفة عمر بعد ان استقر الوضع في المناطق المفتوحة ، وظهرت بعض المشكلات التي تحتاج الى سلطة متفرغة لها من غير الوالي ، كما ان فصل القضاء عن الولاية لم يجرى في جميع ولايات الدولة العربية الاسلامية بل ان بعض الولايات بقيت فيها سلطة القضاء مرتبطة مع سلطة الوالي يمارسها مع بقية سلطاته .

ومن أهم الخطوات التي أتبعت من أجل إعداد الشعوب إعداداً إسلامياً:

أ) القضاء على مظاهر الجاهلية في حياة الشعوب وتطهير حياتهم من الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والخلقي.

ب) إقامة مدن ذات طابع إسلامي تؤسس فيها المساجد والمدارس، لتكون قواعد فكرية وإصلاحية تعرف الناس بمبادئ الإسلام، ومن هذه المدن البصرة والكوفة في العراق.

وقد اعتمد الخلفاء الراشدون على العرب المسلمين في إعداد أهالي البلاد المفتوحة إعداداً إسلامياً، ويرجع ذلك إلى أن العرب المسلمين كانوا هم وحدهم الناضجين إسلامياً.

حيث ترتب على الشعوب التي اكتمل إعدادها الإسلامي أن تساهم هي الأخرى في المد الإسلامي عن طريق الجهاد العسكري وإعداد غيرهم إعداداً إسلامياً، فالدعوة الإسلامية، كما رأينا، دعوة عالمية لا تقف إلا عندما ينتشر الإسلام في كل مكان، ويترتّب على ذلك توفير عناصر إسلامية شابة تقوم بمهمة تبليغ الإسلام، ومن ثم كانت هذه المرحلة في غاية الأهمية، أضف إلى ذلك أن اختلاف البيئات الجغرافية يحتّم قيام عناصر من أهالي تلك البيئات بمهمة تبليغ تلك الدعوة، وهذا ما تُوفره هذه المرحلة.

ولقد بهر العالم في القرن السابع الميلادي قيام هذه الدولة العربية الإسلامية الفتية في مدة لا تزيد على عشر سنوات، ففي خلال هذه الفترة القصيرة بسطت سلطانها على فارس والعراق والشام ومصر وبرقة وطرابلس. ولم يسِق لأمةٍ أن استولت بمثل هذه السرعة على كل الأملاك الشاسعة.

أما الأسباب التي سهلت عملية الفتح السريعة هذه فأهمها :

1- العقيدة الإسلامية التي كان العرب المسلمون يجاهدون من أجِلها ويتمنّون الاستشهاد في سبيلها.
2- وحدة القوات العربية الإسلامية وتجانسها، بعكس قوات أعدائها التي كانت خليطاً من شعوب مختلفة الأجناس والأديان.
3- سخط رعايا الدولتين الفارسية والبيزنطية سواء بسبب فداحة الضرائب أو الاضطهاد الديني.
4- ظهور عدد كبير من القواد العرب المسلمين البارعين في القيادة والحرب من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والمثنى بن حارثة وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وكثير غيرهم، كما أن زهْد الجندي العربي المسلم وبساطته وسرعة حركته وحَماسته في القتال كل ذلك كان من أسباب إحراز النصر.

المراجع

القرآن الكريم:

ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت 656هـ)، (1959م)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 17ج، القاهر.

ابن آدم القرشي، يحيى (ت 203هـ)، (1348هـ)، **الخراج**، تحقيق أحمد محمود شاكر، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، القاهرة.

ابن اسحق، محمد بن اسحق بن يسار (ت 151هـ)،(1976م)، **السيرة المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق محمد حميد الله، تقديم محمد الفاسي، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الرباط، المغرب.

ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ)،(1971م) **الفتوح**، تحقيق محامد علي العباسي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 3ج، حيدر أباد، الداكن.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني (ت 630هـ)،(1965م)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر ودار بيروت 13ج، بيروت.

ابن الجوزي، جمال الدين بن الفرج (ت 579هـ)،(1969م)، **صفوة الصفوة**، تحقيق محمد فاخوري، نشر دار الوعي، 4ج، حلب.

ابن الجوزي، عبد الرحمن علي بن محمد (ت 597هـ)،(د.ت)، **سيرة عمر بن الخطاب**، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ)،(1960م)، **الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر ودار بيروت، بيروت.

ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني (ت 290هـ)،(1302هـ)، **مختصر كتاب البلدان**، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ)،(1924م)، **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت 749هـ)،(1285هـ)، **تاريخ**، جمعية المعارف، 2ج، القاهرة.

ابن أنس، مالك، (ت 179هـ)،(د.ت)، **المدونة الكبرى**، مطبعة السعادة، 6ج، القاهرة، أوفست دار صادر ودار بيروت.

ابن أنس، مالك، (ت 179هـ)، (1951م)، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، 2ج، القاهرة.

ابن بكار، الزبير، (توفي سنة 256هـ)، (1972م)،**الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد.

ابن تيمية، تقي الدين (ت 728هـ)، (1969م)، **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**، دار الكتاب العربي، مصر.

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمر (ت 245هـ)،(1942م)، **المحبر**، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن.

ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد (ت 584هـ)، (1983م)، **الغزوات**، تحقيق أحمد غنيم، دار الفكر، بيروت.

ابن حجر، أحمد بن علي (ت 852هـ)، (1328هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، نشر مطبعة السعادة بالقاهرة، ودار صادر ببيروت، 4ج، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ)،(1349هـ)، **المحلي**، نشر إدارة الطباعة المنيرية، 11ج، القاهرة.

ابن حوقل، محمد بن علي (ت 356هـ)،(د.ت)، **صورة الأرض**، ألّف الكتاب حوالي 356هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن خردإذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت 272هـ)،(1889م)، **المسالك والممالك**، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 818هـ)، **تاريخ**، منشورات الأعلمي، 7ج، بيروت 1971م.

ابن خياط، خليفة (ت 240هـ)، (1967م)، **الطبقات**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد.

ابن خياط، خليفة (توفي سنة 240هـ)،(1967م)، **تاريخ**، تحقيق سهيل ركار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 2ج، دمشق.

ابن دريد، محمد بن حسن (ت 321هـ)،(1958م)، **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مؤسسة الخانجي بمصر مكتبة المثنى ببغداد والمكتب التجاري ببيروت، المطبعة السنية المحمدية، القاهرة.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت 759هـ)،(1934م)، **الاستخراج لأحكام الخراج**، تحقيق عبد الله الصديق، المطبعة الإسلامية، القاهرة.

ابن رسته، أحمد بن عمر (ت 290هـ)،(1891م)، **الأعلاق النفسية**، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن.

ابن سعد، محمد (ت 220هـ)،(1338هـ)، **الطبقات**، تحقيق برونوميسنر، مطبعة كاشن، مصورة عن طبعة بريل، 7ج، ليدن، منشورات مؤسسة النصر، طهران.

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت 610هـ)،(1970م)، **الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ)،(د.ت)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، مطبوع بهامش كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، 4ج.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ)،(1966م)، **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ)،(1964م)، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق أحمد عبيد، دار الفكر، الطبعة الثالثة، دمشق.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ)،(1974م)، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق محمد صبيح، مؤسسة دار التعأون القاهرية.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت 327هـ)،(1940م)، **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 3ج، القاهرة.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين (ت 571هـ)، (1954م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق صلاح الدين المنجد ومحمد أحمد دهمان، نشر المجمع العلمي العربي، 3 مجلدات (ج1، ج2، ج10)، دمشق.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين (ت 571هـ)، (1351هـ)، **تهذيب تاريخ ابن عساكر**، تهذيب وترتيب عبد القادر بن بدران، المكتبة العربية، 7ج، دمشق، من ج1 إلى ج5 طباعة من سنة 1329هـ إلى سنة 1332هـ، ج6، ج7 طباعة سنة 1350هـ.

ابن فضل الله العمري، أحمد (ت 742هـ)،(1924م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)،(1960م)، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)،(1973م)، **عيون الأخبار**، نشر دار الكتب المصرية، 2ج، القاهرة 1952م، أوفست الهيئة العامة للكتاب ببيروت، القاهرة.

ابن قدامة، عبد الله بن محمد (ت 620هـ)،(1348هـ)، **المغني**، تحقيق محمد رشيد رضا، نشر دار المنار، 9ج، القاهرة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)،(1961م)، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق صبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق، 2ج، دمشق.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)،(1317هـ)، **الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية،** مطبعة الآداب، القاهرة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)،(د.ت)، **الفروسية**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير (ت 774هـ)،(1933)، **البداية والنهاية في التاريخ**، 13ج، دار الفكر العربي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير (ت 774هـ)، (1969م)، **تفسير القرآن العظيم**، 4ج، دار إحياء التراث، بيروت.

ابن مزاحم، نصر (ت 212هـ)، (1962م)، **وقعة صفين**، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة المدني، الطبعة الثانية، القاهرة.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 630هـ)،(1956م)، **لسان العرب**، دار صادر ودار بيروت، 15ج، بيروت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت 218هـ)،(1955م)، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، القسم الأول ويشتمل على ج1-2، القسم الثاني ويشتمل على ج3-4، القاهرة.

ابن وهب الكاتب، أبو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)،(1967م)، **البرهان في وجوه البيان**، مطبعة العاني، ط1، بغداد.

أبو البقاء، هبة الله، (2000م)، **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية**، 2ج، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وصالح موسى درادكه، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين.

أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ)،(د.ت)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، 4ج، القاهرة.

أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ ـ)،(1850م)، **تقـويم البلـدان**، تحقيق رينود وماك كوكين ديسلأن، دار الطباعة السلطانية، باريس.

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ)،(1968م)، **الأموال**، تحقيـق محمـد خليـل الهراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

أبو عبيد، القاسم بن سـلام (ت 224هـ ـ)،(1976م)، **غريـب الحـديث**، 4ج، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن.

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ)،(1962م)، **مجاز القرآن الكريم**، نشر محمد سامي، مصر.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت 365هـ)،(1966م)، **الأوائـل**، تحقيـق محمد السيد الوكيل، نشر أسعد طرابزوني، المدينة المنورة.

أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت 182هـ)،(1392هـ)، **الخراج**، المطبعة السلفية، الطبعة الرابعة، القاهرة.

الادريسي، محمد بن عبد الله (ت 560هـ)،(1974م)، **نزهة المشتاق في اختـراق الآفاق**، نشر ايطاليا، ج4، روما.

أرنولد، توماس،(1947م)، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم، مكتبة النهضة، القاهرة.

الأزدي، محمد بن عبد الله (ت 168هـ)،(1970م)، **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.

الأزدي، يزيد بن محمد بن اياس بن قاسم (ت 334هـ)،(1967م)، **تاريخ الموصل**، تحقيق علي حبيبه، نشر مؤسسة التحرير، القاهرة.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ/980م)، (د. ت)، **تهذيب اللغة**، ج4، تحقيق: عبد الكريم العربأوي، ج12، تحقيق : أحمد عبد العليم البردونـي، الدار المصرية، القاهرة .

الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)،(1970م)، **حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصفياء**، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 10 ج، بيروت.

الاصطخري، ابراهيم بن محمد الفارسي (عاش في القرن الرابـع الهجـري)،(د.ت)، **الأقاليم**، تحقيق J. Moeller، غوتا، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

الاصطخري، ابراهيم بن محمد الفارسي (عاش في القرن الرابع الهجري)،(1927)، **مسالك الممالك**، تحقيق دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، أوفست مكتبـة الـصدر طهران.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ)،(1961م)، **الأغاني**، دار الكتب المصرية، 18ج، القاهرة.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ)،(1949م)، **مقاتل الطـالبيين**، تحقيق أحمد صقر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

الأصفهاني، حمزة بن حسن (ت 360هـ)،(د.ت)، **تـاريخ سـني ملـوك الأرضـين والأنبياء**، منشورات دار مكتبة الحياة، عن طبعة ليبسيك.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت 217هـ)،(1963م)، **الاصمعيات**، تحقيق أحمـد شاكر، دار الفكر، بيروت.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت 217هـ)،(1959م)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، تحقيق محمد بن حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد.

الأعشى، ميمون بن قيس (ت 629هـ)،(1972م)، **ديوانه**، دار النهـضة العربيـة، بيروت.

أكرم، ألجنرال. أ. أكرم،(1982م)، **سيف الله خالد بن الوليد**، ترجمة صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الألوسي، محمود شكري (ت 127هـ)، (1342هـ)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، ط3، مصر.

أمين، احمد،(1964م)، **فجر الاسلام**، مكتبة النهضة المصرية، ط9، القاهرة .

الأنباري، عبد الرزاق علي،(1977م)، **النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي**، مطبعة النعمان، النجف.

الأنباري، عبد الرزاق علي،(1985م)، **تاريخ الدولة العربية**، مطبعة الإرشاد، بغداد.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)،(1958م)، **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، 9ج، بيروت.

بدر، أحمد،(1981م)، التنظيم العسكري عند العـرب المـسلمين، **مجلـة دراسـات تاريخية**، العدد (4)، ص128-149، دمشق.

البسوى، أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوى (ت 277هـ ـ)،(1974م)، **المعرفـة والتاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الارشاد، ج1، بغداد.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ)،(1954م)، **معجم مـا اسـتعجم مـن إسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر، 4ج، القاهرة.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)،(1971م)، **أنساب الأشراف**، ج4، قسم1، نشر ماكس شلوزنجر، القدس، أوفست مكتبة المثنى بغداد، ج4، قـسم2، نشر ماكس شلوزنجر القدس 1938م، أوفست مكتبة المثنى بغـداد، ج5، نـشر غوتين، القدس 1936م، أوفست مكتبة المثنى بغداد.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)،(1956م)، **فتوح البلدان**، تحقيـق صلاح الدين المنجد، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرى.

البيروني، محمد بن أحمد (توفي سنة 440هـ)،(1923م)، **الاثار الباقية عن القرون الخالية**، تحقيق C. Eduard Sachau ، ليبسيك.

الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ)، (1978م)، **سنن الترمذي**، تحقيـق عبـد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت.

الثعالبي، عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت 429هـ)،(1963م)، **تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**، مكتبة الاسدي، طهران.

الثعالبي، عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت 429هـ)،(1908م)، **خاص الخاص**، تحقيق محمود السمكري، مطبعة السعادة، القاهرة.

الثعالبي، عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت 429هـ)،(د.ت)، **لطائف المعارف**، تحقيق ابراهيم الابياري، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، (1938م)، **البخلاء**، تحقيق أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب المصرية، 2ج، القاهرة.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، (1971م)، **البلدان**، نشر صالح أحمد العلي، مطبعة الكوفة، بغداد (مستل من مجلة كلية الآداب).

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)،(1961م)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 4 ج، الطبعة الثانية.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)،(د.ت)، **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق فوزي عطوه، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)،(1945م)، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 7ج، القاهرة.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)،(1964م)، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 2ج، القاهرة.

جب، هاملتون،(1964م)، **دراسات في حضارة الإسلام**، ترجمة : إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت.

جلوب، جون باجوت،(1963م)، **الفتوحات العربية الكبرى**، ترجمة خيري حماد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد.

الجنابي، كاظم،(1987م)، **الجيش والسلاح**، دار الحرية، بغداد.

الجنابي، كاظم،(1972م)، **تخطيط مدينة الكوفه**، مطابع دار الجمهورية، بغداد.

الجنابي، كاظم،(1984م)، **تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي**، منشورات وزارة الثقافة، بغداد.

الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت 331هـ)،(1938م)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

جودة، جمال،(1979م)، **العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام**، الشركة العربية للطباعة، عمان.

حتي، فيليب،(1965م)، **تاريخ العرب المطول**، مطابع الغندور، بيروت.

الحديثي، نزار عبد اللطيف،(1983م)، **العراق في التاريخ**، دار الحرية، بغداد.

الحديثي، نزار عبد اللطيف،(1979م)، **محاضرات في التاريخ**، مطبعة جامعة بغداد، بغداد.

حسن، ابراهيم حسن،(1962م)، **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الحسو، أحمد عبد الله،(1987م)، الدور القيادي لعرب المدن في نشأة الحضارة العربية الإسلامية، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد (32)، ص73، بغداد.

حميد الله، محمد،(1956م)، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة.

الخربوطلي، علي حسني،(1960م)، **الدولة العربية الإسلامية**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الخربوطلي، علي حسني،(1959م)، **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي**، دار المعارف، القاهرة.

الخضري، محمد،(1376هـ)، **محاضرات تاريخ الامم الاسلامية**، مطبعة الاستقامة، ط7، ج2، القاهرة.

خطاب، محمود شيت، (1966م)، **عمر بن الخطاب**، الفاروق القائد، دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ)،(1964م)، **البخلاء**، تحقيق أحمد مطلوب وأحمد ناجي القيسي وخديجة الحديثي، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ)،(د.ت)، **تاريخ بغداد**، نشر دار الكتاب العربي، 14ج، بيروت.

الخلف، جاسم محمد، (1965م)، **جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية**، نشر معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، مطبعة دار المعرفة، الطبعة الثانية، القاهرة.

خليل، محسن،(1982م)، **في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي**، دار الرشيد، بغداد.

دحلان، أحمد زيني،(1968م)، **الفتوحات الإسلامية**، مطبعة المدني، القاهرة.

دكسن، عبد الأمير،(1973م)، **الخلافة الأموية**، دار النهضة العربية، بيروت.

الدوري، عبد العزيز،(1984م)، **التكوين التاريخي للأمة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الدوري، عبد العزيز،(1987م)، **التنظيمات المالية لعمر بن الخطاب (الضرائب في السواد والجزيرة)**، وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، 11-13 نوفمبر 1984م، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ج2، الرياض.

الدوري، عبد العزيز،(1974م)، **العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام**، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر (بحوث قدمت في المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام)، الجامعة الأردنية، الدار المتحدة، بيروت، (ص 25-38).

الدوري، عبد العزيز،(1974م)، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، دار المشرق، ط2، بيروت.

الدوري، عبد العزيز،(1969م)، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، دار الطليعة، بيروت.

الدوري، عبد العزيز، (1960م)، **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثانية، بيروت.

الدوري، عبد العزيز،(1970م)، **نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية**، مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

الدوري، عبد العزيز،(1974م)، نظام الضرائب في صدر الإسلام (ملاحظات وتقييم)، مستل من **مجلة مجمع اللغة العربية**، المجلد 49، ص26-31، الجزء الثاني، دمشق.

الدينوري، أحمد بن دأود (ت 282هـ)،(1960م)، **الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشنيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

دينيت، دانيال،(1960م)، **الجزية والإسلام**، ترجمة فوزي فهيم جاد الله، مكتبة الحياة، مؤسسة فرانكلين، بيروت.

ذنون، عبد الواحد طه،(1986م)، إدارة بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، **مجلة اداب الرافدين**، العدد (16)، ص286 الموصل.

الريس، محمد ضياء الدين،(1957م)، **الخراج في الدولة الإسلامية**، مكتبة نهضة مصر، ط1، القاهرة.

زامباور،(1951م)، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة.

زيدان، جرجي،(1908م)، **العرب قبل الإسلام**، طبعة بإشراف حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة.

زيدان، جرجي،(1935م)، **تاريخ التمدن الإسلامي**، مطبعة الهلال، الطبعة الرابعة، بيروت.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ)،(1970م)، **الأنساب**، نشر مرجليوث، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

سهراب، (ت 334هـ)، (1929م)، **عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة**،

تحقيق هانزمون فريك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فينا.

سوسه، أحمد،(1946م)، **تطور الري في العراق،** مطبعة المعارف، بغداد.

سوسه، أحمد،(1949م)، **ري سامراء**، مطبعة المعارف، 2ج، بغداد.

سوسه، أحمد،(1965م)، **فيضانات بغداد،** مطبعة الأديب، 3ج، بغداد.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)،(1950م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، القاهرة.

الشابشتي، علي بن محمد بن محمد (ت 388هـ)،(1966م)، **الديارات**، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، نشر مكتبة المثنى، الطبعة الثانية، بغداد.

الشافعي، محمد بن ادريس (ت 204هـ)، (1966م)،**الام**، تحقيق محمد زهدي النجار، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ج6، بغداد.

الشريف، أحمد ابراهيم،(1977م)، **دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني للهجرة**، دار الفكر العربي، بيروت.

شعبان، محمد عبد الحي، (1983م)، **صدر الإسلام والدولة الأموية،** الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

الشيباني، محمد بن الحسن (ت 189هـ)،(1958م)، **شرح لكتاب السير الكبير،** تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، القاهرة.

شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت 727هـ)،(1923)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،** تحقيق A. Mehren ليسك، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

الصولي، محمد بن يحيى (ت 336هـ)،(1341هـ)، **أدب الكتاب**، تحقيق محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)،(1970م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، 10ج، القاهرة .

الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)،(1983م)، **جامع البيان في تفسير القرآن،**

30ج، مطبعة بولاق، مصر 1323هـ، نسخة مصورة، بيروت.
طرخان، ابراهيم علي، (1968م)، **النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، دار الكتاب العربي، القاهرة.
الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت 520هـ)،(1935)، **سراج الملوك**، المكتبة المحمودية، القاهرة.
العاقور، صلاح،(1994م)، **تاريخ الخلافة الأموية الجهادي**، دار الرشيد، بغداد.
العاني، خطاب، (1972م)، **جغرافية العراق الزراعية**، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة.
العبادي، عبد الحميد، (1948م)، **صور من التاريخ الإسلامي**، مكتبة الاداب للطباعة والنشر، الإسكندرية.
العدوي، ابراهيم أحمد،(1972م)، **النظم الإسلامية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
العسلي، بسام،(1974م)، **فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين**، دار الفكر، ط1، بيروت.
العقاد، عباس محمود،(د. ت)، **عبقرية خالد**، المكتبة العصرية، بيروت.
علي، جواد، (1971م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، 7ج، بيروت.
علي، سيد أمير، (1967م)، **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة عفيف بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.
العلي، صالح أحمد، (1969م)، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، دار الطليعة، الطبعة الثانية، بيروت.
العلي، صالح أحمد،(1988م)، **الدولة في عهد الرسول** (ص)، بغداد.
العلي، صالح أحمد،(1987م)، القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الراشدين، **مجلة دراسات العلوم الأنسانية**، مجلد (14)، عدد (4)، الأردن.
العلي، صالح أحمد،(1967م)، المدائن في المصادر العربية، **مجلة سومر**، مجلد 23،

بغداد (ص47-67).
العلي، صالح أحمد،(1983م)، **امتداد العرب في صدر الإسـلام،** مؤسـسة الرسـالة، بيروت.
العلي، صالح أحمد،(1952م)، خطط البـصرة، **مجلـة سـومر،** مجلـد 8، بغـداد (ص281-303).
العلي، صالح أحمد،(1981م)، **محاضرات في تاريخ العرب**، الموصل.
العلي، صالح أحمد، (1965م)، منطقة الكوفه، **مجلـة سـومر،** مجلـد 21، بغـداد (ص229-255).
العلي، صالح أحمد،(1970م)، منطقة واسط، **مجلـة سـومر،** مجلـد 26، بغـداد (ص237-262). مجلد 27، بغداد 1971م (ص153-185).
عمارة، محمد، وآخرون،(1978م)، **عمر نظر عصرية جديـدة،** المؤسـسة العربيـة للدراسات والنشر، ط2، بيروت.
عون، عبد الرؤوف، (1961م **)، الفن الحربي في صـدر الإسـلام،** دار المعـارف، القاهرة.
فروج، عمر،(1981م)، **العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحـر المتوسـط،** دار الكتاب العربي، بيروت.
فلهاوزن، يوليوس،(1968م)، **تاريخ الدولة العربية وسقوطها،** ترجمة محمـد عبـد الهادي بوريده، وحسين مؤنس، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة.
فلوتن، فان،(1965م)، **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بنـي أميـة،** ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبـراهيم، مكتبـة النهـضة المـصرية والمطبعة السنية المحمدية، الطبعة الثانية، القاهرة.
فوزي، فاروق عمر،(1980م)، **التاريخ والتوعية**، دار الرشيد، بغداد.
فوزي، فاروق عمر،(2000م)، **الوسيط في تاريخ الخليج العربي الوسيط**، عمان.
فوزي، فاروق عمر، (1989م)، دور المعالي في المجتمع الإسلامي، **مجلـة آفـاق**

عربية، بغداد.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)،(د.ت)، **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

فيصل، شكري،(1978م)، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري**، دار العلم للملايين، بيروت.

قدامة بن جعفر (ت 337هـ)،(1981م)، **الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد.

كاتبي، غيداء عادل،(1978م)، **الردة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، كلية الآداب، قسم التاريخ

كاهين، كلود، (1972م)، **تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية**، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت.

كرد علي، محمد، (1968م)، **الاسلام والحضارة العربية**، دار المعارف، القاهرة.

كرد علي، محمد،(1927م)، **خطط الشام** ، 6ج، دمشق.

كرستنس، آثر،(1975م)، **ايران في عهد الساسانيين**، ترجمة يحي الخشاب وعبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة.

الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت 634هـ)،(1981م)، **حروب الردة**، تحقيق أحمد غنيم، دار الاتحاد، بيروت.

كمال ، احمد عادل، (1972م)، **الطريق الى المدائن** ، بيروت.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ)،(1908م)، **الولاة والقضاة**، تهذيب وتصحيح رفن كست، مطبعة اليسوعيين، بيروت.

لوبون، جوستاف،(1948م)، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة الحلبي، بيروت.

لومبارد، موريس، **(1980م)، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي**، دمشق.

لويس، برنارد،(1954م)، **العرب في التاريخ**، ترجمة أمين فارس، دار العلم للملايين،

بيروت.
ليسترانج، كي،(1954م)، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكـوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد.
مؤلف مجهول (من القرن الحادي عشر الميلادي)،(1967م)، **تاريخ الخلفاء**، سلسلة الاداب الشرقية، نشر بطرس غريازينويح، موسكو.
مؤلف مجهول،(1871م)، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، تحقيـق دي غويـه، مطبعة بريل، ج3، ليدن ، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.
ماجد، عبد المنعم،(1967م)، **التاريخ السياسي للدولة العربية**، 2ج، مكتبـة الأنجلـو المصرية، القاهرة.
ماسينيون، ل.،(1946م)، **خطوط الكوفه**، ترجمة ت. المصعبي، مطبعـة العرفـان، صيدا.
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ ـ)،(1973م)، **الأحكـام السلطانية والولايات الدينية**، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، القاهرة.
محمود، علي،(1992م)، **عالمية الدعوة الإسلامية**، دار النهضة، المنصورة.
المسعودي، علي بن الحسن (ت 345هـ)،(1968م)، **التنبيه والإشراف**، دار التراث، بيروت.
المسعودي، علي بن الحسن (ت 345هـ)،(1965م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس، 4ج، بيروت.
الزبيري، مصعب بن عبد الله (ت 236هـ)،(1951م)، **نسب قريش**، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة.
معروف، ناجي، (1964م)، **عروبة المدن الإسلامية**، مطبعة العاني، بغداد.
المقدسي، محمد بن أحمد،(1906م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ألّف الكتـاب سنة 375هـ، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، أوفـست مكتبـة الخيـاط،

بيروت.

المقدسي، مطهر بن طاهر،(1903م)، **البدء والتاريخ**، منسوب لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة 308هـ، تحقيق كلمار هوار، 6ج، باريس.

المقريزي، أحمد بن عبد الله (ت 845هـ)،(1970م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، مطبعة بولاق، 2ج، القاهرة 1294هـ، أوفست مكتبة المثنى، بغداد.

المقريزي، أحمد بن عبد الله (ت 845هـ)،(1967م)، **النقود الاسلامية**، المكتبة الحيدرية، النجف.

الملاح، هاشم،(1991م)، **الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة**، الموصل.

الملاح، هاشم،(1988م)، فيء بني النضير وسياسة الرسول (ص) المالية في المدينة دراسة تاريخية نقدية، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، عدد (4)، ص42 بغداد.

ناجي، عبد الجبار،(1986م)، **دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية**، مطبعة جامعة البصرة، البصرة.

النص، إحسان،(1963)، **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، بيروت، ص231.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 722هـ)،(1931م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، نشر دار الكتب المصرية، 18ج، القاهرة.

الهاشمي، طه،(1933م)، **جغرافية العراق**، مطبعة المعارف، بغداد.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 234هـ)، (1968م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق دأود هنريك موللير، مطبعة بريل، ليدن.

هنتس، فالتر،(1970م)، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية.

الواقدي، محمد بن عمر (ت 207هـ)،(1934م)، **فتوح الشام**، مطبعة مصطفى

البابي الحلبي، القاهرة.

الواقدي، محمد بن عمر (ت 207هـ)،(1984م)، **مغازي رسول الله** (ص)، تحقيق مارسدن جونسن، 3ج، بيروت.

وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت 306هـ)،(1947م)، **أخبار القضاة**، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، 3ج، القاهرة.

ياسين، عبد علي،(2006م)، **تاريخ صدر الإسلام**، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان.

ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)،(1965م)، **معجم البلدان**، منشورات مكتبة الأسدي، 6ج، طهران.

اليزيدي، محمد بن العباس بن محمد (ت 310هـ)،(1938م)، **الأمالي**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ)،(د.ت)، **البلدان**، مذيل بكتاب الأعلاق النفسية لابن رسته.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ)، (1960م)، **تاريخ**، دار بيروت، 2ج، بيروت.